



المجلة الدولية للدراسات الإنسانية

The International Journal of Human Studies

المجلة الدولية للدراسات الإنسانية

مجلة فصلية دولية محكمة

تصدر عن جامعة عباس لغرور خنشلة

مجالات النشر

تنشر المجلة الدولية للدراسات الإنسانية في

مواضيع الآداب واللغات والعلوم القانونية

والعلوم السياسية والعلوم الإنسانية

والاجتماعية والعلوم الاقتصادية

والتخصصات ذات الصلة

مدير المجلة

أ.د/ عبدالواحد شالة

رئيس التحرير

أ.د/ عبدالمجيد لخذاري

هيئة التحرير

➤ د/ نعيمة شلغوم

➤ د/ طارق سعدي

➤ د/ ريمة عايدة حساني

➤ د/ عبد الحفيظ معوشة

المدقق اللغوي: لغة الإنجليزية

➤ د/ كفاي وليد

☎ Contact Information

🌐 Website : international journal of human studies

✉ Email : revue@univ-khenchela.dz

☎ Phone : 032.73.12.59

📘 Facebook page: المجلة الدولية للدراسات الإنسانية

📍 Address: BP 1252 Route de Batna Khenchela, Khenchela, Khenchela,
Algeria



خارج الوطن

الرقم	الاسم واللقب	الجامعة	الدولة
1	رحاب يوسف	بني سويف	مصر
2	خالد اليعبودي	الشارقة	الإمارات المتحدة
3	عبدالرحمن محمد طعمة	القاهرة	مصر
4	كرستين عماد سامي داوود	عين شمس	مصر
5	علي عبدالناصر عباس الخميس	بابل	العراق
6	حسن محمد النعبي	جدة	السعودية
7	LEGROS Denis	باريس 8	فرنسا
8	مروان سالم نوري	ديالى	العراق
9	ناجية سليمان	الزاوية	ليبيا
10	خيرى عبدالنبي جمانة سلامة	صبراتة	ليبيا
11	نشأت ادوارد	القاهرة	مصر
12	بلال الشوبكي	الخليل	فلسطين
13	قبس حسن عواد عبد الله البدراني	الموصل	العراق
14	ضحى محمد سعيد النعمان	البحرين	البحرين
15	مدحت خليل حمد	الجامعة العربية الأمريكية	فلسطين
16	احمد أويصال	اسطنبول	تركيا
17	نعيمه بن عثي زياني	اليكانتي	اسبانيا
18	فرحات عابدة	لورين	فرنسا
19	محمد مواق	قادش	اسبانيا
20	زهرة غربي	منوبة	تونس
21	حنان المليتي	منوبة	تونس
22	أروى الكعلي	منوبة	تونس

اللجنة العلمية داخل الوطن

الاسم واللقب	الجامعة	الاسم واللقب	الجامعة	الاسم واللقب	الجامعة	الاسم واللقب	الجامعة
د/أحمد شوقي حواجلي	بسكرة	د/ابتسام بولقواس	خنشلة	د/امينة حشوف	وهران 2	د/عبدالغني بوجوراف	خنشلة
د/اسماعيل شرقي	باتنة 1	د/رمزي جاب الله	باتنة 1	د/الخامسة رمضان	بسكرة	د/توفيق برغوتي	الاغواط
د/محمد فورار	بسكرة	د/عواطف مومن	خنشلة	د/طارق سعدي	خنشلة	د/نبيل مالكية	خنشلة
أد/جمال قوي	ورقلة	د/سميرة سلام	خنشلة	الزهراء بلعربي	وهران 2	د/ياسين قوتال	خنشلة
د/جمعة مصاص	خنشلة	أد/الطاهر زواقري	خنشلة	د/خالد منصر	خنشلة	د/عبدالقادر نويوة	خنشلة
د/حنينة طبيش	خنشلة	د/سمية جلال	خنشلة	د/خديجة عمراوي	خنشلة	د/نصيرة صالح	خنشلة
د/خميصة مزيتي	خنشلة	أد/اسماعيل بوقرة	خنشلة	د/عليمة حمزاوي	خنشلة	د/فاتح مزيتي	خنشلة
د/رايح بوشعشوعة	خنشلة	أد/رفيقة قصوري	خنشلة	د/سعاد عون	خنشلة	د/شريف باديس	خنشلة
د/رامي سيدي محمد	خنشلة	أد/صالح مفقودة	بسكرة	د/بن عمران سهيلة	خنشلة	د/زينة جدعون	خنشلة
د/سليم كربوعة	بسكرة	د/سهيلة مزاني	الجزائر	د/ساندرا صبرينة تريكي	عنابة	د/عبدالعالى بالة	خنشلة
د/سميررحماني	باتنة 1	د/السعدي ساكري	أم البواقي	مصطفى ثابت	ورقلة	سعد الدين بوطبال	خميس مليانة
د/سهيلة لعور	خنشلة	د/مجيد قري	خنشلة	د/محمود بوقطف	خنشلة	د/سورية زرقين	خنشلة
أد/صباح بلقيدوم	خنشلة	د/عبداللطيف تيقان	خنشلة	أد/مزهدية رفيف	خنشلة	د/فالق سمية	خنشلة
أد/صورية جغبوب	خنشلة	أد/عبدالمجيد لخذاري	خنشلة	أد/عبدالغاني بوالسكك	باتنة 1	د/فيصل سعودي	خنشلة
د/عبد الحليم طاهري	خنشلة	د/علاوة عمارة	قسطنطينة	د/مريم وفاء مرداسي	خنشلة	أد/عادل زقاغ	باتنة 1
د/عبد الرزاق تومي	باتنة 1	د/زينب بن الطيب	باتنة 1	د/أحمد عماد خواني	سطيف	د/علي عشي	باتنة 1
د/عبدالجليل جباري	خنشلة	د/براهيم بن مهية	قسطنطينة	د/أنور مقراني	سطيف	د/شوقي قاسي	بسكرة

د/عبدالحميد ختالة	خنشلة	د/نسيمة شمام	خنشلة	أد/عبدالرحمن تيرماسين	بسكرة	د/عبدالرشيد معمري	خنشلة
د/عبدالملك عثمانة	خنشلة	أمال بوعيشة	بسكرة	د/محمود قرزيز	خنشلة	د/عيسى لثيم	خنشلة
د/عماد دمان ذبيح	خنشلة	د/ميلود مراد	باتنة 1	د/عادل الصيد	أم البواقي	أد/سليمان جاراالله	باتنة 1
أد/عمرو عيلان	خنشلة	د/سميرة ناصري	خنشلة	د/ريمة عايدة حساني	خنشلة	د/حبيبة عبدلي	خنشلة
د/فاتح حنبلي	أم البواقي	أد/انصاف بن عمران	خنشلة	د/أمينة علاق	أم البواقي	د/صبرينة جبايلي	خنشلة
د/فريدة لبعل	باتنة 2	د/نزار عبدلي	الطارف	د/لطيفة موسى	وهران 2	د/سامي بخوش	باتنة 1
أد/قروي سميرة	خنشلة	أد/خان محمد	بسكرة	د/سيفي عزالدين	خنشلة	د/سلامي نادية	خنشلة
د/كريمة حجازي	خنشلة	أد/محمد بوكماش	خنشلة	د/فوزي نجار	خنشلة	د/سليم أونيس	خنشلة
د/لحسن عقون	بسكرة	د/صلاح الدين عمراوي	باتنة 1	د/معاذ ميلي	قسنطينة 1	د/سامي شايب	ورقلة
د/مريم بوشيربي	خنشلة	د/كوسر عثمانية	خنشلة	د/سناء بولقواس	خنشلة	د/حنان اوشن	خنشلة
د/نعيمة شلغوم	خنشلة	د/عطاء الله توفيق	خنشلة	د/عبدالحفيف معوشة	خنشلة	د/ماية بن مبارك	خنشلة
أد/النوي بن مبروك	خنشلة	أد/سمير مسعي	خنشلة	د/بدرالدين لوصيف	خنشلة	د/عمارة عبدالحليم	خنشلة
د/هاشحي قشيش	خنشلة	د/السايع بوساحية	تبسة	د/مريم عثماني	خنشلة	د/عمار بالة	خنشلة
د/هشام تومي	خنشلة	أد/هادية يحيواوي	خنشلة	د/محمد شروف	باتنة 1	د/لخميسي أدمي	خنشلة
د/هشام سوهالي	باتنة 1	رؤوف بوسعدية	سطيف 2	أد/رشيد بلعيفة	خنشلة	د/نجاة بن مكي	خنشلة
د/وليد كفالي	خنشلة	د/سفيان عرشوش	خنشلة	د/سمير مفتاح	بوسعادة	د/سميحة مناصرية	خنشلة
د/نبيل قواس	خنشلة	د/زكية بلهول	سطيف	د/سعاد احميدة	تبسة	أد/ رشيد سهيلي	تبسة
أد/ سبي حمزاوي	خنشلة	د/قويدر سيكوك	البيض	د/عبدالقادر رحمون	خنشلة	د/ صالح كليل	خنشلة



كلمة السيد مدير الجامعة



أ.د/ عبدالواحد شالة



يسرنا أن نضع بين أيديكم العدد الثاني للمجلة الدولية للدراسات الإنسانية المتضمن مساهمات متنوعة للباحثين من داخل الوطن وخارجه في مجالات متنوعة

وفيه تعمل المجلة وتأمل أن ترسم مؤشرات التحدي والطموح والتميز في خضم العدد الكبير من المجلات الوطنية في مختلف التخصصات العلمية.

لقد تزامن صدور هذا العدد من المجلة واحتفال الجزائر بستينية الثورة المجيدة، التي تذكرونا بعزيمة الأمس، وما يقوي إصرار اليوم للمضي قدما في خضم ما يدور في العالم من أحداث مؤثرة، كما يتزامن ذلك مع احتفالية مرور عشرين سنة عن إنشاء جامعة عباس لغرور خنشلة، وإذ تسعى جامعتنا وهي لبنة من لبنات الوطن العزيز بخطوات ثابتة تواجه فيه تحديات المستقبل لترسم صورة مشرقة يتكاثف فيها جهد الجميع إلى غد أفضل.

تأمل المجلة أن تجعل من أولوياتها دائما الكيف على حساب الكم في المقالات العلمية المنشورة، والاستمرارية في التميز والنجاح، وتجدد دعوة الباحثين للمساهمة وإثراء الساحة العلمية بكتاباتهم في المجلة الدولية للدراسات الإنسانية في قادم الأعداد.



كلمة رئيس التحرير
بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
بتوفيق من الله عز وجل، وباهتمام من مدير
الجامعة، وبتظافر جهود هيئة التحرير، نسعد
بإصدار العدد الثاني، للمجلة الدولية للدراسات
الإنسانية، متضمنا عشر مقالات من داخل
الوطن وخارجه، منها مقالين من خارج الوطن، الأول من دولة ليبيا، والثاني
من دولة السودان.

جاءت مواضيع العدد الثاني من المجلة ثرية في مجالات متعددة
وتخصصات مختلفة، تنوعت بين الأدب والتاريخ وعلم النفس والاقتصاد
وعلم الاجتماع لباحثين من جامعات مختلفة تساهم بطرح إشكالات متنوعة
وتسعى لإيجاد الحلول، كما تثري الساحة العلمية وتساهم في التراكمية
المعرفية والفكر الإنساني.

الاستمرارية هدفنا، الجدية والجودة في المواضيع المنتقاة مبتغانا، ونسعد
دوما بمشاركة الباحثين والمهتمين من داخل الوطن وخارجه بمقالاتهم
العلمية المتميزة.

رئيس التحرير
أ.د/ عبدالمجيد لخذاري



المجلة الدولية للدراسات الإنسانية



The International Journal of Human Studies

1. المجلة الدولية للدراسات الإنسانية ذات منظور متعدد التخصصات تقبل مساهمات الأساتذة والباحثين في المجالات التالية: (الأدب واللغات الأجنبية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، الحقوق والعلوم السياسية، اللغة والأدب العربي، العلوم الإنسانية والاجتماعية، علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، اللغة والثقافة الأمازيغية، الفنون)

2. تستقبل المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة باللغة العربية أو أي لغة أخرى في شتى التخصصات المرتبطة بمجالات المجلة.

3. ينبغي أن لا تقل الأعمال المقدمة للمجلة عن 10 صفحات، وأن لا تزيد عن 20 صفحة (5000 إلى 9000 كلمة).

4. يشترط أن يكون البحث المقدم أصيلاً ولم يسبق نشره، وأن لا يكون مستلاً، وأن لا يكون قيد التحكيم لدى مجلة أخرى.

5. تقدم البحوث على هيئة ملفات Word، على أن تكون المقالات المكتوبة باللغة العربية محررة بخط من نوع Sakkal Majalla بحجم 14، بمسافة 1,15 بين الأسطر، العنوان الرئيسي للمقال بحجم 16 عريض، العناوين الفرعية بحجم 14، وفي الهامش يكتب بخط من نوع Sakkal Majalla بحجم 12 بمسافة 1 بين الأسطر

أما المقالات المكتوبة باللغة الأجنبية فتكتب بخط Times New Roman بحجم 14، العنوان الرئيسي 12 عريض، والعناوين الفرعية بحجم 12، ويحدد الفاصل ما بين الأسطر بمسافة 1.5.

حقوق التأليف وأخلاقيات النشر

1. من أجل الحفاظ على سمعة المجلة وحماية حقوق مؤلفيها يتوجب الامتثال للقواعد الأخلاقية المتعلقة بالأمانة العلمية.

2. يلتزم المؤلف بنقل حقوق التأليف والنشر والطبع. للمجلة

3 المقالات والبحوث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الجامعة ولا عن رأي هيئة التحرير، وإنما تعبر فقط عن رأي مؤلفيها.

الملخص وبيانات المؤلف:

1. تتضمن الصفحة الأولى العنوان الكامل للمقال بلغتين، الاسم الكامل للباحث أو مجموعة الباحثين، المخبر. إن وجد، مؤسسة الانتماء، البلد وعنوان البريد الإلكتروني المهني، وملخص للبحث في حدود 150 كلمة بما في ذلك الكلمات المفتاحية.

2. يحرر الملخص الأول باللغة التي كتب بها المقال، فيما يحرر الملخص الثاني بلغة مغايرة، ويفضل أن تكون الملخصات الثانية باللغة الإنجليزية (إذا كانت البحوث المقدمة محررة بغير اللغة الإنجليزية).
3- يلتزم الباحث بطريقة التوثيق المعتمدة من طرف الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA)، وينبغي عليه إثبات المراجع والهوامش بالشكل الآلي الذي يوفره برنامج Word.

إعداد الجداول، الأشكال، الخرائط والصور:

1. ترقم وترتب الجداول والأشكال ترتيبا تصاعديا وتوضع في مكانها المناسب في المقال، ويجب أن تقدم هذه الجداول في حدود مقاس الورقة وبالنمط العمودي (portrait).
2. ترقم وترتب الخرائط والصور والأشكال ترقيما تصاعديا وتوضع داخل النص، ويشار إلى مصدرها كما يلي: اسم الخريطة أو الصورة أو الشكل رقم ().
3. ترسل الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع jpeg ، أو png .
4. يجب أن يكون عدد الخرائط والصور محدودا، وتخص فقط تلك التي تقدم معلومات هامة لا يمكن الاستغناء عنها .

إجراءات التحكيم والنشر:

1. تخضع كل البحوث والدراسات إلى الإغفال والتقييم السري من طرف محكمين مختصين، وتعتبر تقاريرهم أساس القبول أو الرفض أو التعديل.
2. المقالات المرسلة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
3. كل مقال لا تتوفر فيه هذه الشروط لا ينشر.
4. ترسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى البريد الإلكتروني:

revue@univ-khenchela.dz



الصفحة	عنوان المقال	رقم
43-10	تجليات الشعيرة في رواية "بحر الصمت" لياسمينه صالح	01
	د/نادية كتاف - جامعة جيجل	
65-44	اتخاذ القرارات الإدارية وأهميته في مؤسسات المعلومات	02
	أ.د/ مفتاح محمد دياب - جامعة طرابلس - ليبيا.	
89-66	التربية البيئية...هل هي مدخل لتميز المجتمع المدني العربي في تحقيق التنمية المستدامة؟ .	03
	أ.د/صباح بلقيدوم - جامعة خنشلة. د/ حياة مامن - جامعة خنشلة.	
101-90	التأصيل النفسي لسلوك المستهلك المعاصر	04
	أ/تهاني هاشم خليل عابدين- جامعة الخرطوم- السودان	
120-102	العامل الديني ودوره في استعمار إفريقيا	05
	د/عبدالرحمان قراش جامعة الجلفة	
160-121	السرد السيري (الملحمي و الجماعي) من منظور الدرس النقدي العربي القديم أيام العرب و ملاحمها في الجاهلية أنموذجا	06
	أ.د/عبد العزيز شويط ، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل	
180-161	التنبؤ بالتوجيه المدرسي المناسب لتلاميذ السنة الرابعة متوسط بالجزائر	07
	د/عبدالحفيظ معوشة- جامعة خنشلة	
197-181	مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية ودورها في تحسين جودة الأداء المهني للأستاذ الجامعي	08
	د/فاطمة بن زينب - جامعة وهران	
215-198	حوكمة التعليم العالي كآلية لضمان الجودة	09
	_ الحوكمة كقياس للتقويم الذاتي _ د/كريمة عباسي- جامعة سطيف. د/ عواطف مومن- جامعة خنشلة.	
228-216	أهمية احياء المناسبات الوطنية في الحفاظ على الذاكرة الوطنية الجزائرية	10
	د/رامي سيدي محمد	

تجليات الشعرية في رواية "بحر الصمت" لياسمينه صالح

Poetic manifestations in a novel **Bahr Essamt** By Yassmina Saleh

د. نادية كتاف جامعة جيجل، البريد الالكتروني المهني

nadda111@gmail.com

تاريخ الارسال: 2022-02-12 تاريخ القبول: 2022-10-23 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

ملخص

The present paper is a poetic study of the narrative novel *BahrEssamt* (the Sea of Silence), conducted through the analysis of the narrative structure of this Algerian novel, from characters, place, time, and other narrative structures to unveil the mechanisms and techniques of the narrative writing of the novelist.

Keywords: narration – novel – poetics – aesthetics – *Bahr Assamt*

يتناول هذا المقال دراسة للشعرية السردية أو الجمالية السردية في رواية بحر الصمت لياسمينه صالح، من خلال التحليل للبنية السردية لهذه الرواية الجزائرية سواء من خلال دراسة الشخصيات أم المكان أم الزمان أم غيرها من البنيات السردية وصولا إلى اكتشاف آليات وتقنيات الكتابة السردية لدى الروائي. الكلمات المفتاحية: السرد – الرواية – الشعرية – الجمالية – بحر الصمت.

مقدمة :

النص السردي الجزائري مع ياسمينه صالح ، و مع بحر الصمت تحديدا سعى بحق نحو تحقيق أدبية الأدب و سردية السرد و جمالية الرواية و فنية النص السردي الجزائري أو على الأقل هذا ما تحاول هذه المقاربة الجمالية الوصول إليه ، و الكشف عنه ، عبر خطوات المقاربة الجمالية لشعرية الرواية الجزائرية ، أو من خلال البحث في مكونات العمل السردي ، سواء اللغة أو المعجم أو عتبة العنوان أو المكان أو الزمان أو الشخصيات ، أو نظام الصورة ، أو الإيقاع ، أو ما إلى ذلك ، وعليه ؛ فقد نفى هذا العمل كل مزاعم القول بالأدب التسجيلي الذي أرادته عقلية هذه بضاعتنا ردت إلينا في زمنها المعاصر ، فإلى أي مدى كانت مستويات الفنية و الجمالية متوفرة في هذا النص و من خلاله الرواية الجزائرية عالية ؟ وما هي السمات الأدبية الغالبة عليها لتحقيق شعرية سردية بارزة؟

1-الشَّعْر/النَّثْر، السَّرْد:

منذ أرسطو والخلاف لا يزال قائما بين النقاد والدارسين حول قضية الشَّعْر والنَّثْر بسبب الاختلاف القائم بينهما «المرتبط منذ القديم بثنائية نسبية تخص الميزة الخاصة لكل جنس (شعر/نثر)»(يعقوب، 2004، صفحة 35). وتفاقم الخلاف أكثر «بسبب التّرحح عن المعايير الصّارمة لكل جنس»(يعقوب، 2004، صفحة 35) شكلا ومضمونا. ومع ذلك نعثّر على نماذج أدبية قديمة «أثبتت التفاعل بين الشَّعْر والسَّرْد، وذلك أنّ الملاحم نظمت شعرا (الأوديسا والإلياذة لهوميروس)، وفي مغامرات الفروسية الأوروبية (Romances) اخترق الشَّعْر السَّرْد النَثْرِي»(كمون، 2007، صفحة 18).

وترجع القطيعة الحقيقية التي حصلت بين الشَّعْر والسَّرْد إلى أواخر القرن التّاسع عشر (في فرنسا) التي مهّد لها مجموعة من الشّعراء مثل: رمبو، ملارمييه، بودلير... واستمرّت إلى القرن العشرين لتشمل الشَّعْر والنَّثْر وتخضعهما لمبدأ التّقابل مكرّسة الفصل التّام بين الأجناس الأدبية(كمون، 2007، صفحة 17)؛ تحمّس لها العديد من الباحثين والنقاد مثل رومان ياكبسون وجان كوهن...



ورغم هذا الفصل الصّارم الذي فرضه النقاد على الأجناس؛ نلّمح نماذج أدبية تمكّنت من «أن تخرق الحدود وتهتك الحواجز، فاجتمع الشّعْر والسّرد في خطاب واحد وإن بدرجات مختلفة» (كمون، 2007، صفحة 17). ففي تلك الفترة (القرن التاسع عشر) ظهرت أجناس تتمتع من الشّعْر والتّثر معا «مثل قصيدة التّثر والقصة الشّعرية والتّثر الشّعري والشّعْر القصصي» (كمون، 2007، صفحة 17).

ولو رجعنا إلى الموروث العربي نلفي النقاد القدامى فصلوا بين الأجناس الأدبية (شعر ونثر) فصلا يوجي باستقلالها التّام عند بعضهم مثل ابن طباطبا وآخر يوجي ببعض التّداخل بينها عند آخرين مثل أبي حيان التّوحيدي...

وظاهرة اختراق الشّعْر للسّرد لا نعدمها في الأشكال السّردية القديمة سواء تعلّق الأمر بالمقامات أم السّير الشّعبية أم حكايات ألف ليلة وليلة... دون أن ننسى التّنويه بكتابات أبي حيان التّوحيدي المختلفة (مثل: الإمتاع والمؤانسة، الإشارات الإلهية...) وأبي العلاء المعري (في رسالة الغفران) وابن حزم (في طوق الحمامة في الألفة والآلاف)، «بيد أنّه ينبغي الإشارة إلى أنّ الشّعْر يحضر حضورا مختلفا في هذه الكتابات، إذ يحضر في ذاته (حضور أبيات من الشّعْر) وقد يحضر أسلوبا (الكتابة التّثرية تستدعي أساليب الشّعْر)» (كمون، 2007، صفحة 22).

في العصر الحديث نلحظ التّداخل والتّفاعل بين الشّعْر والسّرد عند الرومانسيين وبالأخص عند جبران خليل جبران (العواصف، الأجنحة المتكسّرة، دمة وابتسامة...)، إذ حاول خرق الحواجز بين الشّعْر والتّثر؛ فكان «نثره ينطوي على اندفاع شعري قوي يدخل في ضمن إطار "شعري" واسع» (الجيوسي، 2001، صفحة 144).

والأمر نفسه يقال عن اختراق السّرد للشّعْر وهذا ما يشير إليه كثير من الدّارسين والنقاد المحدثين، ففي الموروث الشّعري القديم نلفي السّرد والحكاية بوجه الخصوص «تظهر بنسب متفاوتة في أغراض شعرية عديدة؛ غير أنّه يبدو أنّ الشّعْر الغزلي هو الذي يشكّل المجال المتميّز حيث بالإمكان ملاحظتها بوفرة» (العلاق، الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة

الحديثة، صفحة 157) أما فيما يخص تعلق هذه الظاهرة بالشعر الحديث فيمكننا الرجوع إلى العديد من الدراسات الحديثة مثل كتاب "القصة الشعرية في العصر الحديث" لعزيرة مريدن... الخ

1-1 شعرية الرواية:

تعدّ الرواية من أبرز الأجناس الأدبية القادرة على احتضان أجناس أدبية أخرى لما «انضوى عليه شكلها الفني من قدرة فائقة على الاحتواء والتبدّل» (علقم، 2006، صفحة 07)، أكسبها القدرة على انتحال بعض خصوصيات الأجناس الأدبية الأخرى والأخذ منها وعلى رأسها الشعر.

ظهرت الرواية الشعرية في الغرب في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محققة «التلاقح بين الشعري والزوائي ذلك أنّها من حيث الحكاية والشخصية والفضاء الحكائي والزماني تعتبر روايات أما من جهة اللغة فهي تستخدم أساليب الشعر» (كمون، 2007، صفحة 26).

وعنت الدراسات الغربية بدراسة هذه الظاهرة وتتبع مسارها التاريخي أو التنويه بها؛ ومن أشهر هذه الدراسات: كتاب "أزمة الرواية" لميشال ريمون، وكتاب "تاريخ الرواية الحديثة" ل.ر. مألبريس، وكتاب "الرواية والشعرية" لهنري بوناى... (كمون، 2007، الصفحات 24-29).

أما في ساحة الإبداع الأدبي العربي فيتفق كثير من الدارسين على أنّ ظهور الرواية الشعرية العربية زامن المرحلة الرومانسية، وتعد رواية "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران أول رواية شعرية عربية، لكنّ هذه الظاهرة تراجعت وكادت تختفي بعد ذلك حتّى الثمانينيات بظهور بعض الزوايات الشعرية مثل: "رامة والتنين" و "الزمن الآخر" لإدوار الخراط، "متاهة الأعراب في ناطحات السراب" لمؤنس الرزاز، "وليمة لأعشاب البحر" لحيدر حيدر، "ذاكرة الجسد" و "فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي... الخ

وصاحب ظهور هذه الروايات اهتمام العديد من النقاد والزوايين العرب بظاهرة "الشعرية الروائية"، وعلى رأس هؤلاء "إدوار الخراط" الذي أكد ضرورة تجاوز مفهوم نقاء الجنس أو النوع، وكرس اهتمامه لرصد هذه الظاهرة إبداعاً ونقداً ودراسة، وله في ذلك كتابان رائدان وهما "مهاجمة المستحيل" و"الكتابة عبر النوعية"، وفيهما ابتدع بعض المصطلحات التي تطمح إلى الزيادة والتأسيس النقدي لهذه الظاهرة؛ مثل: الكتابة عبر النوعية، النص المفتوح، الرواية-الشعر، القصّة-الرواية...

يقول: «نستطيع نحن أن نجد الآن الرواية-القصيدة التي يمكن أن نجد فيها سمات وخصائص الشعر دون أن ننتهي مع ذلك إلى جنس الشعر لأنّ السردية فيها مازال لها وجود بل أولوية لكتّما موضوعة في صياغة شعرية» (كمون، 2007، صفحة 32)، ويقول: «إنّ القصص والروايات التي كتبتّها منذ الأربعينات وحتى الآن يسري فيها روح شعري مخامر وأساسي وليس مجرد إضافة أو زينة أو اقتحام بل هو نوع من الانصهار بين عناصر السرد القصصية وعناصر الشعر الأساسية» (كمون، 2007، صفحة 32).

ويحاول "نبيل سليمان" إبراز مظاهر الشعرية الروائية ويراها تتجلى في «كسر الترتيب السردية، وفك العقدة التقليدية، وتحطيم الزمن المستقيم، وتهديد بنية اللغة، وتوسيع دلالة الواقع ليعود إليها الحلم والأسطورة والشعر، واستخدام صيغة الأنا لتعرية الذات... على أنّ رهان الشعرية الروائية الحاسم يكون في اللغة، في الكلمة والتراكيب، فيما يسميه الخراط بالإصااتة» (سليمان، 2000، صفحة 106).

ويشير إلى أهمّ الممارسات النقدية العربية التي يعتقد أنّها تعمّقت في بحث هذه المسألة، ويتعلّق الأمر بفريال جبوري غزول في دراستها "الرواية الشعرية العربية المعاصرة نموذجاً لأصالة الحداثة"، وسعيد يقطين في "القراءة والتّجربة". ويذكر مقومات الرواية الشعرية التي رصدتها الناقدة فريال جبوري (سليمان، 2000، صفحة 108) وسعيد

يقطين(سليمان، 2000، صفحة 109)، والتي يمكن جمعها في المقومات الآتية(وغليسي، 2007، الصفحات 133-134).

- تفكك المادّة الحكائيّة بفعل انفراط حيكمتها وتشظّي أحداثها.
 - انكسار الزّمن الخطّي للسرد، أو تحطيم عمود السرد (بلغة يقطين)، بفعل التّداعيات الحرّة في استرجاعاتها واستشرافاتها.
 - تمفصل النّص السردّي إلى مقاطع جزئية تربطها خيوط رفيعة، وقد يستقل كل مقطع منها بعنوان فرعي خاص.
 - الإغراق في المشاهد الوصفية.
 - تعدّد الرواة وتمازج الضّمائر السردية.
 - هيمنة السرد بضمير المتكلم، وتغليب الرّؤية السردية المتصاحبة.
 - صعوبة الإحالة على مرجعية خارجية محدّدة.
 - تصوير الشّخصيات بإحساءات اللّغة المجازية.
 - انزياح اللّغة السردية عن المألوف السردّي، واحتفاؤها بلغة الشّعور المنثور.
- ونلمح عند "عبد الرحمن منيف" الإشارة إلى هذه المسألة وإن كانت آراؤه تتضارب مع آراء سابقه (إدوار الخراط، نبيل سليمان، سعيد يقطين، فريال جبوري)، يقول: «من المظاهر اللافتة للنظر في الرواية العربية المقدار الكبير الهائل من الرّخرفة اللّغوية وقد يكون لجزء من هذه الرّخرفة صلة بالشّعور، أو بالصّور الشعريّة، وقد يقترب بعضها من الشّعور الحقيقي، لكن دون أن يكون لها علاقة عضوية بالبنية الروائية»(يعقوب، 2004، صفحة 35). وهذا الأمر -في اعتقاده- مجرد هذيان وإظهار للبراعة اللّغوية في أحسن حالاته؛ يقول: «إنّ ما حصل في الشّعور، وكان ضروريا ومفيدا، لا يستوجب التكرار في الرواية. وإذا كانت الرواية الشعريّة ذروة الرواية بمعناها المطلق فإنّ الفرق كبير بين هذه الرواية وبين الهذيان،

والذي لا يمكن تصنيفه في الرواية أو الشّعر، والذي لا يتعدّى في أحسن حالاته إظهار البراعة اللّغوية» (منيف، 1990، صفحة 224).

وكذا "سامي سويدان" أثناء تحليله لرواية "الوجوه البيضاء" لإلياس الخوري تُعَلِّب على حديثه الضّبابية (سليمان، 2000، صفحة 106) وكأنّه اضطرّ إليه اضطراراً (وغليسي، 2007، صفحة 131) حين تحدّث عن التّدايعات الشّعريّة التي لا بست الرواية؛ ومع ذلك يؤكّد أنّه "نص نثري روائي"؛ يقول: «فيغرق النّص بما يشبه التّدايع الذي يكاد يمضي إلى متاهات بعيدة، ولكنّها ليست منقطعة الصّلة بموضوع البحث، من هذا التّدايع بالذّات يتولّد قول أقرب ما يكون إلى الشّعر، ويصبح النّص الرّوائي ارتكازاً إلى التّحقيق والتّدايع المولّدين للأخبار أو الشّعر، نصّاً يحاول فن القول وجمال التّعبير، نصّاً شعرياً بقدر ما هو قصصي، بل كأنّ شعريته قائمة في قسّة، والعكس صحيح» (سويدان، 2000، الصفحات 216-217).

1-2 الشعرية في الرواية الجزائرية:

في حقل الممارسة الإبداعية الجزائرية لا نكاد نعثر إلا على بعض التّماذج لبعض المبدعين مثل أحلام مستغانمي في رواية "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس"، وياسمينه صالح في رواية بحر الصّمت... ومن خلال رواية هذه الأخيرة -بحر الصّمت (صالح، 2001)- سنحاول التطرّق إلى تجلي الشعرية ومظاهر حضورها في الرواية الجزائرية المعاصرة.

2- تجليات الشعرية في رواية "بحر الصّمت" لياسمينه صالح:

الرّواية حكاية تشبه قصيدة شعرية حزينة تحكي أوجاع السّارد وانكساراته... هي اعتراف وبوح بفجائع الماضي وخطاياها، تتكى على الحقيقة وتدنيها... السّبب "الحب" وما حمله من ثورة وأوجاع وموت وخيبة وصمت وفجاعة... بحر من الصّمت وفيض من الألم...

1-2-1 شعرية اللّغة:

يقول عبد الملك مرتاض: «اللّغة هي أساس الجمال في العمل الإبداعي من حيث هو؛ ومن ذلك، الرّواية التي ينهض تشكيلها على اللّغة» (مرتاض، 1989، صفحة 119). وتوضيحا لقوله

يقول: «وقد تكون اللّغة في الرواية هي أهم ما يهض عليه بناؤها الفني؛ فالشخصية تستعمل اللّغة، أو توصف بها، أو تصف، هي، بها؛ مثلها مثل المكان أو الحيز والزّمان والحدث... فما كان ليكون وجود لهذه العناصر أو المشكّلات، في العمل الروائي لولا اللّغة» (مرتاض، 1989، صفحة 125). فاللّغة عنصر مهمّ جدّاً في تشكيل النّص ووحداته الدّلالية، فمن خلالها نفتفي أثر الشّعْر في النّثر ونتبيّن شعرية النّص الرّوائي، لذلك سنتناولها من عدّة مستويات:

2-2- شعرية المعجم اللّغوي:

بغض النّظر عن الخلاف القائم بين الدّارسين حول معجم الشّعْر ومعجم الرّواية وشعرية اللّغة الشّعْرية وشعرية اللّغة الرّوائية... وغيرها من الإشكالات التي لازالت تثير نقاشا حادا؛ «فإنّ الدّراسات التّقديّة الحديثة تكاد تجمع على أنّ المعجم المهيمن في الشّعْر هو معجم الدّات والوجدان والمشاعر في حين أنّ معجم الرّواية هو معجم الموضوع، المرجع والواقع» (كمون، 2007، صفحة 46).

تزخر رواية "بحر الصمت" بكم هائل من الألفاظ الدّالة على الدّات والوجدان والمشاعر (الحب، الثّورة، الصّمت، الموت، الحقيقة، الوطن، الحزن... الخ)، ولعلّ هذا الانتقاء هو ما يحمل المتلقي على الإحساس بتألف الرّواية مع الشّعْر.

وقد تحمل اللفظة معنيين: شعري وغير شعري؛ مثل:

- الثّورة لها معنى شعري إذا ارتبطت بالوجدان والدّات (عاطفة الحب): مثل: «حبّي له شكل الثّورة، وقلق الثّورة» (صالح، 2001، صفحة 37)، ومعنى غير شعري إذا ارتبطت بالواقع والمرجع.

- البحر له معنى شعري إذا ارتبط بالوجدان والدّات؛ مثل: «يا بحر ذاكرتي، وصمتي وأحزاني» (صالح، 2001، صفحة 83)، ومعنى غير شعري إذا ارتبط بالواقع والمرجع.

-المدينة لها معنى شعري إذا ارتبطت بالوجدان والذّات؛ مثل: «كل المدن كاذبة سيّدي، وهذه المدينة قتلت قلبي وغرست فيه رايتها البيضاء» (صالح، 2001، صفحة 105)، ومعنى غير شعري إذا ارتبطت بالواقع والمرجع.

والكاتبة مولعة بتكرار هذه الألفاظ الدّالة على الذّات والوجدان والمشاعر رغم أنّ التكرار خاصيّة شعريّة «وأمر غير مألوف في جنس الرّواية (...) فالّتكرار في الرّواية يكاد يكون عيبا ونقيصة في حين أنّه في الشّعْر مستحسن ووظيفي» (كمون، 2007، صفحة 62). هذه الظّاهرة (التّكرار) أكسبت الرّواية صفة الشّعريّة؛ وتواترها يؤكّد ولع الرّوائية بانتقاء اللّغة من أوّل عتبة في الرّواية (العنوان) إلى آخرها؛ لتستأثر على انتباه المتلقي فيسترعي اهتمامه الحكي واللّغة معا.

2-3 شعرية العنوان:

هذه العتبة هي أوّل ما يستقبل المتلقي وتجاوزها يفضي إلى فضاء النّص، تشبه الفخ الذي يمارس الغواية والسّلطة على القارئ مورّطاً إياه في الممارسة القرائية، ويتوقّف ذلك على مدى مهارة المبدع في تفخيخ العنوان وشحنه بالإثارة والإغراء والغرابة.

والعنوان من المفاتيح الأولى التي تفتح مغاليق النّص (بدري، 2000، صفحة 28) وتعكس هويّته «التي يمكن أن تختزل فيها معانيه ودلالاته المختلفة، ليس هذا فحسب، بل حتى مرجعيّاته وإيديولوجيّاته» (بدري، 2000، صفحة 81) لذلك تعدّدت وظائفه الفنيّة.

ورواية "بحر الصّمت" تحمل عنوانا مختصرا اختزل نصّا طويلا امتد إلى 127 صفحة. من النّاحية التّركيبية يتكوّن العنوان من وحدتين: "بحر" و "الصّمت"، تشكّلان جملة اسمية بسيطة تتكوّن من مبتدأ (بحر) وخبر (الصّمت)، وخاصيّة الاسميّة التي اتّسم بها هذا العنوان تضيف معنى الثّبات والاستقرار والدّوام على الحال.

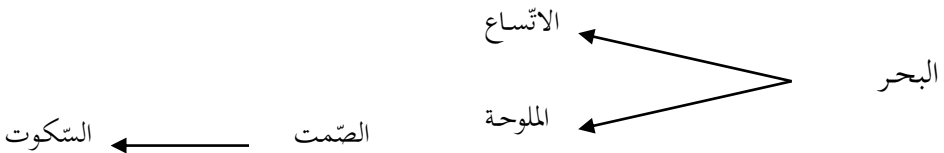
أمّا من النّاحية المعجميّة والدلاليّة للوحدتين:

بحر: جاء في لسان العرب «البَحْرُ: الماء الكثير، مِلْحًا كان أو عَذْبًا، وهو خلاف البَرِّ، سُمِّيَ بذلك لعمقه واتّساعه، وقد غلب على المِلْح حتى قلَّ في العَذْبِ، وجمعه أبحرٌ وبُحُور وبِحَارٌ» (منظور، 1997، صفحة 41).

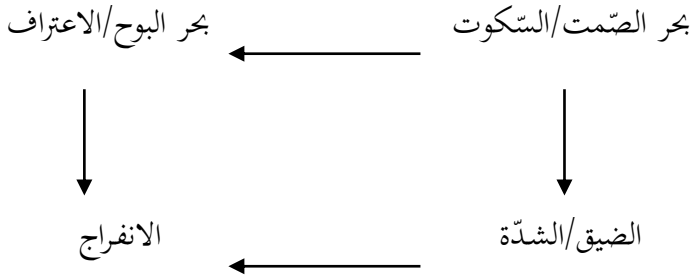
وقال ابن بري: «وسُمِّيَ البَحْرُ بَحْرًا لملوحته، يُقال: ماءٌ بَحْرٌ أي مِلْحٌ، وأمّا غيره فقال، إنّما سُمِّيَ البحر بحرًا لسعته وانبساطه...» (منظور، 1997، صفحة 41).

الصّمت: «صَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتًا وَصُمْتُتًا وَصُمُوتًا وَصُمَاتًا، وَأَصْمَتَ: أَطَالَ السَّكُوتَ» (منظور، 1997، صفحة 54)، و«الصّمتُ السَّكُوتُ» (منظور، 1997، صفحة 55).

والبحر في رواية "بحر الصّمت" ليس البحر الذي نعرفه المنفتح الممتد الكثير الماء والملح بل هو تعبير مجازي فقط، لأنّه لا يوجد في الواقع بحر من الصّمت يحمل معنى الاتّساع والانفتاح والامتداد الذي لا نهاية له أو يحمل معنى الملوحة القاسية.



بحر من الذّكريات وبحر من الصّمت/السّكوت ممتد بين الوالد وابنته، وإرادة البوح/الاعتراف تتفجّر- في الأخير- معلنة اختراق الصّمت الطّويل المسكون بالألم الذي لا حدود له.. الواسع والممتد كالبحر اللّامنتهي، والقاسي إلى حدّ البكاء؛ قسوته تشبه ملوحة البحر التي لا تطاق.. فمن رحم المفارقة التي حملتها الثّنائية الضديّة الصّمت/البوح تتولّد المعاناة التي كان دورها مهما في البناء الدّلالي للنّص الرّوائي، ويرتبط البحر بمعناه المجازي باللفظتين معا (الصّمت، البوح) من حيث علاقات السّلب (-) والإيجاب (+).



هذه الألفاظ زاخرة بالشعرية وهي قريبة من لغة الوجدان والعواطف، فالصّمت قد يكون بسبب: التّدكّر، التأمّل، الحزن، الألم، الهم، العجب، الخيبة، الانكسار، الفراغ... الخ، أمّا البحر «وما يشتمل عليه من تداعيات دلالية صارت، بحكم الرّمن وتراكم الموروث، متجذّرة في الدّكرة الشّعريّة» (العلاق، الدلالة المرثية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، صفحة 125)، وظّفه الشّعراء في قصائدهم وحملوه مدلولات رمزية وإيحائية عبّرت عن مشاعرهم وعواطفهم وانفعالاتهم، وعلى رأس هؤلاء "امرئ القيس" - أمير الشّعراء- الذي يقول:

وليل كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرَحَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فكلمة "بحر" و"الصّمت" تحملان شحنات دلالية وجدانية تقرّبهما من لغة الشّعْر، ما يجعل لغة الرّواية قريبة من لغة الشّعْر لما تحويه من ألفاظ تتعالق مع الوجدان والمشاعر وتستدعي الإغراق فيها... فأغراق لغة العنوان «في حقل الوجدان يقرب لغة الرّواية من لغة الشّعْر. ذلك أنّ الوظيفتين التّأثيرية والانفعالية مرتبطتان بالشّعْر أكثر من ارتباطهما بالرّواية. ولغة الوجدان هي لغة التّأثير والانفعال بامتياز» (كمون، 2007، صفحة 67).

2-4- شعرية التّركيب:

سننظرُق إليها من حيث: أ- بناء الجملة. ب- بناء المقطع.

أ-بناء الجملة:

سنتناولها من حيث ترتيب الكلمات في الجملة، ونقصد بذلك ما يعرف نحويًا بظاهرة "التقديم والتأخير". هذه الأخيرة متعلّقة بالشعر وتغلب عليه أكثر من النثر، وإن كانت تحضر فيهما معا (الشعر والنثر)؛ لكون اللغة الإبداعية كثيرا ما «تتعرّض للخرق والانتهاك لاسيما في الخطاب الشعري فقد غدت اللغة الشعرية لغة الانحراف والعدول عن اللغة الشائعة والمألوفة» (كمون، 2007، صفحة 74). بيد أنّ «الانحراف المقصود هو ذلك الذي يحمل قيمة جمالية فنيّة ويخلق توترا يدعّم شعريّة اللغة» (كمون، 2007، صفحة 74).

يلاحظ تواتر هذه الظاهرة بكثرة في رواية "بحر الصّمت" -لا تكاد تخلو صفحة منها- فكثيرا ما نلاحظ تغييرا في ترتيب الكلمات وخرقا لنظام الجملة المعروف. نأخذ بعض الأمثلة من الفصل الأوّل والفصل الحادي عشر.

الفصل	الصّفحة	التّقديم والتّأخير
الأوّل (07-05)	(ص05)	- "فجأة جاءت ابنتي، وفجأة فقدت صوتي وذراعي" - "بعد كلّ هذا العمر من الانكسار والانتظار، تمنيت لو كنت أستطيع أن أمدّ يدي نحوها" - "ابنتي هي الحقيقة العارية من الادّعاء.. ابنتي هي المواجهة التي طالما خفت منها".
	(ص06)	- "في عينيها قرأت نهايتي وبداية الأشياء.." - "شعري الأبيض لا يضيء على عمري وقارا، والتّجاعيد في وجهي تنتقم منّي.."

	(ص 07)	- "أنا وحيد خارج عنفوانك الغض" - "إنّها ثائرة هذه الصّغيرة" - "شيخوختي تأبى التنازل لنزوة كهذه" - "يطاردني الصّمت والعمر يترنح قبالي" - "عينها تطلقان النّار على كهولتي.. صمتها يحتقرني.."
الحادي	(ص 53)	- "الخريف يوخز قلبي"
عشر	(ص 54)	- "عينا ابنتي أعادتني إلى يوم محزن" - "وكانت يومها في السّابعة من العمر، وكنت يومها سياسيا نشطا.." - "يومها بكت كثيرا" - "يا ابنتي سامحيني"
(54-53)		

فالجمله تفقد ألقها لو بقيت محافظة على نظامها المعروف، والتّقديم والتّأخير يُلقيان أبعادا جمالية على النّص الرّوائي و«يولّدان إيقاعا تطرب له النّفس ويحقّقان شعريّة الكلام ما دام الإيقاع هو جوهر الشّعر» (كمون، 2007، صفحة 87).

ب- بناء المقطع: (تركيب الجمل)

ما يميّز الجمل في الرّواية هو ترابطها المنطقي والسّببي، والأمر مختلف تماما بالنّسبة للشّعر كونه يفقد خاصية التّرابط المنطقي ويجنح إلى التّفكّك والتّفنّت والانقطاع بين الجمل؛ هذا الملمح لا نعدم وجوده في الرّواية الحديثة التي تفاعلت مع الشّعر وانجذبت له.

رواية "بحر الصّمت" تمتع من السّرد ومن الشّعر معا، إذ يتمازج فيها السّرد مع الشّعري، نجد مقاطع تحتكم إلى سلطة السّرد وأخرى تخرج عنه، وما يهّمنا هو ضروب الخرق والخروج عن المألوف (الانقطاع والتّفكّك والتّفنّت) في مقاطع الرّواية.

من أمثلة ذلك:



- «في البدء كنت بلا تاريخ

وفجأة صار التاريخ كله ملكي وحدي..

معقول أن يعيش الإنسان حياديًا بعد أن يراك؟

أنت، يا معادلة لم أتمكن من حلّ شفرتها السرية،

أنت، يا حكاية غزلها شهر "ماي" بلون الورد بلون الجنون الجميل النَّابض بالحريق

والوجع»(صالح، 2001، صفحة 39).

- «في ليلة مدهشة جاءني الوطن على شكل امرأة مغمورة بالتساؤل، والغرور، وقالت

لي "تعال"، فجئت.. أكان ممكنا بعدما قابلتكِ ألا أجيء؟

يا امرأة مدجّجة بالسلاح

يل معركة دخلتها خاسرا وخرجت منها معطوبا حتى الموت

يا ذاكرة بلون الوطن، وقساوة الوطن، وعقاب الوطن..

يا حكاية تلخّصها حروف اسمك السهل/ الصّعب/ المستحيل..»(صالح، 2001،

صفحة 51).

نلحظ التّفكّك والانقطاع بين الجمل وعدم وجود ترتيب منطقي وسببيّ بينها، حتّى الفضاء

النّصي أو بمعنى آخر البياض والسّواد وتوزيع علامات التّرقيم ينحو بالنّص منحى شعريًا فكأننا

أمام مقاطع شعرية لا سردية، وهذا ما يكسب النّص صفة الشّعرية.

3-شعرية الصّورة:

تختلف لغة الشّعر عن لغة السّرد من حيث كون الأولى لغة إيحائية إشارية والثّانية لغة

تقريرية إخبارية، فالصّور البلاغية والأساليب المجازية نرصد حضورها المكثّف في الشّعر وهي

جوهر اللّغة الشّعرية؛ وهذا «لا ينفى أنّ لغة السّرد قد تستخدم بعض الصّور والمجازات (..)

ولكن ممّا لا شكّ فيه أنّ حضور المجازات في السّرد القصصي أو الرّوائي مختلف عنه في

الشعر، فهو في السرد نادر وعرضي في حين أنه في الشعر شائع متواتر جوهرى» (كمون، 2007، صفحة 102).

لغة رواية "بحر الصمت" تتعد عن التقرير والإخبار وتزخر بالصّور البلاغية والأساليب المجازية، لذا فهي لغة زاخرة بالدلالة والإيحاء والتكثيف وهذا ما يحقّق شعريّتها. على سبيل المثال نأخذ أمثلة من الفصل التاسع:

الصّورة	الصّفحة
<p>- "ماي" الرّبيع الموشح بأحلام الطّبيعة المغمّسة في فسيفساء الألوان، هو نفسه "ماي" الذي تحمل ذاكرته على عاتقها أحزان شعب كامل.. ذاكرة وطن تشهد أنّ "قالمة"، خراطة"، "سطيف"، ليست مجرد مدن بقدر ما هي عشق حميم على ضفّة بحر تسكنه حورية خالدة.. لشدّ ما كان مثيرا ذلك الشّهر، كان يأتي متأبطا حقيته التّاريخية المكتنّزة بالأحداث، بالأسماء والشّهداء"</p> <p>- "أنت، يا معادلة لم أتمكّن من حلّ شفرتها السرية"</p> <p>- "أنت، يا حكاية غزلها شهر "ماي" بلون الورد والجنون الجميل التّابض بالحريق والوجع"</p> <p>- "يا لتلك اللّيلة التي قادتني إلى بيتك.. إليك"</p>	(ص39)
<p>- "كنت سعيدا وأنا أذهب بفكرة الحميمية التي تدنّرت بها صداقتنا العجيبة"</p> <p>- "بيد أنّ صداقتنا المبنية على كلّ أشكال التّناقضات والمستحيلات حققت بيننا وثاما مدهشا"</p> <p>- "كنت أبدو ككص هارب إلى قدر ما"</p> <p>- "لم أكن أدري ساعتها أنني أهرب إلى قدرتي المقدّس"</p> <p>- "بقلب يخفق بين ضلوعي مجنوننا حدّ الموت"</p> <p>- "سمعت طنيننا غريبا في أذني فسقط مّي الكلام.."</p>	(ص40)

	<p>- "تنظرين إلي يدهشة مأكرة"</p> <p>- "وكنت أغمض عيني وأفتحهما، <u>كطفل</u> فاجأه خياله بصورة حلم بها طويلا"</p> <p>- "فجأة صار <u>تاريخي</u> مرادفا لك"</p> <p>- "<u>عينك</u> قالت لي أنّ <u>العمر</u> رحلة مشيتها زحفا على ركبتى للوصول إليك.."</p> <p>- "كنت مبهورا، ساذجا على <u>حافة البكاء</u>"</p> <p>- "كان وجهه واضحا <u>كشمس</u> "ماي"، ودافئا <u>كنسائمه</u>، عذبا <u>كمساءاته</u>.."</p>
(ص 41)	<p>- "أدركت حينها وأنا واقف أمامك أنّ <u>مراهقة الثلاثينات</u> أشدّ <u>جنونا</u> من مراهقة العشرينات"</p> <p>- "هي <u>الرّبيع</u> الذي كان <u>يسدل</u> شعره <u>الكستنائي</u> <u>التّاعم</u> على <u>كتفيه</u>.. ويلبس <u>فستانا</u> ورديا فاتحا.. <u>الرّبيع</u> الذي كانت له <u>ابتسامه الفرح</u> ووجه <u>كالورد</u>، وعينان كحقل مفتوح <u>للشمس</u> ولغناء <u>العصافير</u>.. حقل شاسع <u>كالحب</u>.."</p> <p>- "كنت أرتعش من فكرة الوحدة التي غلبتني على أمري، <u>طوال ثلاثين عاما</u> <u>فارغا</u>"</p>
(ص 42)	<p>- "بعينها وفستانها <u>الرّبيعي</u> <u>المغزول</u> لأجل "ماي"..."</p> <p>- "فقط <u>العاصمه</u> التي كانت قادرة على <u>استدراج</u> <u>الفرح</u> <u>الحميم</u> هكذا، ببساطة <u>قويه</u> فتفتح <u>شبيهة</u> <u>الكلام</u> بلا <u>تصنّع</u> ولا <u>رياء</u>"</p> <p>- "عينها خضراوان <u>كعشب</u> <u>عذري</u>، قرأت فيهما <u>بريقا</u> <u>غامضا</u>.."</p> <p>- "كنت <u>مصعوقا</u> من فكرة ما قبل عني!"</p> <p>- "لماذا لم أعرف يومها أنّي <u>أنجرت</u> <u>خلف</u> <u>التيار</u>، وأنّ <u>التيار</u> لن يقودني أبدا إلى منطقة آمنه"</p> <p>- "انتفضت من مكاني <u>كمن</u> <u>مسّه</u> <u>الجن</u>.."</p> <p>- "استغرق الوقت <u>دقيقة</u> <u>مهلكة</u>"</p>

<p>(ص43)</p>	<p>- "نحتاج دائما إلى هامش نصحح فيه أخطاءنا" - "كان السؤال يأكلني" - "فجأة كنت مسترخيا أمامها، كأنني عشت العمر كله إلى جوارها"</p>
<p>(ص44)</p>	<p>- "إنك تعيديني إلى نصف عمري السابق، وتفتحيني على فرحة خالصة" - "كنت طفلا، يتيما، يجر أسئلة تثير غيظ أب يكره الإجابة" - "تزوجت وغادرت القرية تاركة إياه للوقت كي يسلك ذكراها عن شجرة العائلة"</p>
<p>(ص40)</p>	<p>- "لما عادت إلى القرية، لم يقتلها كما قالت أعراف الرجال" - "كان جي بلكور من أعرق الشوارع التي صنعتني" - "كنت أكبر بإحساس جميل وغامض، طرد عني بيتي القديم" - "كان ثمّة حلم جميل وصادق ينمو في قلبي" - "وتلك كانت حماقة اسمها الكلام بطقوس الوطن" - "وكانت تنظر إلي كأم تنظر إلى وحيدها" - "ورأيت ابتسامتها في عينيها أيضا دفنا رائعا" - "القدر الذي جمعني بها في بيته وخلقني ثانية في بيته، وأعاد لي أمي في بيته"</p>
<p>(ص46)</p>	<p>- "ربما هي الحرب لا تعطي للزواج شكله الرسي" - "امرأة كنت أجهلها في الصباح فصارت في المساء مركز اهتمامي، وقبله مشاعري.." - "أعادني صوتها الخانق"</p>
<p>(ص47)</p>	<p>- ميلادي حقيقة بشهد عليها شهر "ماي" المقدس" - "ألهذا الحد اقتلعتني من جذوري الأولى؟" - "كأنني افتقدته حقا"</p>



	<p>- "يرمي <u>بنظرة عتاب</u>"</p>
(ص48)	<p>- "كأنه جاء ليملي عليّ ما أفعله" - "كأنه تخيل ما يدور في خلدي" - "بعد صمت ثقيل بيننا" - "ليعرض عضلاته الوطنية باسم الصداقة.. - "وأنا أصغي إليه بصمت خائف" - "كنا أشبه بخطين متوازيين لا يمكن هنا الالتقاء أبدا"</p>
(ص49)	<p>- "كانت <u>السخرية مفتوحة على مصراعها</u>" - "كنت حقا متفرجا حزينا جاء يقتل حزنه أمام مسرحية درامية من الدرجة الرديئة" - "السخرية التي طاردتني، لا بد أن أضحك عليها، تماما مثلما ضحكت عليّ.. - "<u>الظروف التي صنعت "قدور"</u> هي نفسها <u>الظروف التي جعلتني وريثا وحيدا</u> لثورة فاسدة.. - "<u>فوحدها المرحلة قادرة على غربة الوطنيين وكشف الجبناء والعملاء والخونة</u>.. - "كان <u>ماي</u>" مخيفا قبل نهاية الليل، وكنت بالنسبة إليه مجرد حالة فقط، وكان هو ذاكرتي التي تستردني كل سنة" - "<u>حرية الرّفص ماهي سوى وصمة العار التي تلصقها الجمّة على جبين الجبناء لتذكّرهم دائما أنّهم لا ينتمون إلى الوطن تماما، وأنهم أشباه جزائريين لا أكثر!</u>"</p>

(ص 50)	<p>- «كأنّي لست أنا من جلس إليها مساء جميلاً من العمر، ليسرد تاريخه كاملاً.. كأنّها ليست هي من رماني في طوفان المشاعر والظنون..» - «فجأة هدأ الليل في قلبي، وتحولت لحظات التوتّر التي انتابني إلى حالة من الطمأنينة..» - «كأنّ العاصفة التي مرّت فوقني لم تهدم سقفا من كياني..» - «وحدها فجّرت أحلامي، وصنعت ميلادي تاريخاً بلون عينها..»</p>
--------	--

نلاحظ الاستخدام المكثّف للصور والأساليب المجازية فكل صفحة تحوي على الأقل ثلاث نماذج، وأغلب هذه النماذج «زخر بتلوين شعري زاد في عمق أدبيّة النص، وابتعد عن المفهوم التثري الذي ارتبط إلى وقت قريب باللّغة الإبلاغية التي لا تقلق ولا تدخلنا في ما يسعّى بالمتاهة» (سالم، 2001، صفحة 41)، ننظر مثلاً إلى قوله: «هي الرّبيع الذي كان يسدل شعره الكستنائي الناعم على كتفيه.. ويلبس فستاناً وردياً فاتحاً.. الرّبيع الذي كانت له ابتسامة الفرح ووجه كالورد، وعينان كحقل مفتوح للشمس ولغناء العصفير.. حقل شاسع كالحب..»، وقوله: «كأنّي لست أنا من جلس إليها مساء جميلاً من العمر، ليسرد تاريخه كاملاً.. كأنّها ليست هي من رماني في طوفان المشاعر والظنون..»؛ إنّها لغة لا تبتعد عن لغة الشّعْر... لغة متمرّدة على سكونيتها مفعمة بالدلالة والإيحاء والتكثيف تثير في المتلقي الدهشة غير المتوقّعة «عن طريق الارتباط غير المتوقّع الذي يخطف الأبصار» (الورقي، الصفحات 125-126) وهذا ما يميّز الشّعْر، فاللّغة لم تعد محاصرة بقيود النثر إذ تحرّرت من سكونيتها وفجّرت طاقاتها الكامنة وجميع إمكاناتها فلم تعد «من حيث جمالياتها وتأويلاتها حكراً على القصيدة، بل تعدّدت لتفرض طقوسها الإيحائية على القصّة» (سالم، مكوّنات السرد في النصّ القصصي الجزائري الجديد، صفحة 44).

4- الإيقاع:

ظنّ "الإيقاع" سمة لا تفارق الشّعْر رغم اختلاف الأنماط الشعّرية وتطوّرها (قصيدة

التّفعية. قصيدة النّثر)، فالوزن أمكن التّحرّز منه لكنّ الإيقاع بقي سمة شعرية، وهذا لا ينفي تواجد الإيقاع في السّرد إلّا أنّه «عرضي نادر وهو في الغالب غير وظيفي في حين أنّه في الشّعر مقوّم أس» (كمون، 2007، صفحة 213).

نحت رواية "بحر الصّمت" منغى شعريّا محضًا، إذ نلمح كثافة تواجد هذا العنصر بمظاهر مختلفة وعلى رأسها "التّكرار"؛ من ذلك:

-تكرار كلمة واحدة (اسم وفعل) كتكرار "كنت" اثنا عشرة مرة:

«كنت ابتداء الكون في كوكبي المجفل بالتّفاهة والظّنون..

كنت لغتي الأولى..خطوتي الأولى في طريق العشق والبراءة والجنون

كنت ساحة للقتال.. للموتى.. للشّهداء

كنت مدينتي المكتظة بالأحزان والمطالب والمظاهرات.. كنت معبدا للصّلاة

كنت صومعة للكلام

كنت النّهار القادم من الأحلام

كنت شظية قنبلة تنفجر بعد الصّمت

وسماء ملبّدة بالشّوق

كنت المرأة/ الوطن/ الحب/ الحقيقة/ الموت/

كنت وكنت وكنت وكنت..» (صالح، 2001، صفحة 113).

وتكرار "ابكي" (فعل) خمس مرّات:

«ابكي يا صغيرتي

ابكي زمنك المتراكم الذي ورثته عني

ابكي الحقيقة التي سوف أحكيها لك

ابكي أمك وخالك وأخاك وأباك..... نفسك

ابكي» (صالح، 2001، الصفحات 123-127).

-تكرار حرف مثل "يا" (حرف نداء) أربع مرّات (وكلمة "الوطن" ثلاث مرّات):

«يا امرأة مدجّجة بالسّلاح

يا معركة دخلتها خاسرا وخرجت منها معطوبا

يا ذاكرة بلون الوطن، وقساوة الوطن، وعقاب الوطن..

يا حكاية تلخّصها حروف اسمك السّهل / الصّعب / المستحيل..» (صالح، 2001،

صفحة 51).

-تكرار جملة مثل تكرار "كنت أبكي" أربع مرّات:

«كنت أبكي غموض الرّحلة.. كنت أبكي الرّجل الذي تنتظرين عودته.. كنت أبكي القسمة

التي ألغت رجلا مخلصا وأبقت على رجل مثلي.. كنت أبكي ذنوبي وخطاياي وسوء

حظي..» (صالح، 2001، صفحة 93).

وينشأ الإيقاع من ظاهرتي "التّجانس" أو "التّنافر" بين الكلمات: مثل:

«أفتقدك بالرّغم من شحوبك وحزنك وانكسار فرحتك الأولى» (صالح، 2001، صفحة 98)

(تجانس).

«كنت صامتة وكنت سعيدا.. كنت متسائلة وكنت راضيا» (صالح، 2001، صفحة

98) (تنافر).

والفضاء النّصي (توزيع البياض والسّواد) لهذه الأمثلة وغيرها يتماهى مع الفضاء النّصي

لبعض الأنماط الشعريّة، وهو عند بعضهم يشكّل إيقاعا (كمون، 2007، صفحة 157)، ذلك

أنّ «انسحاب السّواد وتكاثر البياض يجعل الكلام يتردّد بين الصّوت (امتداد السّواد)

والصّمت (امتداد البياض) وفي تردّد الكلام بين الصّوت والصّمت يتولّد إيقاع ما» (كمون،

2007، الصفحات 150-151).

5-شعرية الحكاية:

5-1- شعرية الشخصيات:

إنّ محور "الشخصية" من أهم المحاور التي أولاهها الدرس التقدي الحديث اهتماما خاصاً، كونها إحدى المكونات الحكائية التي تدخل في تشكيل بنية النصّ الروائي. وإذا كانت الرواية التقليدية حرصت على تبيان ملامح الشخصية من مختلف جوانبها (الجسمية والنفسية والاجتماعية...) فإنّ «الرواية الحديثة ومع تقنيات الحساسية الجديدة لم يعد الروائي يعنى بتحديد ملامح شخصياته فبدت الشخصيات أقل تحديدا وأكثر تسطيحا ممّا جعل بناء الشخصيات الروائية يقترب من بنائها في الشعر» (كمون، 2007، صفحة 213). فالشخصية تتحوّل إلى رمز من الرموز، لأنّها غير محدّدة المعالم «وغير دالّة على شخص بعينه... [كما] تمتلك رؤية شعرية للأشياء والأحياء والعالم عموماً» (كمون، 2007، صفحة 213).
سنتطرّق إلى الشخصيات التي غلبت عليها سمة الشعرية (السعيد، جميلة، الرشيد) محاولين إبراز ملامح الشعرية فيها.

أ- السعيد:

"السعيد" اسم حالم ينبض بالشعرية ويستدعي ألفاظاً أخرى حاملة: السعادة، الفرح، السرور، البهجة... وإن كان هذا الاسم لا يعكس واقع الشخصية لأنّها شخصية غارقة في الحزن والقلق والتوتر والألم والانكسارات المتتابعة...
"السعيد" هو السارد وبطل الرواية في آن واحد، من خلال تقنية الاسترجاع (الاستدكار) التي تتراوح بين الماضي والحاضر، تنكشف أغوار هذه الشخصية المغلقة شيئاً فشيئاً...
تعرفنا الكاتبة على أهم ملامح السارد/البطل وتتعمّد عدم الإغراق في ذكر التفاصيل الدقيقة (الجسمية والنفسية) فنعرف أنّ "الحب" هو سبب انكسار هذه الشخصية المتواتر: التي صيرها حبّها المجنون إلى شخصيّة شاعرة حاملة في نظرتها للأشياء والعالم والوجود، نظرة حولت الحبيبة من مجرد امرأة عادية إلى رؤية: المرأة/الحلم/الغرور/الموت/الوطن/الجرح/

التّحدي / الأمّ / الحياة / الحب / الحقيقة / الموت /... (صالح، 2001، الصفحات 85-110-113).
يقول: «الجب؟ أليس هذا ما حدث لي؟ أليس هذا غير حياتي كلّها، وغيرني من مجرد إقطاعي
فاسد إلى عاشق!» (صالح، 2001، صفحة 41).
والسّعيد/ السّارد/ البطل شخصية شاعرة؛ إذ نعثر على مقاطع شعرية في الرواية متّصلة
بكلامه؛ مثل:

«من بداياتي القديمة.. من العدم المباح
ذهبت باتجاه الذّكرى
كنت ابتداء الكون في كوكبي المجفل بالتّفاهة والظّنون..
كنت لغتي الأولى.. خطوتي الأولى في طريق العشق والبراءة والجنون
كنت ساحة للقتال.. للموتى.. للشّهداء
كنت مدينتي المكتظة بالأحزان والمطالب والمظاهرات.. كنت معبدا للصّلاة
كنت صومعة للكلام
كنت التّهار القادم من الأحلام
كنت شطية قنبلة تنفجر بعد الصّمت
وسماء ملبّدة بالشّوق
كنت المرأة/ الوطن/ الحب/ الحقيقة/ الموت/
كنت وكنت وكنت وكنت..
فذهبت..» (صالح، 2001، صفحة 113).

والسّارد هو رمز يحيل إلى طبقة الوصوليين الانتهازيين التي لم تشارك في الثّورة بصدق
وبعد الاستقلال استحوذت على المناصب العليا، وغدت تتكلّم باسم الثّورة والوطنية وصار
يشار إليها بالبنان...

هذه الملامح (شاعرية الاسم، عدم الإغراق في التفاصيل، الشعر، الرمز...) تطبع الشخصية بطابع ينحو بها منحى شعرياً في بنائها.
ب- جميلة:

"جميلة" اسم يستدعي معاني أخرى: الحسن، البهاء، الملاحظة... الخ، وجميلة من الجمال وفي لسان العرب «الجمال الحُسن يكون في الفعل والخَلْق» (منظور، 1997، صفحة 126)، أي جمال معنوي وحبسي يحدث في النفس السعادة، الفرح، السرور، البهجة... فهو اسم حالم أيضاً ينبض بالشعرية ويشترك في ذلك مع اسم الشخصية الأولى.
"جميلة" هي حبيبة السارد وسبب أوجاعه وانكساراته وصمته... اشتراكه في الثورة كان لأجلها وتعلقه بالحياة ورفضه الشهادة كان لأجلها أيضاً؛ «كان طريقك مرسوماً أمامي، جلياً كالشمس. لم تكن هنالك وسيلة لبلوغ منتهاه غير الحرب في عيون الرجال الذين كنت أودعهم شهداء لأبقى أنا حياً» (صالح، 2001، صفحة 76).

يصفها برومانسية حاملة فيقول: «هي الربيع الذي كان يسدل شعره الكستنائي الناعم على كتفيه.. ويلبس فستاناً وردياً فاتحاً.. الربيع الذي كانت له ابتسامة الفرح ووجه كالورد، وعينان كحقل مفتوح للشمس ولغناء العصافير.. حقل شاسع كالحب» (صالح، 2001، صفحة 41)، «كان وجهك واضحاً كشمس "ماي"، ودافنا كنسائمه، عذبا كمساءاته» (صالح، 2001، صفحة 40)، «عينها خضراوان كعشب عذري» (صالح، 2001، صفحة 42)، «كنت جميلة، مأكرة ولذيذة» (صالح، 2001، صفحة 40). «كأني أراك أمامي بعينيك الخضراوين ووجهك الهادئ/ المنفعل/ القلق/ الصّاحب..» (صالح، 2001، صفحة 103).

وهو وصف يكاد يكون غير بينّ المعالم يقر بجمال الحبيبة الأسطوري الذي يمتح من جمال الطبيعة ويقربها من المرأة المثال... فملاحمها أقل تحديداً وهي أكثر سطحية من الشخصية الأولى (السعيد) ممّا يجعلها تقترب في بنائها من بنائها في الشعر.

تتحول "جميلة" إلى رمز يحيل إلى أشياء عديدة أشار إليها السارد في مواضع كثيرة، «المرأة/ الحلم/ الغرور/ الموت/ الوطن/ الجرح» (صالح، 2001، صفحة 85). «المرأة/ التّحدي/ الوطن/ الأم/ الحياة...» (صالح، 2001، صفحة 110). «المرأة/ الوطن/ الحب/ الحقيقة/ الموت» (صالح، 2001، صفحة 113)... الخ، لذا فهي تتجاوز - في أحيان كثيرة - الواقعي المحسوس إلى اللاّ واقعي والمتخيّل.

المرأة/الحبيبة: «فجأة استيقظ عشقي المجنون.. حبّي الكبير الذي يشبه شمسك الأولى.. كنت حبيبتي الأولى.. سيّدة قلبي» (صالح، 2001، صفحة 110)...

المرأة/الأم: «وأنتي ولدت من أم ثانية هي أنت» (صالح، 2001، صفحة 44)...

المرأة/الوطن: «الجزائر التي لها وجهك سيّدتني!

وحدي كنت أرى الوطن فيك...» (صالح، 2001، صفحة 75)...

المرأة/المدينة: «كنت مدينتي المكتظة بالأحزان والمطالب والمظاهرات...» (صالح، 2001، صفحة 113)...

المرأة/التاريخ: «"جميلة" التي كانت زوجتي وأبنائي وأهلي.. كانت التّاريخ الذي أذكره ويذكرني فتبادل الشّوق والكلام» (صالح، 2001، صفحة 72)...

المرأة/الحلم: «يا امرأة في حياتي كالحلم» (صالح، 2001، صفحة 96)...

المرأة/الموت: «رقم من ملايين الرّجال الذين أحبّك بجنون، فأعطوك حياتهم.. وحنونهم وما ملكت أيّمانهم.. هؤلاء كلّهم، استشهدوا لأجل إثبات حبّهم لك» (صالح، 2001، صفحة 85)...

فالمرأة من منظور السارد تحوي تناقضات كثيرة تتزاح بها إلى عوالم متعدّدة تقترب من عالم الشّعر، وتضفي عليها سمات شعرية تتماهى فيها لغة السرد مع لغة الشّعر.

ج-الرّشيد:

اسم "الرّشيد" من رَشَدَ «وهو نقيض الضّلال، إذا أصاب وجه الأمر

والطريق»(منظور، 1997، صفحة 175)، يوحى بمعان كثيرة منها السداد، الهدى، الاستواء، الاستقامة... هو أقل شعرية من الشخصيتين الأنفتي الذكر (السعيد، جميلة)، لكنّه عكس شخصية "الرّشيد" -الرجل المثال للثورة- إذ كان قائداً محنّكا حازماً تجسّدت فيه معاني الرّجولة والبطولة والوفاء، أحبّ جميلة والوطن في آن واحد... حبّه تضحية وتضحيته قادته إلى الثورة فالشّهادة. هو «الرجل / العاشق / البطل / الشّهيد...»(صالح، 2001، صفحة 84) كما وصفه السارد.

يصفه السارد بسمات أكثر تحديداً من غيره؛ «كان "الرّشيد" شخصاً مدهشاً، طويلاً وممتلئاً، مدوّر الوجه وسيم صغير، وعينيه المفعمتين بالطّيبة والتّواضع..»(صالح، 2001، صفحة 70)، ومواقفه ذات سمات شعرية فهو طقوسي كما يصفه السارد، يقتسم مع أفراد كتيبته أحلام النّصر والشّوق إلى الأهل، لكنّه يستأثر لنفسه باللحظات التي يهيم فيها بذكريات الحبيبة «رأيته تناول سيجارة أخرى، ويضعها بين شفتيه.. لم يقطعها كما المرة الأولى، بل أشعلها لنفسه فقط.. فهمت فجأة أنّه لا يرغب في مقاسمتي شيئاً آخر»(صالح، 2001، الصفحات 72-73)، له وجهان وجه شاعري حالم عاشق في اللّيل وآخر صارم هادئ في التّهار(صالح، 2001، صفحة 85).

فلسفته في الحب ذات رؤية شعرية؛ فالحب نابع من احتياجنا إلى الآخرين وهو لا يعرف الهزيمة والحرب لا يمكن أن تمسه أو تطفئ جذوته(صالح، 2001، الصفحات 73-74)؛ «إنّنا عشاق حتّى ونحن ندخل إلى معركة قد لا نرجع منها أحياء، العشق حالة عجيبة تفتح لنا عالم الشّهادة فندخل إليه عن قناعة وفرح، وربّما لا نستشهد فنرجع إلى الحياة بين النّاس دون الشّعور بالتميّز علمهم، الحب هو كلّ هذا..»(صالح، 2001، صفحة 73).

2-5- شعرية المكان:

«يعدّ المكان أحد المكونات الحكائية التي تشكّل بنية النّص الرّوائي، لكونه يمثّل العنصر الأساسي الذي يتطلّبه الحدث الرّوائي، والشّخصية الرّوائية في الوقت نفسه، ولهذا يلعب

دورا مركزيا داخل منظومة الحكيم» (أحمد، 2005، صفحة 127)... يعمل الرّوائي على إضفاء مصداقية عليه وإيهام المتلقي بواقعيته وواقعية الشّخصيات والأحداث التي تدور في فضائه؛ وعن طريقه يبث مواقفه ورؤاه.

المكان في الرّواية يختلف عن المكان في الشّعر؛ فهو في الشّعر «يحضر لا كما هو في المرجع بل يحضر حضورا لغويًا كما تراه وترسمه ذات الشّاعر فليس هم الشّاعر في الشّعر أن ينقل لنا معالم المكان بل همّه أن ينقل لنا بلغة شعرية صورة المكان من خلال ذاته، فيتوارى الوجود الفيزيائي المرجعي للمكان ليحلّ محلّه الوجود اللّغوي المتلبّس بأحوال الذات» (كمون، 2007، صفحة 233). فالمكان مكّون سردي أساسي ومع ذلك بإمكانه أن يبيض بالشّعريّة ويحمل دفقا شعريا.

نرصد مجموعة من الأمكنة توزّعت الأحداث عليها: قرية براناس (مسقط رأس السّارد)، دوار سيدي منصور، مدينة قالمة، العاصمة، الجبل، مرتفع الشّلالة، الكهف. والسّارد قلّمًا يصف المكان وهو -في الغالب- وصف موضوعي لا يخرج عن إطاره المرجعي.

استأثر "حي بلكور" بالعاصمة بإشعاع شعري خاص؛ وهو المكان الذي قضى فيه السّارد جزءا من طفولته عند عمّته التي عوّضته أمّه؛ «..كان حي بلكور من أعرق الشّوارع التي صنعت ثانية، داخل طيبة عمّتي وحنانها الرّائد، وداخل القهوة المرشوشة بماء الرّهر. كنت أكبر بإحساس جميل وغامض طرد عيّيتي القديم» (صالح، 2001، صفحة 73). وهو المكان ذاته الذي كانت تقطنه الحبيبة/جميلة؛ ويقول: «..تسلّلت إلى حيّك، وحيّ.. كان حيّ "بلكور" أنشودة عشت أحفظها عن ظهر قلب.. كان جميلا ومخيفا..» (صالح، 2001، صفحة 96). «كان بيتك جميلا، محاطا ببستان أمكنني تخيلك فيه، تسقين الورد أو تننّسين الورد» (صالح، 2001، صفحة 96).

فهو يتحدّث عن المكان من منطلق مشاعره وعواطفه التي تربطه بالمكان نائيا عن كلّ التفاصيل: جميلا، مخيفا، القهوة المرشوشة بماء الرّهر، بستان الورد، عبق الورد. كما أنّ

وصفه لحيّ بلكور بالأنشودة هو وصف شعري لعدم تطابقه مع المكان المرجع إذ يستحيل أن يتحوّل مكان مادي محسوس إلى أنشودة.

ويتبيّن الجانب الدّاتي والانفعالي حين يغدو المكان منبعاً للفرح وأصلاً له؛ كقوله: «فقط العاصمة كانت قادرة على استدراج الفرح الحميم هكذا» (صالح، 2001، صفحة 42). ومن خلال الوصف أيضاً مثل وصف السّارد للغرفة التي استقبلته فيها جميلة - في قريته براناس في أوّل لقاء جمع بينهما - بالبرودة والضيق لمجرد خروج الحبيبة منها؛ يقول: «تركتني في غرفة بدت لي باردة وضيقة.. غمرني إحساس فظيع بالضّياع» (صالح، 2001، صفحة 41). ومماهاة المحبوبة بالمكان المحبوب يوح بنظرة السّارد الدّاتية الشّاعرة للمكان ويكشف حقيقة وجدانه؛ «تسلّلت إلى شوارعك المنهرة بريع الهدنة.. تسلّلت إلى حيّك، وحيّ..» (صالح، 2001، صفحة 96).

فمدينة بلكور لا تحيل إلى مدينة لها إطارها المرجعي بقدر ما تحيل إلى حب السّارد ومشاعره المتلبّسة بالدّاتية وهو ما يضيف طابع الشّعرية على المكان...

ومن الأمكنة التي تصدح بالشّعرية "بيت السّارد في العاصمة"، يسترجع فيه السّارد أوجاعه وفجائعه وانكساراته التي عاشها عمراً طويلاً منذ عرف جميلة/الحبيبة إلى وفاة ابنه الرّشيد؛ والبرد الكامن فيه يحيل على الصّقيع الدّاخلي والخارجي الذي يحسه «تهب الريح قوية، باردة.. يوخزني البرد.. الخريف يوخز قلبي» (صالح، 2001، صفحة 53).

ويتحدّ البرد مع اللّيل ليشكّلاً ثنائية توغل في وخز الدّاكرة المشرعة على معاناة السّارد وهزائمه المتراكمة؛ «أقف مثقلاً، مهزوماً.. أدنو من النّافذة.. اللّيل ها هنا.. كم أشعر بالبرد الآن وقد هزمني اللّيل» (صالح، 2001، صفحة 53).

وتتحوّل هذه الثّنائية البرد/اللّيل إلى معادل موضوعي للموت، إذ يصف غرفة ولده الرّاحل وصفا ذاتياً يوحي بالحزن ومرارة الفقد؛ «الغرفة خالية من الدفء واللّيل يأبى

الجلء...»(صالح، 2001، صفحة 69). والصّمت يشي بمشاعر الوحدة والوحشة؛ «الغرفة غارقة في صمتها المزمّن»(صالح، 2001، صفحة 59)...

فالمكان يعكس انفعالات السّارد والوصف ذاتي وجداني خاضع لعواطفه وشعوره بالحزن والفجيعة... وهذا ما يجعل المكان ينضح بسمات شعرية.

هذه الأمكنة؛ "مدينة بلكور" و"بيت السّارد في العاصمة" ذات ملامح شعرية وإن تفاوت صدها الشعري وتباين، يصفها السّارد وصفًا ذاتيًا انفعاليًا لا يتطابق مع إطارها المرجعي في أحيان كثيرة وهذا ما يضيفي عليها سمات شعرية.

3-5- شعرية الزّمان:

حظي هذا المبحث -الزّمان- بدراسات وافية في الخطاب النّقدي الحديث، وهو مكوّن حكايتي لا يقل أهمية عن المكوّنات الحكائية المذكورة آنفا التي تدخل في تشكيل بنية النّص الرّوائي، كما «يمثّل العنصر الفعّال الذي يكمل بقية المكوّنات الحكائية، ويمنحها طابع المصدقية»(أحمد، 2005، صفحة 233).

يكمن الاختلاف بين زمن الرّواية وزمن الشّعر في كون الأولى فيها «أحداث متعاقبة في الزّمن وهذا ما يجعل البناء الزّمني في الرّواية بناء متماسكا يخضع لتراتبية زمنية أو سببية أمّا الشّعر فيقوم على التّداعي وتوارد الخواطر والانفعالات وذلك ما يجعل البناء الزّمني فيه موسوما بالتفتيت والخرق»(كمون، 2007، صفحة 234). مع الإشارة إلى أنّ الرّواية الحديثة خرجت عن هذا النّسق واتّجهت إلى خرق التّعاقب والترتيب الزّمني وهذا ما يجعل بناءها الزّمني يقترب من الشّعر.

"بحر الصّمت" حكاية تبدأ من حيث تنتهي، تتداعى فيها ذكريات وخواطر السّارد عن طريق "الأنا" (صوت السّارد) الذي يهيمن على العملية السّردية.

يتناوب فيها خطّان زمنيان: الماضي والحاضر.

الحاضر	الماضي
(ص5-7)، (ص27)، (ص31)،	(ص7 (ص9-24)، (ص27-30)،
(ص37-38)، (ص53-54)،	(ص31-36)، (ص39-51)،
(ص59-60)، (ص69)، (ص77)،	(ص54)، (ص55-58)،
(ص80-84)، (ص103)،	(ص61-67)، (ص69-76)،
(ص114-115)، (ص118-127).	(ص77-80)، (ص84-102)،
	(ص103-113)، (ص115-
	118).

نلمح تداخل الأزمنة فالسّارد يراوح بين الماضي والحاضر عن طريق تقنية الاسترجاع (analepse) وهو «إيراد حدث سابق للّفظة الزّمنية التي بلغها السّرد» (شاكر، صفحة 80)؛ بمعنى أوضح «أن يترك الرّواي مستوى القص الأوّل ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها» (قاسم، 1984، صفحة 40). لذا فالحكي لا يخضع لمنطق التّعاقب والترتيب الزّمني.

يغلب على الرّواية كثرة الاسترجاعات وتداعيات الخواطر التي تكسر خطيّة الزّمن التّعاقبي وتفتّت طبيعة النّظام الزّمني؛ من أمثلة ذلك:

- استرجاع السّارد زيارة أحد أعضاء الحزب له في بيته قبيل وفاة ابنه "الرّشيد"؛ يقول: «قبل أيام، زارني في بيتي على غير موعد، عضو إعلامي في الحزب، صديق قديم، وقال لي فجأة كأنّه يواسيني "الحزن عدو لدود يجب محاربته، وحذفه تماما من مشاعرنا، فلا وقت للتّراجع!"» (صالح، 2001، صفحة 07).

- تذكّر السّارد بداية تورّطه في الثّورة عند إخفائه "العربي" - أحد الثّوريين الخطرين- في بيته؛ يقول: «أتذكّر حياتي المجنونة، وأنا أعرف بوجود شخص يختبئ في بيتي.. كنت أعرف

أنّ "العربي" شخص خطير، وأنّ السّلطة الفرنسية تطالب به حيّاً أو ميتاً وقد وعدت بمكافأة لكلّ من يدلّها عليه أو على مكانه» (صالح، 2001، صفحة 61).

- استرجاع السّارد أوّل معرض أقامته ابنته للوحاتها الفنّية واكتشافه "عثمان" حبيب ابنته؛ «أتذكّر جيّداً ما شاهدته يومها.. كانت ابنتي واقفة ترخّب بالقادمين، مبتسمة وفخورة.. لم تكن وحدها، كان بالقرب منها شاب وسيم.. رأيتُه ينحني ويتكلّم في أذنها فتنفجر بالضّحك.. كم كانت جميلة ابنتي..» (صالح، 2001، صفحة 116)... الخ

وتقاطع الرّواية مع حكايات أخرى أدّى إلى كسر خطية السّرد؛ نذكر منها:

- حكاية العمدة "قدور" ووالده "حمزة" المشوبة بالغموض؛ التي تقول أنّ كلاهما وُجدا نتيجة اعتداء فحمزة هو ابن امرأة طُردت من القرية لاعتداء الجنود الفرنسيين عليها فلجأت إلى بيت الكولونيل "ادجار دي شاتو"، وجود تشابه كبير بين هذا الأخير وحمزة يبرّر إخلاص وولاء حمزة للفرنسيين ويبوح بسرّ العلاقة التي كانت تجمعهم بالكولونيل... وفي ظروف غامضة يُعثر على حمزة مقتولا لاعتدائه على فتاة من القرية أحبّها ورفضته؛ لتنتحر بعد إنجائها طفلا احتضنه ادجار سمي "قدور" الذي صار عمدة القرية.

- حكاية "بلقاسم" الذي وجد صغيرا جدا في حقول القرية؛ التي تقول بأنّه وُلد بلا أب وبلا أم، بشاعته وضحامته جعلت النّاس ينفرون ويتطيّرون منه فلم يُقدم أحد على تبنيه أو رعايته، فنشأ حاقدا شريرا ضخما كالوحش، قتل قرينا له في سن العاشرة واعتبر المحافظ جريمته دفاعا عن النّفس، واختفى ليعود مجدّدا إلى القرية، فاستعمله "السّعيد" (السّارد) في إدارة أرضه مستغلا حقه في إخضاع الفلاحين. ويتحوّل إلى بطل ثوري بعد قتله العمدة "قدور".

- حكاية والده "سي البشير" مع صديقه الحميم "علي" وتنافسهما على "عيشة" المغنية بارعة الجمال التي وفدت إلى القرية مع الفرقة الموسيقية الشّعبية، وانتهت بإرغام سي البشير

على الزّواج من فتاة لم يرها قط؛ وبانحلال عرى الصّداقة التي كانت تجمعها مع صديقه علي الذي لحق بعيشة ليعود مولدا عداوة لم تمحها الأيام والسّنين.

- حكاية عمّته (اكتشف وجودها في سن الخامسة) التي تزوّجت من رجل فقير لم يرض به والده (سي البشير) ومغادرتها القرية؛ وحين عودتها تنجو من العقاب؛ «لم يقتلها كما قالت أعراف الرّجال، لم يطردها، لكنّه في نفس الوقت لم يتحدّث إليها وحَتّى وهي في بيته» (صالح، 2001، صفحة 45).

- حكاية الحكيم الفقير الذي أراد اللّصوص سرقة فلم يعثروا على شيء فعزموا على عقابه؛ ومقولته الحكيمة «ما كنتم تبحثون عنه في الظّلام أنا أبحث عنه في النّور ولم أجده» (صالح، 2001، صفحة 47).

فهذه التّداعيات والتّقاطعات تخرق طبيعة النّظام الزّمني وتكسر خطية التّتابع والترتيب الزّمني «وذلك ليس سوى مظهر من مظاهر خضوع البناء الزّمني لمقتضيات الشّعور» (كمون، 2007، صفحة 249).

وقد يتمخّض الزّمن دفقا شعريا خالصا كشهر "ماي"؛ يقول السّارد وهو بصدد استرجاع زمن التقائه الأوّل بجميلة/الحبيبة؛ «يا لتلك اللّيلة التي قادتني إلى بيتك.. إليك. أتذكّرها جيّدا، كان ماي منعشا، بالرّغم من الحرب، بالرّغم من تفاعلات النّاس مع الثّورة، وانضمام أغلبهم إليها.. بالرّغم من أنّ الثّورة تضم بين صفوفها شخصا كبلقاسم، بالرّغم من كلّ شيء، كان "ماي" منعشا وداطنا..» (صالح، 2001، الصفحات 39-40).

فشهر "ماي" ينبض بالشّعيرية فهو منعش، دافئ، شهد حالات الحب الأولى... فالزّمن خرج عن رتابته النّمطية وحمل طابع المغايرة والتّفرد وشهد على تاريخ ميلاد جديد؛ «كنت قد اقتنعت أنّي تغيّرت، وأنّ ميلادي حقيقة يشهد عليها شهر "ماي" المقدّس» (صالح، 2001، صفحة 47)...وعلى أعتاب ذاكرة اختصرت فجائع عمر بأسره يأبى "شهر ماي" النّسيان «كان

هو ذاكرتي التي تستردني كلّ سنة، والحال أنّ الهروب منها هو أصلا الهروب إليها..»(صالح، 2001، صفحة 49).

6- خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول أن هذا العمل السردي استطاع أن يحقق وعيا بالتوظيف الجمالي لمكونات العمل الأدبي بدرجة فنية عالية، رسمت باستراتيجيه موفقة إلى حد بعيد ، والدليل على ذلك استخدام مختلف التقنيات غير المعهودة في الأعمال التسجيلية التي لا تنشأ الفنية سواء في طبيعة الشخصيات و دلالاتها الرمزية ، أو في تداخل الأزمنة و رصد مختلف تجلياتها ، أو حتى في تعمد خلق إيقاع مناسب لأحداث العمل الروائي ، أو حتى مثلا في اختيار أماكن ذات أسماء معينة .

ووفق هذا الوعي بالاختيار تحققت غاية الرسم الجمالي و إن كان التقاطع مع بقية الفنون هو ما يضيف السمو الجمالي مما يستحسن دراسته و يوصى به لدراسة هذا العمل في بحوث قادمة.

7- المصادر والمراجع:

- ابن منظور. (1997). لسان العرب (الإصدار ، ط6، مج 4). بيروت: دار صادر.
- السّعيد الورقي. لغة الشّعر العربي الحديث مقوماتها الفنّية وطاقاتها الابداعية. مصر: دار المعارف الجامعية.
- زهرة كمون. (2007). الشعري في روايات أحلام مستغانمي. تونس: دار صادر للنّشر.
- سامي سويدان. (2000). أبحاث في النّص الروائي العربي. بيروت: دار الآداب.
- سلمى الخضراء الجيوسي. (2001). الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة (الإصدار ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سمير المرزوقي وجميل شاكر. مدخل إلى نظرية الرّواية تحليلًا وتطبيقًا. الجزائر: الدّار التونسية للنّشر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- سيزا أحمد قاسم. (1984). بناء الرّواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ.. مصر: الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

- صبيحة أحمد علقم. (2006). تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية الرواية الدرامية أنموذجا (الإصدار ط1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد الرحمن منيف. (1990). ملاحظات حول الرواية العربية والحداثة، قضايا وشهادات. عبد القادر بن سالم. مكوّنات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد.
- عبد القادر بن سالم. (2001). مكوّنات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد. إتحاد الكتاب العرب.
- عبد الملك مرتاض. (1989). في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عثمان بدري. (2000). وظيفة اللّغة في الخطاب الرّوائي الواقعي عند نجيب محفوظ. الجزائر: موفم للنشر والتّوزيع.
- علي جعفر العلاق. الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- علي جعفر العلاق. الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، ، ص125 . الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- مرشد أحمد. (2005). البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- موجز تاريخ كل شيء تقريباً 2017 القاهرة العبيكان للنشر
- ناصر يعقوب. (2004). اللّغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (1970-2000). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،.
- نبيل سليمان. (2000). فتنة السرد والتّقد (الإصدار ط 2). اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- ياسمينه صالح. (2001). بحر الصّمت. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- يوسف وغليسي. (2007). : الشعرية والسرديات قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، . قسنطينة: منشورات مخبر السرد العربي.

اتخاذ القرارات الإدارية وأهميته في مؤسسات المعلومات Administrative decision-making and its importance in information institutions

أ.د. مفتاح محمد دياب أستاذ دراسات المعلومات جامعة طرابلس، ليبيا

dyabmuftah@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022-09-27 تاريخ القبول: 2022-10-26 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

The study reviewed a number of concepts and definitions of managerial decision-making which explains the nature of this process which is intended as the core of decision-making process. The study reviewed the characteristics and features of this managerial process in libraries and information centers. The types of this process were also indicated as well as its economics. The factors which affect the process and its elements were explained. How could the staff share in the process of making decision in information institutions to good for the management for the institution. The study mentioned the use of management information systems and why it is important to use them since they help in providing information before the decision-makers. The study concluded by presenting a number of results summed up from the literature of the topic studied as well as a number of recommendations.

Keywords: *Decision making, information institutions, management information systems.*

ملخص

تأتي أهمية هذا الموضوع من خلال علاقته بعمل الفرد اليومي، أو بحياته العائلية، أو أي مجال من مجالات الأنشطة البشرية، سواء بالنسبة للقيادات الإدارية التي تتخذ القرارات من أجل توجيه الأعمال والنشاطات الخاصة بها، أو بالنسبة للمرؤوسين الذين يشاركون في صنع هذه القرارات أو تنفيذها أو يكونون هم المعنيون بها. وكذلك تنبع أهمية موضوع اتخاذ القرارات من ناحية ثانية من ارتباطه وعلاقته القوية بتحقيق أهداف المؤسسات على اختلاف أنواعها. الدراسة توضح قيمة وأهمية اتخاذ القرار في أي مؤسسة ومؤسسات المعلومات بشكل أدق.

إن عملية اتخاذ القرار تعد جوهر العمل الإداري في أي مؤسسة معلومات، حيث لا يمكن تصور إدارة العمل فيها بدون اتخاذ قرار. عرضت الدراسة سمات وخصائص القرار الإداري في مؤسسات المعلومات، وخطوات عملية اتخاذ القرار، واقتصاديات القرار الإداري. ثم بينت الدراسة أنواع القرارات الإدارية في مؤسسات المعلومات وتصنيفاتها والمعايير الخاصة بها، والعوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات في المؤسسة، وعناصره، وكيف يمكن مشاركة العاملين في اتخاذ القرار في المؤسسة، واستخدام نظم المعلومات الإدارية في هذه العملية واختتمت الدراسة بعرض عدد من النتائج ذات العلاقة بموضوع اتخاذ القرارات

الكلمات المفتاحية: اتخاذ القرارات، مؤسسات المعلومات، نظم المعلومات الادارية.

مقدمة:

يعتبر موضوع اتخاذ القرارات الإدارية من أهم الموضوعات أو العناصر وربما أكثرها تأثيراً في حياة المؤسسات والأفراد، بل وحتى الدول.

وتأتي أهمية هذا الموضوع من خلال علاقته بعمل الفرد اليومي، أو بحياته العائلية، أو أي مجال من مجالات الأنشطة البشرية، سواء بالنسبة للقيادات الإدارية التي تتخذ القرارات من أجل توجيه الأعمال والنشاطات الخاصة بها، أو بالنسبة للمرؤوسين الذين يشاركون في صنع هذه القرارات أو تنفيذها أو يكونون هم المعنيون بها. وكذلك تنبع أهمية موضوع اتخاذ القرارات من ناحية ثانية من ارتباطه وعلاقته القوية بتحقيق أهداف المؤسسات على اختلاف أنواعها.

1-1 مشكلة الدراسة: بالرغم من أن اتخاذ القرارات الإدارية يعد من العناصر أو الوظائف الأساسية والهامة فيما يخص مجال إدارة مؤسسات المعلومات المختلفة يتم العمل به في المكتبات ومراكز المعلومات في الدول المتقدمة وينشر عشرات الدراسات التي تخص هذا الموضوع سنوياً، فقد أننا من متابعتنا لهذا الموضوع الهام الذي له أهمية كبيرة في مساعدة مؤسسات المعلومات المختلفة على التخطيط لأنشطتها وبرامجها وخدماتها أن هناك نقص كبير يعاني منه الإنتاج الفكري المعلوماتي في موضوع اتخاذ القرارات الإدارية، لذلك تسعى هذه الدراسة إلى إثراء أدبيات المكتبات والمعلومات في هذا الصدد، وذلك هو ما يشكل مشكلة الدراسة.

2-1 أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- بيان وتوضيح وأهمية وقيمة اتخاذ القرارات في مؤسسات المعلومات.
- 2- بيان وشرح مفهوم اتخاذ القرارات الإدارية في المؤسسات المعلوماتية.
- 3- عرض أنواع القرارات الإدارية في هذه المؤسسات.
- 4- معرفة ما توصلت إليه الدراسة من نتائج من خلال مناقشتها للموضوع واستخلاص هذه النتائج.
- 5- تقديم عدد من التوصيات لمديري الإدارات والعاملين من أجل أن يكون قرارهم قراراً سليماً يصب في مصلحة المؤسسة ومن ثم المستفيدين والمجتمع.



3-1 أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من أهمية موضوع اتخاذ القرارات في المؤسسات المختلفة العامة والخاصة نظرا للتأثير القوي والمباشر على نجاح الإدارة في دفة نشاط المؤسسات نحو التقدم والاستمرارية التي تتطلع إليها أي مؤسسة ومنها مؤسسات المعلومات المختلفة.

4-1 أسئلة الدراسة: تسعى الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

- 1- ما هي أهمية اتخاذ القرارات الإدارية في مؤسسات المعلومات؟
- 2- ما هو مفهوم القرارات ومفهوم اتخاذ القرارات في مؤسسات المعلومات؟
- 3- ما هي النتائج التي توصلت إليها الدراسة؟
- 4- ما الذي يمكن أن توصي به الدراسة للعاملين ومديري المؤسسات المعلوماتية من أجل اتخاذ قرار سليم وفعال؟

1-5 المنهج المستخدم: تم استخدام المنهج الوثائقي أو ما يسمى منهج البحث المكتبي الذي يعتبر من المناهج المستخدمة في مثل هذه الدراسات.

- فما هو القرار الإداري إذن؟:

هناك العديد من التعريفات التي وضعت لبيان وتوضيح ماهية القرار الإداري منتشرة في أدبيات علوم الإدارة بلغات متعددة. ومن بين هذه التعريفات نذكر الآتي:

1- القرار الإداري هو " سلوك أو تصرف واع ومنطقي وذو طابع جماعي، ويمثل الحل أو التصرف أو البديل الذي تم اختياره على أساس المفاضلة بين عدة بدائل وحلول ممكنة ومتاحة لحل المشكلة. ويعتبر هذا البديل الأكثر كفاءة وفاعلية بين تلك البدائل المتاحة لمتخذ القرار." (حريم وآخرون 1998، صفحة 140).

2- القرار الإداري هو الاستجابة التي توفر النتائج المرغوبة لحالة أو حالات حالية أو محتملة.

3- القرار الإداري هو اختيار لبديل واحد من بين بديلين أو أكثر.

4- القرار الإداري هو اللحظة في عملية تقييم البدائل المتعلقة بالهدف والتي عندها يكون توقع اتخاذ القرار بالنسبة لعمل معين بالذات ويجعله يتخذ اختيارا يوجه إليه قدراته وطاقاته لتحقيق غايته.



وبالنظر الفاحصة لهذه التعريفات وغيرها من التعريفات الأخرى يمكن أن نخرج بمجموعة من الاستنتاجات منها التالي:

- أن القرار الإداري هو نتاج عملية منهجية عقلانية بعيدة عن العواطف والأهواء الشخصية.
- القرارات الإدارية هي ضوابط تحكم السلوك البشري في نطاق الجماعة.
- القرار الإداري يصدر بهدف حل مشكلة معينة.
- القرار الإداري الأنسب يتم اختياره من بين عدة بدائل متاحة لمتخذ القرار.

2-اتخاذ القرارات الإدارية:

يمثل اتخاذ القرارات الإدارية الجزء الأكبر من اهتمامات المديرين في المؤسسات المختلفة، بل ويشغل حيزا كبيرا من نشاطاتهم. فما هو مفهوم أو تعريف اتخاذ القرارات؟ من بين التعريفات التي وضعت لذلك نذكر التعريفين التاليين على سبيل التوضيح:

- 1- اتخاذ القرارات هو " عمل فكري وموضوعي يسعى إلى اختيار البديل (الحل) الأنسب لحل مشكلة معينة من بين مجموعة من البدائل المتاحة أمام متخذ القرار، وذلك بالمفاضلة بينها باستخدام معايير محددة وبما يتماشى مع الظروف الداخلية والخارجية التي تواجه متخذ القرار." (همشري 2001، صفحة 251).
- 2- اتخاذ القرارات هو خطة أو مرحلة من عملية مستمرة تتضمن تصميم عدة بدائل ترتبط بهدف أو أهداف تدفع توقعات إنسان ما في هذه الخطة إلى تحديد طرق لحل معين والتزام يوجهه إلى بذل قواه العقلية وجهوده لتحقيق الهدف أو الأهداف. أما عملية اتخاذ القرار فهي العملية التي تبني على الدراسة والتفكير الموضوعي للوصول إلى قرار معين؛ أي اختيار للبدائل المتاحة أمام المدير أو متخذ القرار. ويشير البعض إلى أن عملية اتخاذ القرار هي " الاختيار القائم على أساس بعض المعايير مثل اكتساب حصة أكبر من السوق، تخفيض التكاليف، توفير الوقت، زيادة حجم الانتاج والمبيعات، وهذه المعايير عديدة لأن جميع القرارات تتخذ وفي ذهن القائم بالعملية بعض هذه المعايير. ويتأثر اختيار البديل الأفضل إلى حد كبير بواسطة المعايير المستخدمة." (العلاق، 1999، صفحة 148).



وترتبط عملية اتخاذ القرارات الإدارية دائما بحل المشكلات الإدارية التي تواجه إدارة المؤسسة. ولذلك، فإن نجاح مدير المؤسسة المعلوماتية (المكتبة أو مركز المعلومات) يعتمد عادة على قدرته ومهارته في تحديد المشكلة ومعرفة الأسباب التي أدت إليها ثم تطوير بدائل عملية لحلها بهدف معالجتها والتخلص منها بشكل نهائي. (همشري 2001، 251).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك علاقة وطيدة ومنطقية بين حل المشكلات وعملية اتخاذ القرارات، وأن مفهوم حل المشكلات يعتبر أشمل وأعم وتعتبر عملية اتخاذ القرارات "خطوة أو مرحلة من مراحل عملية حل المشكلات." ومن المعروف أن عملية حل المشكلات غير مقتصرة فقط على عملية اتخاذ القرار، بل تتخطى ذلك لتتضمن خطوات أو مراحل أخرى تتمثل في: التحليل والتنفيذ والتقييم. (همشري، صفحة 252).

وما يجدر الإشارة إليه هو أن عملية اتخاذ القرار يجب أن تتضمن تحقيق أقصى قدر ممكن من النجاح من أجل أن تكون هذه القرارات قرارات رشيدة، وأن ترشيد القرار يجب أن يكون بعيدا عن الحكم والاجتهادات والتصورات والرؤى والأهواء الشخصية لمدير مؤسسة المعلومات أو غيرها من المؤسسات الأخرى مهما كان مجال عملها.

وفي كثير من مؤسسات المعلومات المختلفة والمؤسسات والمنظمات الأخرى، فإن اتخاذ القرارات فيها لا يتم في العادة من قبل فرد واحد، بل يشارك في عملية اتخاذ القرارات العديد من العاملين من مختلف المستويات الإدارية وفي مراحل مختلفة من عملية اتخاذ القرارات. كذلك قد يشارك في اتخاذ القرارات بالإضافة إلى المديرين والعاملين، الاستشاريون، والخبراء الاختصاصيون، والفنيون وغيرهم، مما يجعل القرار قرارا جماعيا إلى أقصى درجة. (حريم وآخرون 1998، صفحة 141).

ويشير عمر همشري إلى أن عملية اتخاذ القرارات تعد جوهر العمل الإداري في مؤسسات المعلومات، حيث لا يمكن "تصور إدارة العمل فيها دون اتخاذ قرارات. فالمدير في موقعه وهو يزاوئ وظائف الإدارة من تخطيط وتنظيم وإشراف وتوجيه ورقابة يجد نفسه دائما في مجال اتخاذ القرارات. فما دامت هناك بدائل للموقف والحلول والاختيارات، هناك حاجة إلى قرار." (همشري، صفحة 255).

وتنبثق عملية اتخاذ القرارات الإدارية في الأساس من أن المدير أو متخذ القرار يحدد هدفه أو أهدافه ويحاول الوصول إلى هذه الأهداف أو الهدف المحدد. وبدون القرارات،



فإن الوظائف الإدارية الأساسية للعمل الإداري لا يمكن أن تأخذ مكانها، كما أن العملية الإدارية بأكملها لا يمكن أن تتم. لذلك فإن عملية اتخاذ القرارات تتوزع على جميع المستويات الإدارية ويقوم بها كل مدير وتوجد في كل جزء من أجزاء المؤسسة، وتتعامل مع كل الموضوعات المحتملة، وهذا يؤكد أهمية عملية اتخاذ القرارات في جميع المؤسسات والمنظمات المختلفة ومنها مؤسسات المعلومات.

ويمكن القول إن أهمية اتخاذ القرارات في مؤسسات المعلومات تنبع من ارتباطها بالسلوك التنظيمي، حيث إن فهم السلوك التنظيمي والتنبؤ به في مؤسسات المعلومات والأرشيف يتطلبان دراسة دقيقة لكيفية اتخاذ القرارات التنظيمية الفعلية ومعرفة المؤثرات التي تؤثر في هذا المجال. ويجمع الخبراء والمختصون في المجال الإداري أن عملية اتخاذ القرارات الإدارية لا تعد وظيفة مستقلة من وظائف إدارة المكتبة أو مركز المعلومات، ولكنها "جوهر العملية الإدارية فيها، وترتبط وثيقا بكل وظائفها، كما أن عملية اتخاذ القرارات هي التي التي تحدد مدى نجاح المكتبة وفعاليتها وكفاءتها، واستمراريتها، ووجودها." (همشري، صفحة 255).

- سمات وخصائص القرار الإداري الجيد في مؤسسات المعلومات:

حدد خبراء والمختصين في العلوم الإدارية سمات أو خصائص القرار الإداري الجيد على النحو التالي:

- 1- مراعاة خطوات المنهج العلمي في اتخاذ القرار،
- 2- مراعاة البيئة الداخلية للمكتبة والبيئة الخارجية المتمثلة في عوامل الضغط (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية... الخ)،
- 3- الحرص على مشاركة العاملين الذين سيتأثرون بالقرار المتخذ،
- 4- الاستفادة من الأساليب والتقنيات الإدارية الحديثة في عملية اتخاذ القرار مثل الحوسبة وغيرها،
- 5- مراعاة شرعية القرار؛ أي بما يتماشى مع القوانين واللوائح المعمول بها في المؤسسة حتى لا يتم الاعتراض عليه،
- 6- تحديد الوقت المناسب لاتخاذ القرار وتنفيذه.



3-خطوات عملية اتخاذ القرارات:

عملية اتخاذ القرار يشهها الخبراء والمختصون بعملية البحث العلمي والتي يجب أن تتوفر فيها شروط منهجية محددة، وتكون خطوات عملية اتخاذ القرار على النحو التالي:

- تحديد المشكلة،
- جمع المعلومات حول المشكلة وتفسيرها،
- ايجاد بدائل مناسبة لحل المشكلة،
- تقييم البدائل المطروحة واختيار الأفضل،
- تنفيذ القرار المتخذ،
- متابعة عملية التنفيذ وتقييمه.

وسنحاول بيان هذه الخطوات بشكل موجز للتوضيح والتبسيط.

1- **تحديد المشكلة:** اتخاذ القرار لا يكون إلا بوجود مشكلة تواجه المؤسسة أو وجود قضية تحتاج إلى حل. لذلك من الضروري والواجب تحديد هذه المشكلة تحديدا دقيقا حتى يكون القرار مناسباً جداً. ويجب على المدير أو متخذ القرار أن يتعمق في البحث عن المشكلة الأساسية وتحديدها بدقة، حيث إن الكثير من المشكلات قد تتشابه في الشكل ولكن تختلف في كيفية حلها. وهنا يتوجب أو يتعين على المدير (متخذ القرار) الماهر باعتباره صانع قرارات، أن يكون حريصاً بدرجة كبيرة على كيفية تعريف وتحديد المشكلة، حتى يصل إلى قلب الحدث أو المشكلة حتى يتم اتخاذ القرار المناسب لحل هذه المشكلة حلاً جذرياً. (العلاق 1999، صفحة 151).

2- **جمع المعلومات حول المشكلة:** مما لا شك فيه أن المعلومات هي أساس القرارات السليمة، وأن نجاح أي قرار يعتمد اعتماد كبيراً على توفر المعلومات الدقيقة والحديثة لمتخذ القرار. ومن هنا فإن مدير مؤسسة المعلومات عليه أن يقوم بجمع البيانات والمعلومات الكافية عن المشكلة محل الدراسة والبحث من مصادر مختلفة مثل التقارير الدورية والملاحظات الشخصية للعاملين بالمؤسسة وغيرها من المصادر الأخرى. وقد يدعم ذلك ويساعد في هذا الجانب وجود نظام معلومات إداري محوسب في مؤسسة المعلومات.



ومن أمثلة المعلومات التي يمكن جمعها بيانات غياب العاملين وتأثيرها على العمل الإداري والانتاجية والعوامل أو الظروف الشخصية والبيئية الداخلية والخارجية التي سببت هذه المشكلة التي تحتاج إلى حل، وبعد ذلك على المدير القيام بترتيب المعلومات التي تم جمعها وتحديد أهميتها وعلاقتها بالمشكلة، ثم تحليلها وتفسيرها لتقرير استخدامها في اتخاذ قرار حل المشكلة. (همشري 2001، صفحة 262).

3- إيجاد البدائل المناسبة: اتخاذ القرار في مؤسسات المعلومات وغيرها من المؤسسات الأخرى، يتطلب إيجاد بدائل متعددة حتى يمكن الاختيار من بينها ما يكون أنسب بديل أو حل. وعدم وجود بدائل لا يمكن للمدير أن يتخذ القرار المناسب والفعال. وعملية إيجاد البدائل ليست أمرا سهلا، حيث إنها تتطلب قدرا لا بأس به من التفكير والابداع والمناقشة. ومن العناصر الجوهرية لوجود القرار لحل المشكلة أن يكون هناك أكثر من حل؛ أي وجود حلول متعددة تطرح للمناقشة ثم دراستها وتقييمها ثم بعد ذلك اختيار الحل الأمثل والأكثر ملائمة لحل المشكلة، والحلول أو البدائل ما هي الا مجموعة من الوسائل المتاحة والمتوفرة للمديرين أو المسؤولين لحل المشكلة. وقد تتعدد المشكلات في المكتبات ومراكز المعلومات، ولكن لكل مشكلة حل، وهذا الحل يأتي بعد دراسة وتمحيص ومعرفة الأسباب التي سببت هذه المشكلة، وأن المدير والإدارة عموما عليهم وضع عدة بدائل أو حلول، ثم اختيار الأنسب منها ليكون هو موضوع القرار المتخذ. (فرحات 2010، صفحة 72).

4- تقييم البدائل المطروحة واختيار الأفضل: وفي هذه المرحلة يقوم المدير أو الرئيس بتحديد إيجابيات ومزايا كل حل أو بديل، وعيوبه وسلبياته، ويتم تحديد المعايير التي يتم على أساسها المفاضلة بين البدائل المتاحة. وهناك اعتبارات يمكن للمدير أو الرئيس أن يسترشد بها في عملية المفاضلة منها: (حريم وآخرون 1998، صفحة 151).

- عدد المزايا بالنسبة للسلبيات أو قياس الفوائد والنتائج المرجوة بالنسبة للتكاليف والمخاطر،
- مدى الكفاية التي يحققها البديل من حيث الجودة والسرعة والتكلفة.
- إمكانية تنفيذ القرار كاملا من حيث توافر الإمكانيات وملائمة الظروف.



5- تنفيذ القرار: عملية اتخاذ القرار لا تنتهي بانتهاء اختيار البديل الأفضل لحل المشكلة التي يواجهها المدير أو متخذ القرار، حيث بعد اتخاذ القرار يجب إصداره ليتم تنفيذه من قبل أفراد آخرين في المؤسسة. ويتوقف نجاح عملية التنفيذ للقرار الصادر على أسلوب الاتصالات وفعاليتها، وعملية التوجيه والإرشاد، ومدى فهم الآخرين للقرار وتقبله من جانبهم، واستعدادهم ورغبتهم في تنفيذه. وهناك دور مهم يؤديه المدير أو متخذ القرار في هذا الأمر.

6- متابعة التنفيذ والتقييم: تأتي هذه الخطوة بعد وضع القرار موضوع التنفيذ، يقوم المدير في مؤسسة المعلومات بمتابعته بهدف فهم ومعرفة العوامل المؤثرة في تنفيذ القرار والعقبات المختلفة من أجل العمل على تذليلها والتغلب عليها أو تلافيها. وعلى المدير أن يتابع التنفيذ أولاً بأول، وعلى نحو مرحلي، حيث إن المتابعة المرحلية تساعد على اكتشاف الأخطاء والانحرافات لحظة وقوعها، ومن ثم العمل على معالجتها بشكل فوري. كذلك تساعد المتابعة المرحلية على اكتشاف ما قد غاب عن المدير عند اتخاذ القرار وبالتالي يتدخل في الوقت المناسب لمعالجتها. وبناء على نتائج عملية المتابعة " يقوم متخذ القرار بالتقييم النهائي للقرار الذي تم تنفيذه بهدف التعرف على إيجابياته وسلبياته، ومدى تحقيقه للهدف الموضوع له، وتأثيراته على المكتبة أو مركز المعلومات والعاملين فيها سواء. فإذا كانت إيجابيات القرار لدى التنفيذ أكثر من سلبياته فيكون القرار ناجحاً، وإلا فإن تعديل القرار، أو تطويره، أو التراجع عنه واقتراح بدائل أخرى يعد أمراً منطقياً." (همشري 2001، صفحة 265).

4- اقتصاديات القرار الإداري:

ويمكن اجمال اقتصاديات القرار الإداري كما ذكرها كنعان في الآتي: (كنعان 1998، صفحة 65).

1- في حالة وجود عدة بدائل بنفس التكلفة يتم اختيار البديل الأكثر تحقيقاً لأهداف الإدارة.

2- من بين البدائل التي تؤدي إلى نفس النتيجة يختار الأقل كلفة.

3- ينبغي معالجة مختلف القيود التي تمثل حدود الرشد للوصول إلى القرارات الرشيدة.



- 4- لاتخاذ قرار سليم، يجب المقارنة بين البدائل في حدود الأهداف.
- 5- محور السلوك الإداري هو الإنسان القادر على الاختيار واتخاذ القرارات في ظل حدود معينة.

- أنواع القرارات الإدارية في مؤسسات المعلومات:

تتعد أنواع القرارات الإدارية في مؤسسات المعلومات وغيرها من المؤسسات والمنظمات الأخرى، وقد تصنف القرارات الإدارية حسب معايير وأسس مستخدمة في ذلك. ومنها الآتي:

- 1- من حيث الجهد المبذول في اتخاذ القرارات (قرارات مبرمجة لا تحتاج إلى جهد/ قرارات غير مبرمجة تحتاج إلى جهد فكري وعقلي واضح).
- 2- من حيث الأهمية (قرارات استراتيجية أو تكتيكية، وقرارات روتينية، أو أساسية).
- 3- من حيث المضمون والمحتوى (قرارات تنظيمية، وقرارات فردية).
- 4- من حيث طريقة اتخاذ القرار (ديموقراطية / غير ديموقراطية).
- 5- من حيث مجال الاهتمام (اقتصادية، سياسية، اجتماعية... الخ).
- 6- من حيث نوع المشكلة (ساكنة / ديناميكية أو متحركة).
- 7- من حيث قوتها ومدى خضوعها لإعادة النظر (قرارات أولية / نهائية، أو قطعية).
- 8- من حيث العقلانية والرشد (قرارات رشيدة/ غير رشيدة/ مرتجلة).
- 9- من حيث رقابة القانون (تخضع للقضاء / لا تخضع - حكومية).
- 10- حسب الوقت المتاح (أزمة / فرصة).

كذلك قسمت القرارات الإدارية إلى أنواع أخرى هي: (فرحات 2010، صفحة 66-69).

- أنواع القرارات وفقا لمدى توافر المعلومات (حالة التأكد الكامل / حالة المخاطرة / حالة عدم التأكد).
- أنواع القرارات من حيث طريقة صدورها (قرارات مكتوبة وقرارات شفوية).
- أنواع القرارات من حيث مصدر القرار (قرارات فردية وقرارات جماعية).
- أنواع القرارات من حيث وجودها القانوني (قرارات صريحة وقرارات ضمنية).

- أنواع القرارات من حيث طريقة تنفيذها (قرارات إنشائية وقرارات متكررة).
- أنواع القرارات من حيث مداها وعموميتها (قرارات شخصية وقرارات تنظيمية).
- 5-العوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات الإدارية:
 - يشير الإنتاج الفكري في العلوم الإدارية إلى وجود عدد من العوامل التي قد يكون لها تأثير على اتخاذ القرارات في المؤسسات المختلفة. قد تختلف هذه العوامل فيما بين الخبراء والمختصين في هذا الشأن. ومن بين هذه العوامل نذكر الآتي: (سهام عزي 2011، صفحة 15 – 16).
 - 1- البيئة الخارجية: وتتمثل هذه العوامل في الضغوط الخارجية القادمة من البيئة المحيطة التي تعمل فيها أو في وسطها المؤسسة، والتي تخضع لسيطرة المؤسسة، ويمكن أن تكون كالآتي:
 - الظروف الاقتصادية والمالية السائدة في المجتمع،
 - التطورات التكنولوجية والبنية التحتية أو الأساسية،
 - العوامل التنظيمية، والاجتماعية، مثل النقابات والتشريعات والقوانين الحكومية،
 - هذه العوامل تفرض على الإدارة قرارات لا ترغب في اتخاذها أو ليس في مصلحتها دائما.
 - 2- البيئة الداخلية: وعادة ما تكون العوامل الداخلية المؤثرة على ارتباط وثيق بخصائص المؤسسة الأم. ويمكن ذكر بعضها على النحو التالي:
 - عدم وجود نظام للمعلومات داخل المؤسسة يساعد المدير على اتخاذ القرار بشكل جيد أو مناسب.
 - عدم وضوح درجة العلاقات التنظيمية بين العاملين والإدارات والاقسام والوحدات.
 - عدم وضوح الأهداف الأساسية للمؤسسة.
 - مدى توافر الموارد المالية والشريفة والفنية للمؤسسة أو المنظمة مهما كان حجمها.



- القرارات التي تصدر من مستويات إدارية أخرى.
- 3- عوامل شخصية ونفسية: هذه العوامل ترتبط بالمدير متخذ القرار بوصفه رجلا إداريا، وكل من يساهم في صنع القرار من الأفراد الآخرين. وهذه العوامل تنقسم إلى قسمين أو نوعين هما:
 - عوامل نفسية: وتتعلق ببواعث داخلية للشخص، ومنها ما يتعلق بالمحيط النفسي المنصل به وخاصة في مرحلة اختيار البديل أو البدائل.
 - عوامل شخصية: وهي تتعلق بشخصية متخذ القرار وقدراته. إذ أن القرار يعتمد على الميزات والخصائص الفردية والشخصية للفرد التي تطورت معه، وعليه تشكل عملية اختيار الأفراد وتدريبهم عوامل غاية في الأهمية وعوامل حيوية في نوعية القرارات المتخذة. أما العوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات الإدارية في المكتبات ومراكز المعلومات أو مؤسسات المعلومات فيشير إليها عمر همشري على النحو التالي: (همشري 2001، صفحة 265 – 267).
- 1- البعد الشخصي لمتخذ القرار: تعليمه، وخبرته، وذكائه، واتجاهاته، وقيمه، وعلاقاته، شجاعته، كلها عوامل يمكن أن تؤثر في أسلوب اتخاذ القرار من طرف متخذ القرار.
- 2- عوامل تتعلق بالمكتبة: هناك حدود رسمية وضمنية على حرية المديرين وسلطتهم في اتخاذ القرار، تفرضها عليهم طبيعة المؤسسة المعلوماتية وأوضاعها وأهدافها وسياساتها، ونظمها وغيرها. فمثلا المكتبة المدرسية تختلف عن المكتبة الجامعية، وتختلف عن المكتبة العامة، وعن المتخصصة... الخ. فكل مكتبة لها ظروفها وأهدافها ونظمها الإدارية، وهذه جميعها لها تأثير على القرارات التي تتخذ فيها.
- 3- عوامل تتعلق بالعاملين المنفذين للقرار: هل القرار ذات علاقة بطبيعة العاملين المنفذين للقرار، ومستوى تعليمهم وخبرتهم وولائهم للمكتبة أو مركز المعلومات الذين يعملون فيه، ودرجة مشاركتهم في عملية صنع القرار ودرجة قبولهم للقرار. هذه جميعها عوامل لها دور في تفعيل القرار وتحقيق الهدف الذي صدر من أجله.



- 4- درجة وضوح المشكلة: يجب أن تكون المشكلة التي تحتاج إلى حل واتخاذ قرار بشأنها وواضحة. كذلك من المهم لمتخذ القرار أن يكون فاهما للمشكلة وأبعادها والعوامل المؤثرة فيها. هذه جميعها تؤثر على نوعية القرار ودرجة جودته وفعاليتها في معالجة المشكلة وإيجاد الحل المناسب لها.
 - 5- درجة توفر المعلومات: ويعد عنصر توافر المعلومات بالقدر الكافي والنوعية الجيدة المطلوبة وفي الوقت المناسب من أهم عناصر عملية صنع واتخاذ القرار الرشيد. وبدون توفر المعلومات المطلوبة تظل إمكانية الخطأ في اتخاذ القرار كبيرة.
 - 6- درجة توفر الموارد اللازمة لتنفيذ القرار: وتضم هذه الموارد، الموارد المالية، والبشرية، والأجهزة، والمعدات وغيرها. توفر هذه الموارد يعد عامل إيجابي، خصوصا إذا توفرت بالقدر الكافي والتنوعية المناسبة، في تنفيذ القرار المتخذ. وعدم توفر هذه الموارد بالتأكيد يؤثر بشكل سلبي وعلى نحو كبير على عملية اتخاذ القرار وتنفيذه.
- بالإضافة إلى ذلك، يذكر البعض أن هناك عوامل تابعة من شخصية المدير متخذ القرار والمؤثرة في عملية اتخاذ القرار منها: (العزاوي 2006 نقلا عن: مرغني بلقاسم 2011، صفحة 59).

- فهم المدير العميق والشامل للأمر،
 - قدرة المدير على التوقع،
 - مؤهل المدير وتخصصه في مجال الإدارة،
 - قدرة المدير على تحمل المسؤولية أغراضه الشخصية،
 - قدرة المدير على ضبط النفس في المواقف الحرجة،
 - اتجاهات المدير وقيمه وأخلاقياته،
 - خبرة المدير السابقة ومدى قدرته على الاستفادة من المعلومات المتوفرة لديه.
- وهناك من يضيف للعوامل السابقة عوامل أخرى لها تأثير على عملية اتخاذ القرارات وعلى المدير أثناء اختياره للبدائل المتاحة أمامه، ومنها القوانين والأنظمة المعمول بها. وهذه القوانين والأنظمة تعد عملا مقيدا للمدير بحكم مركزه أو منصبه في هيكل المؤسسة

التنظيمي وذلك باعتبار القرار جزءاً من السياسة الشاملة للمؤسسة ويكون المدير بذلك مضطراً للأخذ باعتبارات متعددة منها مشاركة الأفراد، والميزانية وغيرها.

وقد يمتنع المدير أو الرئيس عن اتخاذ القرارات في حالات متعددة. وترجع أسباب هذا الامتناع عن اتخاذ القرارات إلى ما يأتي: (الجيوسي وجاد الله 2000، صفحة 82).

1- ضعف كفاءة المدير: وهذا الأمر يجعله عاجزاً أو غير قادر على اختيار أفضل وأنسب البدائل من بين البدائل المطروحة أمامه، مما قد يترتب على ذلك نتائج غير ايجابية كذلك، فإن ضعف كفاءة المدير قد يدفعه إلى الحرص على اختيار بديل مثالي في محاولة منه لإرضاء من يخصصهم القرار.

2- الخوف من اتخاذ القرار: وهذا الأمر قد يعود إلى أسباب معينة مثل البيئة الاجتماعية المحيطة بالمؤسسة، والمحيط الوظيفي، وعدم استقرار الأنظمة الإدارية وعدم وضوح الأهداف، وكثرة التنقلات مما يكون سبباً في رجوع المدير إلى رؤسائه وأشراكهم في المسؤولية.

3- حداثة عهد المدير بالعمل: في العادة يكون المدير الجديد صاحب خبرة عملية، وهذا ما يجعله يشعر بعدم الاطمئنان فيميل إلى تأجيل اتخاذ القرار فربما تتغير الظروف والمواقف إلى مواقف أخرى تعفيه من عبء اختيار البديل المناسب من بين ما هو مطروح أمامه. كذلك عدم وضوح اللوائح والتعليمات وأنها قد تحتمل تفسيرات متعددة ومختلفة فيدعو ذلك إلى استبعاد القرار أو أحياناً على تأجيله.

هذه العوامل التي قد تجعل المدير أو الرئيس يمتنع عن اتخاذ القرار يمكن للمدير التغلب عليها بعدة وسائل منها: (الجيوسي وجاد الله 2000، صفحة 83).

أ- قيام المدير بمنع المشكلات والموضوعات من الوصول إليه، وهذا يعتمد على تعويد الأفراد على القيام بالتفاصيل الدقيقة للمهام والواجبات والمسؤوليات والأعمال، الأمر الذي قد يقلل من مستوى الخطأ وبالتالي عدم الرجوع إلى المدير.

ب- يمكن للمدير تجنب المشكلة - موضوع القرار- بأن يحاول التملص منها بشكل نهائي.



6-عناصر عملية اتخاذ القرارات:

من أجل أن تكون عملية اتخاذ القرار الإداري عملية ايجابية وفاعلة، يرى الكثير من

الإداريين وجود عدة عناصر يجب أن تؤخذ في الاعتبار منها:

1- **متخذ القرار:** ومتخذ القرار قد يكون فردا مثل مدير المؤسسة، أو مجموعة معينة مثل مجلس إدارة، أو لجنة إدارية، أو جهة ما مثل الهيئة الإدارية للمؤسسة الأم التي تتبعها المكتبة أو مركز المعلومات. ومهما كان متخذ القرار فلا بد ان يتمتع السلطة والصلاحيه التي تخوله ذلك.

2- **موضوع القرار:** وهذا العنصر يتمثل في المشكلة أو المشكلات التي يتوجب اتخاذ القرار بخصوصها أو ايجاد حل لها. وعلى متخذ القرار فردا أو جماعة أو جهة ما أن تلتزم بحدود الاختصاص المرسوم لها، وعدم تجاوز ذلك، فالاختصاصات الممنوحة لمدير المكتبة أو مركز المعلومات مثلا " لا يجوز له تجاوزها لاتخاذ قرارات في مسائل تدخل في اختصاص مسؤول أعلى إلا إذا وجد نص يجيز للمسؤول تفويض اختصاصاته للمدير، واستخدام المدير سلطته في التفويض." (فرحات، صفحة 65).

3- **الأهداف الدافعية للقرار:** ويعني ذلك الدافع وراء السلوك أو التصرف الذي اتخذ القرار من أجله. فالقرار لا يتخذ إلا إذا كان وراءه دافع لتحقيق هدف معين أو محدد.

4- **توفر البيانات والمعلومات:** وهو عنصر مهم جدا لاتخاذ القرار. فلا بد من توفر البيانات والمعلومات بكميات كافية ومناسبة أمام متخذ القرار وفي الوقت المناسب لذلك. هذه المعلومات والبيانات يجب أن تكون حول المشكلة قيد البحث أو التي تحتاج إلى حل. وتوفر المعلومات يعد أداة هامة وعنصر حيوي لنجاح القرار السليم. وفي هذا الشأن، يكون لنظم المعلومات الإدارية دور هام في توفير المعلومات لمتخذ القرار.

5- **التنبؤ:** أن كثيرا من القرارات قد تتعامل مع عوامل ومتغيرات مستقبلية ومعظم اتجاهاتها مجهولة " يجب التنبؤ بها وتقديرها، وتحديد انعكاساتها وتأثيراتها على المكتبة أو مركز المعلومات. فالتنبؤ يساعد متخذ القرار في أن يستطلع ما سيحدث في المستقبل." (همشري، صفحة 257). ومن هنا يعد التنبؤ عنصر أساسي وركن مهم من أركان عملية اتخاذ القرار، وله دور كبير في مساعدة المدير على إدراك وفهم حيثيات وأبعاد المشكلة التي تواجه المدير أو المؤسسة تمهيدا لاتخاذ قرار بخصوصها بهدف حلها والتخلص منها.

6- البدائل المتاحة: المدير الجيد الماهر أو متخذ القرار عادة ما يختار الحل أو البديل الأكثر مناسبة والأفضل من بين البدائل المتاحة والمتوفرة له لحل المشكلة أو المشكلات التي يواجهها أو تواجهها المؤسسة المعلوماتية أو أي مؤسسة أخرى.

7- المناخ الذي يتم فيه اتخاذ القرار: المقصود بالمناخ هنا الجو الذي يتم فيه اتخاذ القرار، وما قد يضمنه أو يتضمنه من اعتبارات خاصة بشخص المدير أو متخذ القرار، وظروف مؤسسة المعلومات الداخلية والخارجية التي قد تضع أمام متخذ القرار قيود أو معوقات أثناء اتخاذه للقرار، وبالتالي عليه أن يحسن التعامل مع هذه القيود والمعوقات، وأن يحاول التخفيف من وطأتها أو آثارها السلبية قدر الإمكان ليكون القرار ذو فعالية وإيجابي. ومن أمثلة هذه القيود والمعوقات القيود السياسية، والنقص في الموارد المالية اللازمة، وضعف مستوى كفاءة العاملين بالمؤسسة والقيود القانونية وغيرها من القيود والمعوقات الأخرى. (همشري، صفحة 257).

8- عنصر الزمن: ويتمثل هذا العنصر في تحديد الفترة الزمنية التي يجوز فيها أو من خلالها اتخاذ القرار. وحتى " يكون القرار سليماً من حيث الاختصاص الزمني، لا بد أن يكون اتخاذه خلال الفترة التي تنحصر بين بداية تعيين متخذ القرار في وظيفته وحتى تاريخ انتهاء اختصاصه." (فرحات، صفحة 65).

والجدير بالذكر هنا هو أن متخذي القرار الجيدين عادة لا يأخذون قرارات كثيرة، وهم يأخذون القرارات التي تحل مشكلة. وهم يعرفون متى يكون القرار ضرورياً، وبالتالي فهم لا يماطلون.

وصناع القرار الجيدين يعرفون أن الجزء المهم والأصعب لاتخاذ القرار ليس اتخاذ القرار، فذلك عادة ما يكون سهلاً، ولكن الأكثر أهمية وصعوبة هو التأكد من أن القرار يدور حول المشكلة الحقيقية التي تحتاج إلى الحل.

7- مشاركة الأفراد العاملين في اتخاذ القرار:

يؤكد خبراء الإدارة والمختصين في المجال الإداري على أهمية وفعالية مشاركة الأفراد العاملين في المؤسسة في عملية اتخاذ القرار، حيث يترتب على ذلك نتائج وأثار إيجابية نافعة للمؤسسة مثل زيادة الإنتاج وتحسين جودته ونوعيته، ورفع كفاءة الأداء، وشعور



الموظفين والعاملين بالرضا الوظيفي وزيادة الالتزام والولاء للمؤسسة من طرف الأفراد العاملين.

وعموما، يرى الكثيرون أن المشاركة في اتخاذ القرارات تعزز شعور العاملين بالانتماء للمؤسسة، وتوفير حياة عملية ايجابية، وتوازن نفسي وعقلي من خلال تحقيق حاجاتهم الاستقلالية، والمسؤولية، وكذلك الجانب المادي للعاملين. كذلك أثبتت الدراسات أن المشاركة تؤدي إلى زيادة الإنتاجية، ومزيدا من الرضا الوظيفي من طرف الأفراد العاملين في المؤسسة وخلق جو من الراحة النفسية والتوازن النفسي والتكيف الاجتماعي. لذلك يمكن القول أن المشاركة في اتخاذ القرارات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في مؤسسات المعلومات وغيرها من المؤسسات الأخرى، من أجل الوصول إلى قرارات أفضل وأكثر فاعلية، وأن عدم مشاركة العاملين في اتخاذ القرار قد يؤدي إلى إلحاق أضرار جسمية ونفسية بالعاملين على المدى البعيد. (حريم وآخرون 1998، صفحة 153).

ويتوقف نجاح مشاركة الأفراد وفعاليتها على وجود مجموعة من المتطلبات والشروط التي تتعلق بعض منها بالأفراد العاملين ذاتهم، وبعضها له علاقة بالبيئة التي تتواجد فيها المؤسسة. ومن هذه العوامل نذكر الآتي: (Davis and Newstrom, 1989 نقلًا عن حريم وآخرون، صفحة 154).

- توافر الوقت اللازم للسماح بالمشاركة،
 - أن تكون الفوائد المتوقعة من المشاركة تفوق التكلفة،
 - الموضوع الذي سيشارك فيه العاملون له صلة بمصالحهم،
 - امتلاك المرؤوسين القدرات المناسبة لمعالجة الموضوع،
 - القدرة المتبادلة على الاتصال،
 - عدم شعور أي طرف بالخوف أو التهديد،
 - أن يكون موضوع القرار ضمن سلطة ومسؤولية الجماعة.
- يتضح مما سبق أن اتخاذ القرارات الإدارية في مؤسسات المعلومات وغيرها من المؤسسات والمنظمات الأخرى على اختلاف أنواعها ومجال عملها وتنوع أساليب وطرق

الإدارة التي تتوفر بها، يعد عنصرها ما بل رئيسيا من عناصر الوظيفة الإدارية والمهام التي يقوم بها مدير او رئيس المؤسسة من الحفاظ على مسيرة المؤسسة واستمرارية بقائها في مجال النشاط الذي تمارسه، سواء كان نشاطا خدميا، أو تجاريا أو غيره. وأن اتخاذ القرارات الإدارية يرتبط ارتباطا وثيقا بوظيفة التخطيط التي هي من أول وأهم الوظائف الإدارية الرئيسية لأي مؤسسة أو منظمة، حيث ان اتخاذ القرارات يعمل على انتشار المؤسسة من الوقوع في الأخطاء أو الانحرافات عن المسار المخطط لهذه المؤسسة، ومعالجة أي مشكلة تعترض سبيل تقدم واستمرارية نشاطها وخدماتها بتوفير الحل المناسب لهذه المشكلة وفي الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب الذي يجنب المؤسسة أن تقع فيما لا يحمد عقباه.

8- استخدام نظم المعلومات في اتخاذ القرارات الإدارية:

كما ذكر سابقا، فإن اتخاذ القرارات يعتبر جوهر العملية الإدارية، ويعدده البعض أساس نجاح الإدارة. وأن عملية اتخاذ القرارات هي قلب العمل الإداري. وتشكل المعلومات الإدارية عصب العمل الإداري في أي مؤسسة مهما كان حجمها ومجال عملها ونشاطها، وان جودة القرارات المتخذة على جميع المستويات الإدارية تتوقف على مدى توافر المعلومات الضرورية ودرجة دقة هذه المعلومات وسلامتها وحداتها وطرق تنظيمها، حتى يتم استخدامها في اتخاذ القرارات السليمة المبنية على الأسس المنهجية لاتخاذ القرارات.

وتعد نظم المعلومات وسيلة هامة تعمل على توفير المعلومات وتقديمها للإداريين لاستخدامها في العديد من الأنشطة الإدارية. وبدون هذه المعلومات الضرورية تجد المؤسسة صعوبة كبيرة في اتخاذ القرارات، حيث تكون هذه القرارات في غياب المعلومات غير ذات جدوى، وباستخدام المعلومات الدقيقة والحديثة تكون القرارات المتخذة قرارات سليمة وفاعلة، حيث إن القرارات الجيدة والفعالة تعتمد على عاملين أو عنصرين أساسيين هما: (اللوزي 2000، صفحة 223).

- 1- المدير نفسه وموقعه التنظيمي،
- 2- وجود نظام معلومات متطور ومتقدم ويعمل بكفاءة عالية.



ويشير خبراء الإدارة ونظم المعلومات الإدارية إلى أن توافر المعلومات الجيدة والدقيقة والسليمة والحديثة يقدم للإدارة والعاملين العديد من المنافع والفوائد من بينها نذكر الآتي: (محمد ياغي نقلا عن اللوزي، صفحة 224).

- 1- تنمية قدرة المدير على الاستفادة من المعلومات المتاحة، والخبرات التي تحققت من الخبرات السابقة.
- 2- ترشيد وتنسيق ما يبذله المدير من جهد في البحث والتطوير على ضوء ما هو متاح من معلومات.
- 3- وجود قاعدة معرفية عريضة لحل المشكلات.
- 4- توفير بدائل وأساليب حديثة لحل المشكلات.
- 5- رفع مستوى فعالية وكفاءة النشاطات التي تقوم بها المنظمات.
- 6- ضمان القرارات السليمة في جميع أقسام المنظمة وعلى مختلف المستويات.

وتشكل نظم المعلومات جزءا مهما وأساسيا في مؤسسات ومنظمات الأعمال الحديثة على اختلاف أنواعها وهي تصمم لدعم الأنشطة الإدارية، خصوصا اتخاذ القرارات الجيدة والسليمة. والمعروف أن الإدارة تقوم بعدد من الوظائف، وكل وظيفة تتطلب دعم من نظم المعلومات، وكذلك، فإن المعلومات مطلوبة لمختلف مستويات اتخاذ القرارات، ونظم المعلومات يجب أن تدعم كل مستوى منها. والاستخدام الفعال لنظم المعلومات في اتخاذ القرارات الإدارية يمنح القوة للمديرين ويساعد المؤسسة على النجاح. وينظر دائما إلى أن نظم المعلومات على أنها أداة للمساعدة على تحسين العمل الإداري من خلال استخدام المعلومات المتوفرة لاتخاذ القرارات، وأن الهدف الأساسي لنظم المعلومات هو إنتاج المعلومات للعمل ثم تسهيل اتخاذ القرارات، وأكثر من ذلك، فإن نظم المعلومات تصمم لدعم الأنشطة الإدارية، وبالخصوص اتخاذ القرارات. (Berisha-Namani, 2010,page 114).

- ما هو نظام المعلومات الإدارية:

هناك العديد من التعريفات لنظم المعلومات الإدارية منتشرة في أدبيات نظم

المعلومات والعلوم الإدارية ولفترة من الزمن. ولغرض استخدامها في عملية اتخاذ القرارات، نذكر أمثلة لهذه التعريفات.

يعرف فيليب كوتلر – (P. Kotler 1997) نظام المعلومات بأنه " ذلك النظام المتكون من الأفراد والمعدات والإجراءات لغرض تصنيف، وتحليل وتوزيع المعلومات المطلوبة وبالذقة المطلوبة لصانعي القرار." (فليح، 2008، صفحة 48).

أما عماد الصباغ فيرى أن نظام المعلومات هو " بيئة تحتوي على عدد من العناصر التي تتفاعل فيما بينها مع محيطها بهدف جمع البيانات ومعالجتها وإنتاج وبث المعلومات لمن يحتاجها لصنع القرارات." (الصباغ، 1996، صفحة 22).

وهدف نظام المعلومات الإداري ينصب على توفير وإعداد وانسياب جيد للمعلومات وتقديمها للإداريين لتمكين المديرين والرؤساء في المؤسسات المختلفة ومنها مؤسسات المعلومات، من اتخاذ القرارات الإدارية السليمة والذكية في الوقت المناسب وللتقليل من حالة عدم التأكد (الشك) التي تصاحب عمليات اتخاذ القرارات، وما ينجم عن ذلك من زيادة قدرة الإدارة في استغلال الموارد المتاحة لها بشكل فعال. وتعد عملية اتخاذ أو صنع القرار من الأهمية بمكان، حيث يتوقف عليها نجاح المؤسسة أو الإدارة أو فشلها، اعتماداً على المعلومات الضرورية وبالخصائص المطلوبة في أيدي الإدارة الحكيمة أو الرشيدة التي تحقق المعجزات. (فليح، 2010، صفحة 55).

9-خاتمة:

- النتائج: من خلال دراسة موضوع اتخاذ القرارات الإدارية في مؤسسات المعلومات أمكن استخلاص النتائج التالية:

- 1- اتخاذ القرارات يعد جوهر العملية الإدارية في مؤسسات المعلومات.
- 2- أن القرار الإداري الجيد يتميز بعدة خصائص وسمات كما هو مبين.
- 3- يتطلب نجاح اتخاذ القرارات المشاركة من طرف العاملين في المؤسسة المعلوماتية.
- 4- هناك مجموعة من العوامل تؤثر على نجاح عملية اتخاذ القرارات.

- 5- ان نجاح عملية اتخاذ القرارات يتطلب استخدام نظم المعلومات الإدارية نظرا لما توفره هذه النظم من جهد ووقت وكلفة اقتصادية مناسبة.
- التوصيات: ومن خلال الدراسة والنتائج المذكورة فإننا نوصي المكتبات العربية بالآتي للرفع من عملية اتخاذ القرارات:
- 1- إدارة المؤسسة المعلوماتية يجب أن تكون على دراية كاملة بأساسيات عملية اتخاذ القرارات في المؤسسة (المكتبة أو مركز المعلومات).
- 2- المعرفة التامة بالعوامل المؤثرة على نجاح عملية اتخاذ القرارات.
- 3- يجب اختيار نوع القرار الإداري المناسب لكل مشكلة معينة تواجه المؤسسة المعلوماتية.
- 4- استخدام نظم المعلومات الإدارية أصبح أمرا ضروريا للمساعدة في عملية اتخاذ القرار المناسب لكل مشكلة أزمة تواجهها المكتبة أو مركز المعلومات.
- المراجع:
- بلقاسم، مرغني. نظام المعلومات ودوره في اتخاذ القرار: دراسة حالة مؤسسة اتصالات الجزائر - الوادي. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011. (رسالة ماجستير غير منشورة).
- حريم، حسين وآخرون. أساسيات الإدارة. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 1998.
- الجيوسي، محمد رسلان وجاد الله، جميله. الإدارة علم وتطبيق. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2000.
- الصباغ، عماد عبد الوهاب. الحاسوب في إدارة الأعمال. عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1996.
- الصحن، محمد فريد وآخرون. مبادئ الإدارة. اسكندرية: الدار الجامعية، 2000.

- العزاوي، خليل. إدارة اتخاذ القرار الإداري. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2006.
- عزي، سهام. دراسة المقاربة الكمية في اتخاذ القرارات الإدارية، دراسة حالة مؤسسة عمومية: المستشفى الجامعي مصطفى باشا ووكالة التأمين سلامة. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر 3، 2011-2012. (رسالة ماجستير).
- العلاق، بشير. أسس الإدارة الحديثة، نظريات ومفاهيم. عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، 1999.
- فرحات، ثناء إبراهيم. الأساسيات الحديثة لإدارة المكتبات والمعلومات. القاهرة: الدار المصرية - اللبنانية، 2010.
- فليح، حكمت محمد. " أثر نظام المعلومات الإدارية في صناعة القرارات الإدارية، دراسة لأراء عينة من المسؤولين الإداريين في كليات جامعة تكريت. " مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية. مج 4، ع 10، 2008.
- كنعان، نواف. اتخاذ القرارات الإدارية. عمان: كلية الحقوق الجامعية الأردنية، 1998.
- همشري، عمر أحمد. الإدارة الحديثة للمكتبات ومراكز المعلومات. عمان: مؤسسة الرؤى العصرية، ودار صفاء، 2001.
- Davis, Keith and John W. Newstrom. *Human Behavior at Work*. 8th.ed. New York: McGraw-Hill Book Co., 1989.
- Berisha-Namani, Mihani. " The role of information systems in management decision making – an theoretical approach." *Mahager (Information Management)*. No. 12, 2010.

التربية البيئية... هل هي مدخل لتميز المجتمع المدني العربي في تحقيق التنمية

المستدامة ؟

Environmental education...Is it an entrance to distinguish Arab civil society in achieving sustainable development?

.أ.د. صباح بلقيدموم، جامعة عباس لغرور-خنشلة-، bsabah@ymail.com

د. حياة مامن، جامعة عباس لغرور-خنشلة-، mamene.hayette@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022-09-29 تاريخ القبول: 2022-11-14 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

This research aims to show how Arab civil society contributes to environmental education in order to achieve sustainable development. If the latter sees in human being the purpose and the mean, civil society supports this trend by focusing on educating this human being a healthy environmental education. And we came up through this research that the Arab society is witnessing a lack of awareness of the importance of civil society institutions, which the charitable tendencies still prevail over their activities. therefore, it become an urgent need for the necessity of the existence of an effective Arab civil society, standing by its institutions in the field of environmental education to achieve sustainable development, by focusing on two main aspects: the side of the informal educational activities and the side of educational and training programs.

Keywords: Arab Civil Society, Environmental Education, Sustainable Development

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز ضرورة مساهمة المجتمع المدني العربي في مجال التربية البيئية لتحقيق التنمية المستدامة، فإن كانت هذه الأخيرة ترى في الإنسان الغاية والوسيلة، فإن المجتمع المدني يدعم هذا التوجه من خلال تركيزه على تربية هذا الإنسان تربية بيئية سليمة. وتوصلنا من خلال هذا البحث إلى أن المجتمع العربي يشهد افتقارا للوعي بأهمية مؤسسات المجتمع المدني التي ما زالت التوجهات الخيرية لها الغلبة على نشاطاتها، لذا أصبحت هناك حاجة ملحة إلى ضرورة وجود مجتمع مدني عربي فاعل، قائم بمؤسساته في مجال التربية البيئية لتحقيق التنمية المستدامة، وهذا من خلال التركيز على جانبين أساسيين: جانب الأنشطة التربوية غير النظامية وجانب البرامج التربوية والتدريبية.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المدني العربي، التربية البيئية، التنمية المستدامة.

مقدمة:

بالرجوع إلى الظروف العامة التي أثّرت فيها قضايا حماية البيئة مع مطلع سبعينيات القرن العشرين واحتدام النقاشات والآراء بشأن أولوية قضايا البيئة أمام قضايا التطور والرفاه الاقتصادي والاجتماعي التي شكلت أبرز أولويات وأهداف الدول والحكومات آنذاك، كان الصعود الميداني اللافت لقطاع المجتمع المدني كقوة تأثير فعالة وأساسية في الدفاع عن قضايا البيئة والمناداة بضرورة إعطائها مكانتها الحيوية بمقابل الاهتمامات الإنسانية الأخرى ولا سيما الاقتصادية منها، مما أعطى لدور هذا القطاع ومقارنته بباقي القطاعات الأخرى بعدا حيويا وأساسيا في بلورة الاهتمام الإنساني المعاصر بمجال البيئة وعلى صعيديه الوطني والدولي.

إن سياسات الحكومات الدولية التي تدعو إلى أهمية الدفاع على البيئة، دفعت بالدول المتطورة إلى الاهتمام بالتربية البيئية والتي اعتبرت من أهم مصادر الثروة والتنمية المستدامة بسبب التطور الذي تشهده في كيفية المحافظة على البيئة، في حين نجد أن الدول السائرة في طريق النمو -العربية منها خاصة- مازالت تتخبط في مشكل تعميم الثقافة البيئية ونشر التربية البيئية بمختلف الوسائل وكيفية إشراك جميع مؤسسات المجتمع المدني في ذلك، باعتبارها الهيئات المتعاملة والمحكمة مباشرة مع الواقع المعاش والمتفاعلة في نشاطاتها مع جميع فئات المجتمع، حيث نجد أن مؤسسات المجتمع المدني العربي تقع على عاتقها مسؤولية التربية البيئية، لما لها من قدرة فائقة على التأثير في الاتجاهات والسلوكيات، وهذا من أجل تلبية حاجات الأجيال الحالية واللاحقة في إطار تحقيق التنمية المستدامة.

وعليه تتمحور إشكالية البحث في التساؤل الرئيسي التالي:

كيف يمكن أن يساهم المجتمع المدني العربي في مجال التربية البيئية لتحقيق التنمية

المستدامة؟

وعليه ستم الإجابة على التساؤل الرئيسي من خلال المحاور الآتية:

أولا: مفاهيم أساسية حول التنمية المستدامة، التربية البيئية والمجتمع المدني.

ثانيا: المجتمع المدني من منظور التربية البيئية والتنمية المستدامة.

ثالثاً: المجتمع المدني العربي فاعل أساسي في استراتيجيات التربية البيئية لتحقيق التنمية المستدامة.

أولاً: مفاهيم أساسية حول التنمية المستدامة، التربية البيئية والمجتمع المدني:

برز دور المجتمع المدني كشريك أساسي للحكومة، وكساهم في تحقيق التنمية وفي تحمل المسؤولية، إذ كان لمؤسسات المجتمع المدني دور في نشر معالم التربية البيئية من أجل تحقيق التنمية المستدامة، كاستراتيجية تلخص رؤية تربية تسعى إلى جعل العالم صالحاً لمعيشة هذا الجيل والأجيال القادمة، وهو ما سيتم تناوله في هذا المحور.

1. التنمية المستدامة (المفهوم، الأهداف والأبعاد):

1.1. مفهوم التنمية المستدامة:

إن ربط المصطلحين التنمية والاستدامة أدى إلى الظهور الرسمي للتنمية المستدامة. وفيما يلي أهم التعريفات التي تناولت الموضوع:

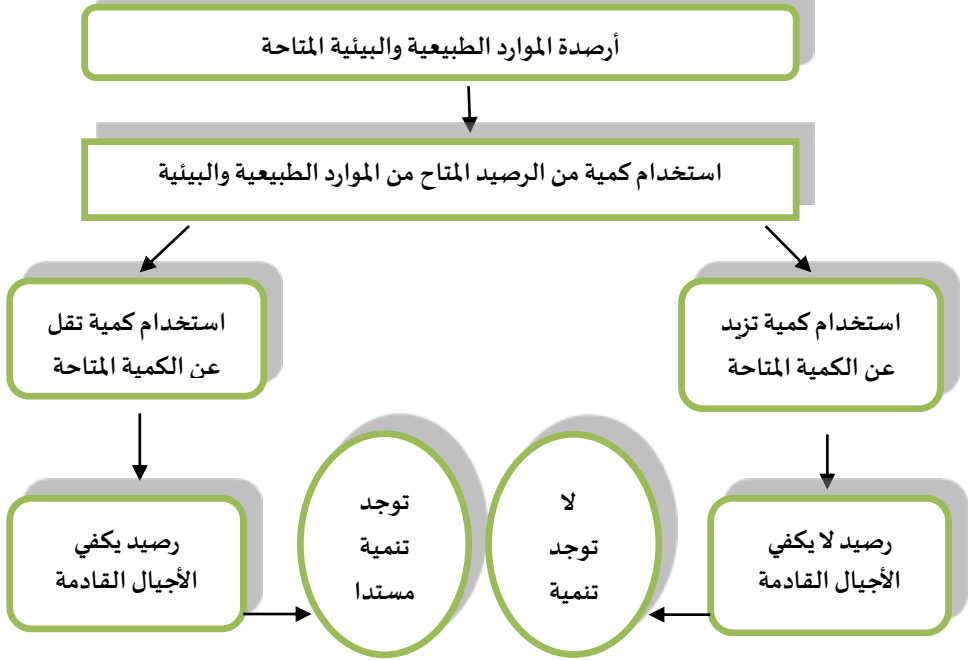
- تعريف تقرير اللجنة العالمية للبيئة والتنمية: الصادر عام 1987: "التنمية التي تلبى احتياجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية احتياجاتهم" (عثمان محمد غنيم وماجدة أبو زنت، 2007، صفحة 25).
- تعريف البنك الدولي: "التنمية التي تهتم بتحقيق التكافؤ المتصل الذي يضمن إتاحة الفرص للأجيال القادمة وذلك بضمان ثبات رأس المال الشامل أو زيادته المستمرة عبر الزمن" (عمار عمادي، 2008، صفحة 05).
- تعريف قاموس (WEBSTER): "التنمية التي تستخدم الموارد الطبيعية دون أن تسمح باستنزافها أو تدميرها جزئياً أو كلياً، أي ضرورة ترشيد استخدامها (Beat Burgenmeies، 2005، صفحة 38)".

وعليه يمكن القول أن التنمية المستدامة هي توظيف التنمية الاقتصادية لخدمة البشرية الحاضرة والمستقبلية، لتحقيق لهم كل المتطلبات الاجتماعية وطموحات الحياة المتعددة

والمتغيرة، مع المحافظة على خصوصياتهم الثقافية وتطويرها، بالإضافة إلى حماية البيئة من خلال الحفاظ على توازنها وعقلنة استخدام مواردها.

والشكل التالي يوضح العناصر الرئيسية التي تتكون منها التنمية المستدامة:

الشكل رقم (01): العناصر الرئيسية للتنمية المستدامة



المصدر: أحمد فرغلي حسن، البيئة والتنمية المستدامة-الإطار المعرفي والتقييم المحاسبي- ط01، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 2007، ص 11.

2.1. أهداف التنمية المستدامة:

إن للتنمية المستدامة أهدافا شاملة تعمل على تحقيقها. والشكل التالي يوضح هذه الأهداف الشاملة.

الجدول رقم (01): الأهداف الشاملة للتنمية المستدامة

الأهداف الاقتصادية	الأهداف الاجتماعية	الأهداف البيئية	الأهداف التكنولوجية
- النمو. - المساواة. - الكفاءة.	- التمكين. - المشاركة. - الحراك الاجتماعي. - التماسك الاجتماعي. - الهوية الثقافية. - التطوير المؤسسي.	- وحدة النظام الإيكولوجي. - قدرة تحمل النظام البيئي. - التنوع البيولوجي. - القضايا العمالية.	- تقليل استخدام التكنولوجيات المضرة بالبيئة. - نشر وتطوير التكنولوجيات النظيفة الصديقة للبيئة.

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على: راشي طارق، الاستخدام المتكامل للمواصفات العالمية (الأيزو) في المؤسسة الاقتصادية لتحقيق التنمية المستدامة-دراسة حالة شركة مناجم الفوسفات بتبسة-، مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، تخصص: إدارة الأعمال الاستراتيجية للتنمية المستدامة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2011، ص 20.

3.1. أبعاد التنمية المستدامة:

إن التنمية المستدامة تقوم على التداخل بين ثلاثة أبعاد أساسية: اقتصادية، اجتماعية وبيئية.

والجدول التالي يوضح الأبعاد الأساسية للتنمية المستدامة.

الجدول رقم (02): الأبعاد الأساسية للتنمية المستدامة

الأبعاد البيئية	الأبعاد الاجتماعية	الأبعاد الاقتصادية
النظم الإيكولوجية.	المساواة في التوزيع.	النمو الاقتصادي المستدام.
الطاقة.	الحراك الاجتماعي.	كفاءة رأس المال.
التنوع البيولوجي.	المشاركة الشعبية.	إشباع الحاجات الأساسية.
الإنتاجية البيولوجية.	التنوع الثقافي.	العدالة الاقتصادية.
القدرة على التكيف.	استدامة المؤسسات.	

المصدر: شامية بن عباس، تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المنظمات وانعكاساتها على التنمية المستدامة-دراسة حالة الجزائر-، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2015، ص 103.

2. التربية البيئية (مفهومها وأهميتها من أجل التنمية المستدامة):

1.1. مفهوم التربية البيئية:

ليست التربية البيئية حديثة العهد فلها جذورها القديمة في مختلف ثقافات الشعوب كما تظهر من خلال التعاليم الدينية، ولعبت الأديان السماوية دورا كبيرا في تحسين علاقة الإنسان بما يحيط به، ففي الإسلام فإن استخلاف الإنسان في الأرض يقتضي الرحمة وينهى عن التخريب والفساد يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم "ولا تعثوا في الأرض مفسدين". وينصرف مدلول التربية البيئية للتعبير عن مجموع البرامج التعليمية والتربوية الهادفة إلى تمكين الإنسان من العيش بنجاح على هذا الكوكب، ورفع مستوى اهتمامه بالبيئة والمشكلات المتصلة بها والحيلولة دون ظهور مشكلات جديدة.

وقد تبنى مؤتمر "تبليسي" حول التربية البيئية سنة 1977 تحت إشراف منظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (PNUE) هذا التوجه في تحديد مضمون التربية البيئية باعتبارها

ذلك المسار التعليمي الذي يتيح للأفراد اكتساب مستوى من القيم والخبرات التي تمكنهم من مواجهة مختلف القضايا والمشاكل المتعلقة بمحيطهم البيئي.

فالتربية البيئية يكتسب الإنسان المهارات والاتجاهات والقيم التي تساعد على التعامل العقلاني الرشيد مع موارد البيئة وعليه تتضح الحاجة الماسة للتربية البيئية من أجل صيانة البيئة وتحسينها (حواس صباح ، ، 2015 ، الصفحات 83-84).

تتعدد مدلولات مصطلح التربية البيئية، *L'éducation Relative A L'environnement*, (ERE) من الناحية النظرية، بتعدد واختلاف المنطلقات الفكرية والعملية المعتمدة في تحديد مضامينه الأساسية، فاعتمادا على الجانب الإجرائي للمفهوم تعرف التربية البيئية على أنها: "عملية تكوين المعارف والقيم التي تساعد على فهم علاقة الإنسان بمحيطه البيئي وتجعله مستعدا لتحمل مسؤولياته اتجاهه، فهي بذلك آلية فعالة في ضبط موقف الإنسان من النظم والعناصر الطبيعية، عن طريق تزويده بمهارات تفكير إيجابية وفعالة اتجاه المحيط الذي يعيش فيه، وما يتعرض له من تهديدات جديّة كالتلوث واستنزاف الموارد البيئية وغيرها.

أما بالتركيز على غايتها العملية فينصرف مدلول التربية البيئية، للتعبير عن مجموع البرامج التعليمية والتربوية الهادفة إلى تمكين الإنسان بشكل عام من العيش بنجاح على هذا الكوكب، ورفع مستوى اهتمامه بالبيئة العالمية الكلية والمشكلات المتصلة بها والحيلولة دون ظهور مشكلات جديدة، وقد تبني مؤتمر "تبليسي" الأممي حول التربية البيئية المنعقد سنة 1977 تحت إشراف منظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة هذا التوجه الوظيفي في تحديد مضمون التربية البيئية، باعتبارها ذلك المسار التعليمي الذي يتيح للأفراد اكتساب مستوى من القيم والخبرات، التي تمكنهم من مواجهة مختلف القضايا والمشاكل المتعلقة بمحيطهم البيئي (كريم بركات ، 2014 ، صفحة 147).

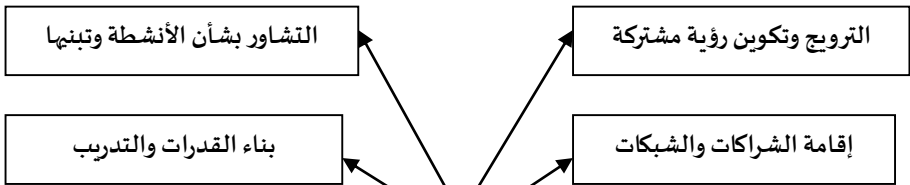
وعليه يمكن القول أن التربية البيئية هي تلك العملية التربوية التي تسعى إلى إمداد الإنسان بمجموعة من القيم والمهارات العملية، الكفيلة بتمكينه من تحمل مسؤولياته اتجاه المحيط

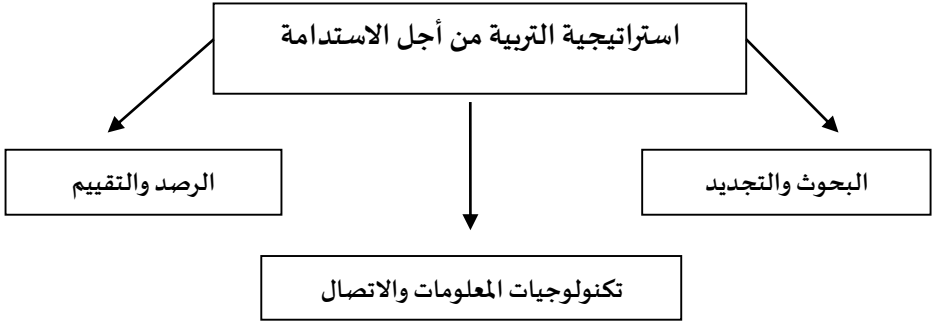
البيئي الذي يعيش فيه، والوصول إلى توافق وانسجام أنشطته وسلوكياته المادية مع مقتضيات المحافظة على المحيط البيئي باعتباره الإطار المعيشي الحيوي للأجيال الإنسانية المتعاقبة.

2.2. أهمية التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة:

تتميز التربية البيئية بطابع الاستمرارية والتطلع إلى المستقبل، ولأن عظمة الإنسان لا تكمن فقط في المحافظة على البيئة الطبيعية، أو إيجاد وعي وطني بأهمية البيئة بالنسبة لمتطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولكن في حرصه على تعلم أساليب الإنتاج والبناء، دون أن يهدم دعائم الحياة المستقبلية، لأن فهم العلاقة المتبادلة والترابط واعتماد الكائنات الحية بعضها ببعض، وعلاقتها بالبيئة التي يعيش فيها، هو مفتاح الفهم الصحيح لمبدأ المحافظة على الطبيعة، لأنه يتعين قبل ممارسة الطرق السليمة لصيانة الموارد الطبيعية في البيئة، فإنه من المفيد تفهم العلاقات فيما بين الكائنات الحية وبيئتها، كما أنه من المفيد إبراز أن الإنسان هو جزء من بيئة متزنة، وأن حسن تنشئة الإنسان وإعداده للقيام بمهمة صيانة- البيئة داخل وخارج المدرسة، يبقى دائما العامل الأول والحاسم، الذي يتوقف عليه تحقيق الأهداف المرجوة في هذا المجال، وغيره من المجالات. لذلك تعتبر التربية البيئية استراتيجية حتمية وضرورية، تسعى لتطوير القدرات البيئية في مجال التعليم والتوعية والاتصال البيئي، يهدف الحفاظ على عناصر البيئة والتعامل معها بعقلانية، لتحقيق تنمية مستدامة تسهم في تحسين نوعية الحياة للمواطن والرفاه للأجيال الحاضر والمستقبل، ويمكن توضيح أهمية التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة من خلال الشكل الآتي:

الشكل رقم (02): استراتيجية التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة





المصدر: فتيحة طويل، التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة-دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم المتوسط بمدينة بسكرة-، أطروحة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تخصص: علم الاجتماع التنموية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013، ص ص 62.

ولهذه الاستراتيجية ما يبررها من أسباب:

✓ التربية البيئية تساعد الناس على إدراك المشكلات البيئية، التي تتصف بالتعقيد لتعدد مسباتها وتحويل آثارها، واختلاف مواقع حدوثها وتعدد الجهات التي تتعامل معها، لذا فإن هناك حاجة لسبق كافة الجهود التربوية والإعلامية والتثقيفية، والوسائل الكفيلة لحل هذه المشكلات، والعمل على منع ظهور مشكلات جديدة، مما يتطلب الحاجة إلى تطوير أخلاقيات بيئية لدى المواطن، وتجعله قادرا على الانسجام مع البيئة لتستمر مدى حياته، وتشمل برامج التعليم والتدريب والإعلام والتوعية، وهو الدور الذي تقوم به التربية البيئية لصيانة البيئة، وتوفير معيشة كريمة، وبيئة نظيفة ولتنمية مواردها.

✓ تهتم التربية البيئية بجميع نواحي البيئة، كالجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والجمالية، ولا تختصر على الجوانب البيولوجية، لأن المشكلات البيئية القائمة هي نتاج لأنشطة الإنسان والمؤسسات العامة والخاصة، وتتصف بصفة محلية وبطابع عالمي، لذا

فإن التربية البيئية تهدف إلى تعاون الجهود المحلية والعالمية، والتصدي للمشكلات البيئية الحاصلة والمتوقعة.

✓ تقوم بتعديل مواقف الأفراد من البيئة، وترسيخ طرق ومناهج فكرية ومعارف جديدة، تأخذ بعين الاعتبار التنمية المستدامة، وتقييم الأثر البيئي، والمحافظة على مصادر الطبيعة المختلفة، التفاهم الدولي والسلم العالمي، النوع الاجتماعي عند إعداد إستراتيجيات البيئة وتكوين الاتجاهات والقيم نحو المحافظة على البيئة، واكتساب سلوك إيجابي اتجاه المشكلات التي تنجم عن تفاعل الإنسان معها، مما يتطلب وعياً بيئياً تربوياً، لذلك يجب تطوير الوعي البيئي، عند المواطن والتلميذ للتعامل مع البيئة وتحكمه وترشده، ومن هنا كانت أهمية وضرورة التربية البيئية، التي لها فلسفة- وأهداف محددة لتحقيق ذلك.

وعلى الرغم من هذه الأهمية والحتمية للتربية البيئية، التي ظهرت منذ السبعينات من القرن العشرين في حماس كبير، وتطورت لجميع برامج الأنشطة البشرية، وكثرة الأبواب التي طرقها والقنوات التي تشعبت منها، فإنها تعاني من عقبات وتواجه مشكلات، تعوقها على أرض الواقع.

ورغم هذه الصعوبات والمشكلات، إلا أن التربية البيئية تعتبر الحل في مواجهة المشكلات البيئية، وحماية البيئة في الحاضر والمستقبل، فقط لا بد أن يتم استعمالها بالحكمة والتقنين، ومزيد من الجهود الفعلية والميدانية المتعاونة من جميع الأطراف، لتنمية الاتجاهات الحقيقية وإكساب المعارف ومناقشة إطار محتوى التدريس، والتأكيد من قابلية تعلم المحتوى والتكيف أو التطويع، ووضعت رتببات تركيبية ومؤسسية، والتوصل إلى إيجاد أساس فلسفي معقول، يؤطر نموذج للتربية البيئية ونوع من الاتفاق حول غايات وأهداف التربية البيئية، فهل يحمل مطلب فلسفة التربية البيئية وأهدافها هذا النوع من الحكمة، لمواجهة مشكلات وصعوبات التربية البيئية؟ (فتيحة طويل، 2013، الصفحات 61-64).

3. المجتمع المدني (المفهوم والمكونات):

1.3. مفهوم المجتمع المدني:

تم طرح مفهوم المجتمع المدني على المستوى الدولي تحت عنوان: "برنامج الأمم المتحدة التطوعي" في عام 1967. وفيما يلي أهم التعريفات التي تناولت هذا الموضوع (المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، متاح على: <http://democraticac.de> ، -):

• "الأفراد والهيئات غير الرسمية بصفتها عناصر فاعلة في معظم المجالات التربوية والاقتصادية والعائلية والصحية والثقافية والخيرية وغيرها"

• "جملة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل من أجل تلبية الاحتياجات الملحة للمجتمعات وفي استقلال نسبي عن سلطة الدولة وعن تأثير رأسمالية الشركات الخاصة" (مركز التميز للمنظمات غير الحكومية، متاح على: www.ngoce.org ، 2022).

• "مجموعة التنظيمات المستقلة ذاتيا التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة وهي غير ربحية تسعى إلى تحقيق مصالح أو منافع مشتركة للمجتمع ككل أو بعض فئاته المهمشة أو تحقيق مصالح أفرادها ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتواضع والإدارة السامية للاختلافات والتسامح وقبول الآخر" (أمانى قنديل، 2008، صفحة 64).

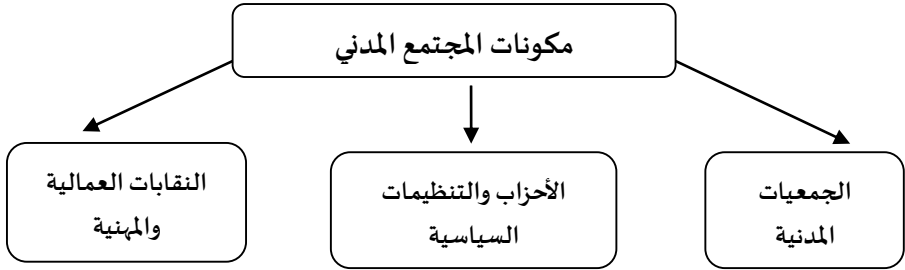
• "المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادين مختلفة في استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة منها أغراض سياسية كالمشاركة في صنع القرار ومثال ذلك الأحزاب السياسية ومنها أغراض نقابية كالمدافع عن مصالح أعضائها ومنها أغراض ثقافية كما في اتحادات الكتاب والمثقفين والجمعيات الثقافية ومنها أغراض للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية" (خير الدين عبادي، 2011، صفحة 10).

ومنه يمكن القول أن المجتمع المدني هو عبارة عن تلك التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ينضم إليها الأفراد بصفة طوعية وتعمل بصورة مستقلة عن الدولة بهدف تحقيق مصالح الفئات المهمشة ونشر الوعي والاهتمام بمختلف القضايا المطروحة والمساهمة في تقديم الحلول لتحقيق التنمية.

2.3. مكونات المجتمع المدني:

إن الإطار الهيكلي الأساسي في تكوين وبناء قطاع المجتمع المدني يضم مجموعة من المكونات يمكن إيضاحها من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (03): مكونات المجتمع المدني



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على: كريم بركات، مساهمة المجتمع المدني في حماية البيئة، أطروحة دكتوراه في العلوم، تخصص: القانون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014، ص 51.

ثانياً: المجتمع المدني من منظور التربية البيئية والتنمية المستدامة

تعتبر التربية البيئية إحدى الدعائم الرئيسية لبناء الاجتماعي والبيئي فلقد أصبحت اليوم عملية متكاملة وشاملة ومتفاعلة لا بد من تحقيقها حيث ترشحت مؤسسات المجتمع المدني كقاطرة فاعلة لمختلف التغيرات ذات الطابع البيئي، بقصد إعداد جيل واع ببيئته الطبيعية والاجتماعية يساهم في نشر التربية البيئية من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وهو ما سيتم تناوله في هذا المحور.

1. اهتمام المجتمع المدني بمجال التربية البيئية:

وبالرجوع إلى التطورات التي شهدتها موقف المجتمعات المعاصرة من قضايا البيئة عموماً يتجلى لنا وبوضوح ذلك الدور الكبير الذي برزت به تنظيمات المجتمع المدني في إثارة المواضيع البيئية، إذ سجلت سبعينات القرن العشرين وأمام حالة التفاف غير المسبوق لمظاهر التدهور البيئي عبر مختلف مناطق العالم حراكاً اجتماعياً كبيراً اتجه قضايا المحيط البيئي، كما أسهمت صور التحرك العملي الذي قادته التنظيمات المدنية وبشكل متواصل خلال تلك الفترة إلى التأثير الكبير في مدى إدراك الرأي العام بخطورة هذه الأوضاع البيئية، المعاصرة وتداعياتها المباشرة على ظروف حياة الأجيال الإنسانية الحاضرة والمستقبلية.

ومن أبرز صور التحرك الجماهيري آنذاك تلك الحملات الميدانية التي قادتها العديد من هذه التنظيمات ضد السياسات الحكومية في مجال امتلاك واستخدام الطاقة النووية، ففي الولايات المتحدة الأمريكية قام مؤسس منظمة السلام الأخضر سنة 1971 بحملات معارضة ميدانية للتجارب النووية التي تم إجراؤها بمقاطعة آلاسكا، وقد أسهم هذا التحرك الميداني وما صاحبه من تغطية واهتمام إعلامي كبير في الرفع من مستوى الوعي الإنساني بخطورة هذه التجارب وتأثيراتها على المحيط البيئي وانتقال حركة المقاطعة لمناطق أخرى في العالم كفرنسا والعديد من الدول الأوروبية التي تعتمد الاستخدام النووي في سياستها الطاقوية، ثم ارتكز نشاط التنظيمات المدنية بعد ذلك وبشكل كبير على مجال التوعية كأحد الوسائل العملية الكفيلة برفع مستوى الاهتمام الإنساني بقضايا البيئة، ولا سيما مع الامتداد الكبير الذي عرفته هذه التنظيمات من حيث آليات ومجال تدخلها الميداني، وبروزها المتصاعد كفاعل أساسي في تنفيذ وإعمال مختلف السياسات والتدابير الموجهة لحماية البيئة، حيث شكل موضوع التحسيس الركيزة الأساسية والمشاركة في برامج واستراتيجيات مختلف تنظيمات المجتمع المدني المهتمة بالمجال البيئي وعلى اختلاف مجال امتدادها سواء على الصعيد الداخلي أو الدولي (أمال يعيش تمام وحنان منصورية،، 2017، الصفحات 66-67)

2. دور مؤسسات المجتمع المدني في تحقيق التنمية المستدامة:

هناك إجماع واتفاق بين جميع المهتمين بقضايا التطور والتنمية على أن التنمية المستدامة الحقيقية هي التي تقوم بالاعتماد المتبادل بين الجهود الحكومية والأهلية معا وعلى أن يقدم كل طرف ما لديه ويسهم بما في وسعه لمواجهة وحل مشكلات المجتمع. وهنا تبرز أهمية مؤسسات المجتمع المدني كفاعل أساسي في التطور الاجتماعي والاقتصادي لتدعيم وتحقيق التنمية المستدامة.

ويتضح دور مؤسسات المجتمع المدني في تحقيق التنمية المستدامة من خلال:

- ✓ دور الأسرة: من خلال تنشئة أجيال تعي جيدا ماهية البيئة و مخاطرها على المجتمع، حال الاهتمام بالنظافة والاستخدام الرشيد لكل شيء حتى يتم التقليل والحد من تأثير الاستغلال السيء للبيئة.
- ✓ دور المؤسسات التعليمية: دورها مكمل لدور الأسرة في الارتقاء بسلوك الطفل؛ حيث توجد إدارات للبيئة بالمدارس تسهم في رفع الوعي البيئي ويجب أن تتضمن المناهج الدراسية مقرا مستقلا عن البيئة وضرورة القيام بأنشطة تخدمها.
- ✓ دور النقابات العمالية: من خلال تعريف العمال بأضرار الاستخدام السيئ لبعض التكنولوجيات الملوثة للبيئة والتي قد تسبب لهم الأمراض، حيث تطالب النقابات بضرورة الحصول على تكنولوجيات نظيفة وتوفير مناخ جيد للعمل.
- ✓ دور العلماء: من خلال عقد ندوات سواء في المحافل الدولية العامة أم الخاصة أم في وسائل الإذاعة والتلفزيون يوضح فيها العلماء كيفية المحافظة على البيئة.
- ✓ دور النوادي الاجتماعية والرياضية: من خلال استغلال وجود صفوة المجتمع لإبراز دور الأفراد في التوعية المستدامة لمخاطر التلوث وخاصة لصغار السن من أبناء وأحفاد الأعضاء أو عن طريق عقد ندوات يدعى لها المتخصصون.

✓ دور الإعلام في تحقيق التنمية المستدامة: إن إجراء التقييم البيئي المستمر للمشاريع التنموية ونشر الوعي البيئي والتربية والتدريب والتثقيف يتطلب وجود ارتباط وثيق بين التنمية المستدامة والإعلام.

✓ دور المؤسسات الدينية: تلعب المؤسسات الدينية من المساجد وغيرها دورا كبيرا في توعية الناس من خلال الدروس، الخطب الأسبوعية والندوات لإبراز مساوئ التلوث البيئي على الطبيعة.

✓ دور المجالس الشعبية المحلية: من خلال القيام بدورها التنموي والحفاظ على البيئة ورقابة سلبيات الوحدات التنفيذية وفرض عقوبات على المخالفين وإعادة إصلاح ما أفسده البعض من خلال محور الإصلاح البيئي لتحقيق التنمية المستدامة (http://democraticac.de، 2022).

ثالثا: المجتمع المدني العربي فاعل أساسي في استراتيجية التربية البيئية لتحقيق التنمية المستدامة

إن التنمية المستدامة الحقيقية هي التي تقوم بتبني والاعتماد على مجهودات مؤسسات المجتمع المدني لحل جميع مشكلات المجتمع-خاصة العربي-. وهنا تبرز أهمية مؤسسات المجتمع المدني العربي كفاعل أساسي في نشر معالم التربية البيئية لتحقيق التنمية المستدامة. وهو ما سيتم تناوله في هذا المحور.

1. المجتمع المدني العربي (الواقع والمتطلبات):

1.1. المجتمع المدني في الوطن العربي:

تشكل المنظمات غير الحكومية في الوطن العربي أو ما يطلق عليها الجمعيات الأهلية العربية، العمود الفقري للمجتمع المدني ورغم نشأة هذه المنظمات في كثير من البلدان العربية منذ زمن بعيد، فإن العقود الأخيرة من القرن العشرين شهدت صحوة ملحوظة ونمو غير مسبوق

في تأسيسها وقد كان ذلك نتاج متغيرات عديدة سياسية واقتصادية واجتماعية بعضها له سمة عالمية والأخرى محلية.

فقد تزايد عدد المنظمات غير الحكومية بنسب كبيرة في بعض الأقطار العربية مثل مصر واليمن وتونس والجزائر والمغرب (الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، مكافحة الفقر والتنمية البشرية، التقرير السنوي الثالث للمنظمات الأهلية العربية، 2003، ، 2003)، حيث يقدر عددها وفقا للتقرير الذي أصدرته الشبكة العربية للمنظمات الأهلية عام 2003 ب 230 ألف منظمة في عام 2002 ولم تقتصر التحولات على النمو الكمي في أعداد هذه المنظمات، لكن تجاوز ذلك إلى تحول كيمي يتعلق بأنشطتها وفعاليتها، فقد برز جيل من المنظمات الدفاعية التي تقوم بدور تنويري ونشط في مجال حقوق الإنسان والمرأة والطفل والفئات المهمشة، مع الاهتمام بمكافحة الفقر وتبني منهج جديد للتعامل مع هذه المشكلة، يستند إلى فكرة التمكين وليس مجرد تقديم المساعدات الخيرية، كما احتلت قضية مكافحة البطالة مكانة أساسية في بعض الدول العربية مثل مصر والأردن والمغرب من خلال التركيز على التدريب والتأهيل والمشروعات الصغيرة وظهرت أنماط جديدة من المنظمات التي هدفت إلى ملء الفراغ الذي تركته الدولة وخاصة في مجالات الصحة والتعليم وغيرها من الخدمات الاجتماعية (مصر-الأردن)، بالإضافة إلى ذلك نشطت منظمات أهلية جديدة في مواجهة ظواهر اجتماعية سلبية مثل عمالة الأطفال وأطفال الشوارع والإدمان، بل وسعت إلى وضع هذه القضايا على أجندة الحكومات في بلدان مثل مصر والسودان والمغرب (أماني قنديل، ، 1994، الصفحات 15-20) ورغم كل ما سبق من تطورات فإنها لا تمثل توجها عاما ولكن مجرد حالات أو استثناءات لم تصل إلى حالة القاعدة العامة، فما زالت التوجهات الخيرية لها الغلبة على نشاط المنظمات الأهلية العربية، فحوالي نصف هذه المنظمات يعمل في الأنشطة الخيرية في المتوسط (في لبنان 53.3 بالمائة وفي سوريا 80 بالمائة والكويت 78.2 بالمائة والسودان 70 بالمائة)، في حين لا

تزيد المنظمات غير الحكومية العاملة في مجال التنمية والتي تبني فلسفة التمكين عن الربع (أماني قنديل، ، 1994، صفحة 25)

2.1. متطلبات عمل مؤسسات المجتمع المدني العربي لتحقيق التنمية المستدامة:

يتضح انطلاقاً مما سبق أن عمل مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق متطلبات التنمية المستدامة المنشودة ببلادنا العربية تتحدد بالأساس فيما يأتي:

✓ تأهيل، وتدريب قيادات منظمات المجتمع المدني لتمكينهم من تطبيق أساليب القيادة وتطوير آلية العمل لتنفيذ الخطط والأهداف المرسومة لتلك المنظمات.

✓ تفعيل دور مكاتب الشئون الاجتماعية والعمل في الولايات وتهيئتها للقيام بمهامها من حيث الإشراف والمتابعة والتنسيق والتقييم المستمر لأنشطة وبرامج المنظمات والجمعيات المشرفة عليها.

✓ وضع آلية للرقابة الداخلية وإيجاد معايير رقابية تناسب وعمل تلك المنظمات واستحداث أساليب تناسب والتطورات الجارية.

✓ الاستعانة بخبرات المنظمات والجمعيات الأخرى والتي تمتلك خبرة متنامية ومتطورة في هذا المجال.

✓ وضع تصنيف محدد للمهام والمسئوليات والصلاحيات للعاملين والقياديين في تلك المنظمات.

✓ إيجاد آلية للتواصل والتنسيق بين الجمعيات والمنظمات والجهات ذات العلاقة وعلى الأخص الحكومية.

✓ توفير الدعم المادي وتوزيعه بصورة عادلة ووفقاً لمتطلبات كل منظمة واحتياجاتها وليس وفقاً لقربها من ذوي العلاقة من المانحين على أن تبني الجهة المشرفة على عمل تلك المنظمات عملية التوزيع ووفقاً للدراسات والمعلومات المتوفرة لكل منظمة.

✓ البعد عن مبدأ فرض الوصاية من قبل الجهات المانحة للدعم المادي، ووضع الشروط والسياسات الخاصة بها وإتاحة الفرصة لمنظمات المجتمع المدني العمل وفقا لخططها واحتياجاتها.

✓ إزاحة العراقيل، وتذليل الصعاب التي تحول دون مشاركة المرأة في منظمات المجتمع المدني بالاشتراك مع الرجل من منطلق أن المرأة نصف المجتمع، فكيف نعزل نصف المجتمع عن نصفه الآخر والاكتفاء بأن تعمل المرأة في سياق المنظمات النسوية فقط فيكف لنا أن نعمل على تنمية المجتمع والسير قدما نحو التنمية الشاملة دون المشاركة الفعلية لنا جميعا نساء ورجال (محمود قرزيز ومريم يحيايوي،، 2022، الصفحات 12-13)

2. آليات المجتمع المدني في مجال التربية البيئية لتحقيق التنمية المستدامة:

تتنوع الوسائل والآليات التربوية التي تعتمد عليها منظمات المجتمع المدني في سبيل رفع الوعي الجماعي لأفراد المجتمع بمسؤولياتهم البيئية، بحسب طبيعة هذه المنظمات ومجال امتدادها الميداني، كما يلي:

أولاً: الأنشطة التربوية غير النظامية:

يأخذ البعد التربوي جانبا مهما في العمل الميداني لتنظيمات المجتمع المدني المعنية بمجال البيئة، وذلك من خلال التنوع الكبير الذي يشهده الواقع العملي لهاته المنظمات من حيث أنشطتها ووسائلها الميدانية المعتمدة في ذلك، وفيما يلي أهم هذه الأنشطة:

1. المدارس الإيكولوجية وشبكات التربية البيئية:

انطلاقا من البرنامج الأممي للمدارس الإيكولوجية الذي تم إطلاقه سنة 1992 على مستوى النظم والمؤسسات التربوية الرسمية، عملت العديد من الجمعيات البيئية والمنظمات غير الحكومية على الانخراط ضمن هذا التوجه، حيث يبرز الواقع الميداني وفي العديد من الدول مدى أهمية الدور الذي تضطلع به هاته الأطر غير النظامية في رفع مستويات الوعي والتكوين البيئي لفئات المجتمع، ومثال ذلك شبكات المدارس الإيكولوجية غير الحكومية في فرنسا، والتي

تخضع أنشطتها وبرامجها لمصادقة مديرية التربية والشباب، كشبكة التربية البيئية REN وشبكة Ariena، وكذلك الحال في بريطانيا من خلال منظمة التربية البيئية البريطانية FEE، التي تنسق أنشطتها في مجال التربية البيئية مع العديد من الهيئات الحكومية والرسمية كبرنامج الأمم المتحدة للبيئة UNEP، والعديد من الهيئات الحكومية المعنية بمجال التربية البيئية على المستوى الداخلي للدول.

2. المنشورات والمطبوعات التعليمية:

وتعتبر وسائل بيداغوجية أساسية في أية عملية تثقيفية أو تربوية، وتأخذ صورا وأشكالا متنوعة، كالكتب التعليمية التي تهدف إلى نشر الثقافة البيئية بخصوص العديد من المواضيع العامة، وكذا المجالات والدوريات التي تشكل أحد أبرز الوسائل البيداغوجية التي تعتمد عليها منظمات المجتمع المدني لنشر القيم والمبادئ البيئية، وتعريف أفراد المجتمع بالأنشطة الجموعية وأهميتها.

ويضاف لهذه الوسائل البيداغوجية الأدلة التعليمية والتوجيهية التي تعدها بعض المنظمات المدنية وفقا لتخصصها ومجال نشاطها، ومن أمثلتها تلك المتعلقة بكيفية التعامل مع مختلف مصادر وأنواع النفايات الخاصة سواء في المنزل أو العمل أو الأماكن العامة، أو تلك المتعلقة بتوجيه سلوكيات الأفراد خلال المناسبات والتظاهرات الإنسانية المختلفة بهدف الحد من تأثيراتها على المحيط البيئي.

3. الأنشطة المنفتحة على المحيط البيئي:

حيث تقوم فلسفتها على مبدأ الإسهام والمشاركة المباشرة وغير المقيدة للمتعلم في تعزيز وتنمية قيمه ومهاراته وخبراته العملية اتجاه محيطه البيئي عامة، وذلك بمشاركته المباشرة في الأنشطة التي تنظم في البيئة الطبيعية المفتوحة.

وتتنوع هذه الأنشطة التربوية الحرة وفقا لطبيعة المواضيع المطروحة والفئات المستهدفة، كالزيارات الميدانية للمناطق الطبيعية كالحضائر والمحميات، سواء تلك المخصصة لفئات

معينة كطلبة التعليم النظامي، أو تلك المفتوحة لكل فئات المجتمع دون تحديد، كما تعتمد بعض التنظيمات إلى إعطاء هذه الأنشطة طابعا ترفيهيا واجتماعيا، كتنظيم المخيمات وعطل نهاية الأسبوع العائلية ضمن فضاءات طبيعية مفتوحة، تتخللها العديد من الأنشطة التربوية كالحوارات المفتوحة حول قضايا البيئة والمسابقات الترفيهية وأنشطة التسلية والرياضة.

ثانيا: البرامج التربوية والتدريبية:

ترتبط العديد من التنظيمات البيئية بمشاريع شراكة وتعاون مع باقي الهيئات التربوية الأخرى ولا سيما الحكومية منها كالجامعات ومراكز التكوين المهني، إذ تعمل هذه الأخيرة على الاستفادة من خبرات وكفاءة التنظيمات البيئية المعتبرة في هذا المجال، ففي فرنسا مثلا ترتبط العديد من المؤسسات الحكومية ببرامج شراكة مع الجمعيات البيئية سعيا منها لتعزيز القيم والمبادئ البيئية ضمن برامجها التعليمية، كما هو الحال لبرنامج التكوين الجامعي المتخصص الذي أطلق بجامعة بارتن **Bretagne Sud** بمقاطعة لوريان **Lorient** سنة 2009 وبالشراكة مع منظمة الإنسان والطبيعة **FNH** الفرنسية، والذي يهدف إلى إدماج البعد البيئي ضمن بعض التخصصات التقنية ذات العلاقة المباشرة بالمحيط البيئي كتخصص مواد البناء والتعمير (كريم بركات **Eco-construction** (152-155) pp, 2014 ,

4- خاتمة:

تعتبر التربية البيئية إحدى الدعائم الرئيسية للبناء الاجتماعي والبيئي فلقد أصبحت اليوم عملية متكاملة وشاملة ومتفاعلة لا بد من تحقيقها

- ترشحت مؤسسات المجتمع المدني كقاطرة فاعلة لمختلف التغيرات ذات الطابع البيئي،
- كما أن التربية البيئية تعنى بالسلوك وتوجيه الاهتمام لتعديله ومعالجة المشكلات البيئية والتدريب على المشاركة وتنمية الوعي البيئي وإكساب الأفراد القيم والاتجاهات الإيجابية نحو حماية البيئة وتحسينها بقصد إعداد جيل واع ببيئته الطبيعية والاجتماعية يساهم في نشر التربية البيئية من أجل تحقيق التنمية المستدامة.

- تتنوع آليات ووسائل عمل المجتمع المدني في مجال التربية البيئية بتنوع القضايا والمسائل المراد معالجتها وطبيعة الجهات والفئات المستهدفة بها، إذ تشمل استراتيجية التربية البيئية لتنظيمات المجتمع المدني جانبن أساسيين: جانب الأنشطة التربوية غير النظامية وجانب البرامج التربوية والتدريبية.

التوصيات:

في ضوء ما تقدم من هذا البحث، يمكن صياغة التوصيات التالية:

- تزويد منظمات المجتمع المدني بالمعلومات والبيانات البيئية الضرورية؛
- توفير الوسائل المادية الضرورية للمجتمع المدني من أجهزة وعتاد لمواجهة المشكلات البيئية؛
- ضرورة تطبيق القوانين وإخراجها من الإطار النظري إلى حيز الممارسة، مع ضرورة احترام كافة الأطراف لها من غير تحايل أو تلاعب، وبذلك يتحرر المجتمع المدني من الضغوطات البيروقراطية؛
- إيجاد آليات للتواصل والتنسيق بين المنظمات الدولية والمحلية التي تمثل المجتمع المدني وكذا الحكومات لأجل تحقيق أكبر قدر من التعاون والحصول على البيانات والمعلومات وتبادل الخبرات.
- ضرورة الاستعانة بمنظمات المجتمع المدني والجمعيات التي تمتلك خبرة متنامية ومتطورة في مجال حماية البيئة.
- زيادة الوعي بأهمية مؤسسات المجتمع المدني العربي والانتماء إليها ومساندتها.
- الاستفادة من وسائل الإعلام والاتصال في مجال نقل المعلومة البيئية وبلوغ مستويات أكبر من التغطية الإعلامية لمختلف فئات المجتمع.

5-الهوامش:

, : Bruxelles , . *Economie de développement durable* . (2005) . Beat Burgenmeies
..éd, Bruxelles ème2

إسراء جبريل رشاد مرعي، المجتمع المدني ومساهمته بتنفيذ آليات التنمية المستدامة في إطار
محاوَر إستراتيجية ٢٠٣٠، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية
والاقتصادية، متاح على: <http://democraticac.de>. (-, -2022). إسراء جبريل رشاد مرعي،
المجتمع المدني ومساهمته بتنفيذ آليات التنمية المستدامة في إطار محاوَر إستراتيجية ٢٠٣٠،
المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، متاح على:
<http://democraticac.de>. المانيا، إسراء جبريل رشاد مرعي، المجتمع المدني ومساهمته بتنفيذ
آليات التنمية المستدامة في إطار محاوَر إستراتيجية ٢٠٣٠، المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، متاح على: <http://democraticac.de>،
المانيا.

الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، مكافحة الفقر والتنمية البشرية، التقرير السنوي الثالث
للمنظمات الأهلية العربية، 2003، ص 14. (2003). الشبكة العربية للمنظمات الأهلية،
مكافحة الفقر والتنمية البشرية، التقرير السنوي الثالث للمنظمات الأهلية العربية، 2003،
. القاهرة: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، مكافحة الفقر والتنمية البشرية، التقرير
السنوي الثالث للمنظمات الأهلية العربية، 2003، ص 14..

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، متاح على:
<http://democraticac.de> . (-, -). المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية
والسياسية والاقتصادية، متاح على: <http://democraticac.de> . المانيا، المركز الديمقراطي
العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، متاح على:
<http://democraticac.de> ، المانيا.

- أمال يعيش تمام وحنان مناصرية.. (2017). دور مؤسسات المجتمع المدني في مجال التحسيس ونشر القيم البيئية، .، مجلة أبحاث قانونية وسياسية، ع 04، 66-67.
- أمانى قنديل. (2008). الموسوعة العربية للمجتمع المدني. مصر: مكتبة الأسيرة.
- أمانى قنديل، . (1994). المجتمع المدني في العالم العربي: دراسة للجمعيات الأهلية العربية. القاهرة: دار المستقبل العربي.
- حواس صباح، . (- جوان، 2015). المجتمع المدني وحماية البيئة في الجزائر-واقع وأفاق.-، مذكرة ماجستير في القانون العام، تخصص: قانون البيئية، . سطيف، حواس صباح، المجتمع المدني وحماية البيئة في الجزائر-واقع وأفاق.-، مذكرة ماجستير في القانون العام، تخصص: قانون البيئية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، 2015، ص ص 83-84، . الجزائر: جامعة سطيف.
- خير الدين عبادي. (-، -، 2011). المجتمع المدني والعملية السياسية في دول شمال إفريقيا (1990-2010)، . مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية. الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03، . الجزائر: جامعة الجزائر.
- عثمان محمد غنيم وماجدة أبو زنت. (2007). ، التنمية المستدامة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها. (المجلد ط1). الاردن: ط 01، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، .
- عمار عمادي. (08-07 افريل، 2008). عمار عمادي، إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها، الملتقى الدولي حول: التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة سطيف، يومي 07-08 أفريل 2008، ص 05. /إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها، الملتقى الدولي حول: التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، . سطيف، عمار عمادي، إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها، الملتقى الدولي حول: التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، كلية العلوم الاقتصادية

وعلوم التسيير، جامعة سطيف، يومي 07-08 أفريل 2008، ص 05، الجزائر: جامعة سطيف.

فتيحة طويل. (- جوان، 2013). ، التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة-دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم المتوسط بمدينة بسكرة.. أطروحة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تخصص: علم الاجتماع والتنمية، . بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر: جامعة بسكرة.

كريم بركات . (- جوان، 2014). مساهمة المجتمع المدني في حماية البيئة. أطروحة دكتوراه في العلوم، تخصص: القانون، . -، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري،، الجزائر: جامعة تيزي وزو.

محمود قرزيز ومريم يحيايوي،. (-، 2022). محمود قرزيز ومريم يحيايوي، دور المجتمع المدني في تحقيق التنمية الشاملة في الجزائر، بين الثبات والتغير. الجزائر، محمود قرزيز ومريم يحيايوي، دور المجتمع المدني في تحقيق التنمية الشاملة في الجزائر، بين الثبات والتغير،، الجزائر.

مركز التميز للمنظمات غير الحكومية، متاح على: www.ngoce.org . (-، 2022). مركز التميز للمنظمات غير الحكومية، متاح على: www.ngoce.org . مركز التميز للمنظمات غير الحكومية، متاح على: www.ngoce.org ، -.

موجز تاريخ كل شيء تقريبًا 2017 القاهرة العبيكان للنشر

التأصيل النفسي لسلوك المستهلك المعاصر

Psychological Rooting of Contemporary Consumer Behavior

أ- تهاني هاشم خليل عابدين، أستاذ مساعد قسم علم النفس جامعة

الخرطوم السودان abdentahani@yahoo.com

تاريخ الارسال: 2022-09-29 تاريخ القبول: 2022-10-28 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

The gist of this research is Psychological Rooting of Contemporary Consumer behaviour using the inductive method. The research found that the Contemporary Consumer`s Behaviour are associated with low level of intellectual perceptivity synchronized with increased information, and that feeling and emotions are the drivers of consumer behaviour compared to knowledge and mental evidence, according to the prevailing suggestive strategies, the emergence and spread of new psychological phenomena such as post-purchase depression, the results proved that the best way to achieve positive consumer behaviourism to employ the Islamic economy in order to reach he socially responsible consumer.

Keywords: Consumer's Psychology;
Marketing behaviour; Marketing
Psychology; Marketing Strategies;
Contemporary Economics.

ملخص

هدف البحث إلى التأصيل النفسي لسلوك المستهلك المعاصر. استخدم المنهج الاستقرائي لإجراء البحث. توصل البحث إلى أن الخصائص العامة لسلوك المستهلك المعاصر ترتبط بنقص الوعي الاستهلاكي الناتج عن تدني مستوى الأمن الفكري المترام مع الانفجار المعلوماتي، وتؤكد أن المشاعر والانفعالات تمثل الدوافع الأساسية لسلوك المستهلك مقارنةً بالمعارف والدلائل العقلية؛ كنتيجة للاستراتيجيات الإيحائية المستخدمة في التسويق المعاصر، كما تؤكد ظهور وانتشار ظواهر سيكولوجية جديدة مثل اكتئاب ما بعد الشراء وإدمان الشراء، وأثبتت النتائج أن أفضل طريقة لتحقيق السلوك الإيجابي للمستهلك تتمثل في توظيف الاقتصاد الإسلامي وصولاً للمستهلك المسؤول اجتماعياً.

كلمات مفتاحية: سيكولوجية المستهلك، السلوك التسويقي، علم النفس التسويقي، استراتيجيات التسويق الاقتصاد المعاصر.

مقدمة:

1.1. تمهيد:

تبقى المعرفة بدون البحث العلمي الذي يمتحن صحتها باستمرار مُجرّد تجريد قد لا يعكس الواقع؛ خصوصاً المعارف النفسية التي تعتبر ذات طابع نسبي وتقريبي مما يعني أن صيغها تتغير وفق تطور الواقع الفعلي؛ فبدون البحث العلمي تفقد المعرفة براهينها ومصداقيتها؛ لأنّ البحوث العلمية تمثل المصدر الرئيسي للبيانات المُستمدّة من الواقع، وبالتالي فالمعرفة النفسية ليست نسقاً مغلقاً لا يقبل التقييم العلمي المستمر، وهذا ما يؤكد على أهمية إعادة صياغة علم النفس بأجزائه وتقاطعاته المختلفة في هذا القرن الحادي والعشرين؛ حتى يتماشى مع مُستجداته وخصوصية إنسانه، ويمتد هذا القول على "علم النفس التسويقي" باعتباره من الفروع الوظيفية لعلم النفس والتي يمكن تلمّس تطبيقاتها على مستوى الحياة اليومية.

يعتبر علم سيكولوجية المستهلك من العلوم الحديثة نسبياً (المجني و نريمان عمار، 2020، صفحة 7)، وعلم النفس لا يفيد فقط في فهم سيكولوجية المستهلك والتحكم في سلوكه؛ بل يفيد كذلك في تطوير سلوك أصحاب المال والمرتبطة بالتفكير العقلي اللازم للتخطيط واتخاذ القرارات التسويقية الحاسمة، وهذا ما يُبرّر محاولة توظيف علم النفس واستثمار المبادئ النفسية في بناء استراتيجيات تسويقية فاعلة وقادرة على توجيه سلوك المستهلك نحو الأهداف التسويقية المشروعة؛ التي من شأنها أن تضمن استمرار المؤسسات في السوق رغم التحديات المعاصرة (عابدين، تهاني هاشم؛، 2021، الصفحات 22-23)؛ فالضغط الذي يخلقه التنافس يُوجّه أصحاب المال نحو البحث عن طرق جديدة للتمييز بها (كورد، جيرمي؛، 2011، صفحة 15).

يشكل علم النفس مرجعية مهمة عند محاولة تعميق الفهم فيما يتعلق بالسلوك البشري داخل السوق بكشف الاستراتيجيات النفسية التي تتحكم في سلوك المؤسسة الربحية وسلوك المستهلك (عابدين، تهاني هاشم؛، 2021، صفحة 3)، ويلاحظ أن السوق المعاصر يتضمن مكونات بشرية متناقضة ومتضاربة المصالح تتطلب التوفيق فيما بينها؛ ولعل أبرزها ما يرتبط بالعلاقة بين مصلحة المؤسسات الربحية ومصلحة المستهلك، ويأتي هذا البحث

يهدف وضع مقارنة سيكولوجية تتيح التوفيق بين تلك المصالح من منطلقات نفسية تحكم السلوك في السوق وفق رؤية معاصرة، وتستصحب خصوصيات القرن الحادي والعشرين المتمثلة في التعقيدات النفسية والاجتماعية والتطور التكنولوجي والانفجار المعلوماتي المُدهل.

2.1. مشكلة البحث:

نظراً للتطورات البطيئة في البحوث العابرة للتخصصات لفهم سيكولوجية المستهلك؛ يستهدف هذا البحث المساهمة بإيجاد إجابات علمية عن الأسئلة التالية:

1. ما المُحدِّدات الذاتية لسلوك المستهلك في القرن الحادي والعشرين؟
2. كيف تؤثر ممارسات المؤسسات الربحية المعاصرة على سلوك المستهلك؟

3.1. أهمية البحث:

1. أهمية تحديث المعرفة العلمية في مجال "علم النفس التسويقي" لتناسب وخصوصية إنسان القرن الحادي والعشرين.
2. قد يشكل البحث مرجعية للمساعدة في وضع أسس علمية ينطلق منها التخطيط الاستراتيجي للمؤسسات الربحية المعاصرة.
3. تشريع القوانين التي تضمن تعزيز حماية المستهلك في ضوء نتائج البحث حول ممارسات المؤسسات الربحية في هذه الألفية الثالثة.
4. تتميز البحوث العلمية التي تتضمن التقاء تخصصات مختلفة بأنها تقدم بحثاً مهم نطاقاً واسعاً من الباحثين في تلك التخصصات.

4.1. أهداف البحث:

1. تسمية المُحدِّدات الذاتية لسلوك المستهلك في القرن الحادي والعشرين.
2. تحديد العلاقة بين الممارسات المعاصرة للمؤسسات الربحية وسلوك المستهلك.

5.1. منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي (Inductive Method) لتحقيق أهدافه، وهو منهج ينطلق من الحقائق المحددة ذات الخصوصية لوضع قواعد عامة، وتظهر أهمية

هذا المنهج في أنه يهدف إلى الربط بين الجزئيات للوصول إلى رؤية متكاملة تفيد في الفهم والتفسير والتخطيط.

2. الإطار النظري للبحث:

تتأثر سيكولوجية المستهلك وقراراته الشرائية وسلوكياته الاستهلاكية في هذا القرن الحادي والعشرين بمجموعة من المُحدِّدات الذاتية والمؤثرات غير الذاتية المرتبطة بالممارسات المعاصرة للمؤسسات الربحية؛ فالخصائص النفسية لمستهلك اليوم تحكمها وتوجهها مجموعة من الدوافع الداخلية والخوافز الخارجية.

1.2. المُحدِّدات ذاتية المنشأ لسلوك المستهلك:

توجد نسبة كبيرة من المستهلكين الاستهلاكيين بشكل مرضي مُفرض؛ نتيجة ظروفهم النفسية الضاغطة؛ ونتيجة كذلك لنقص الوعي الاستهلاكي والثقافة الشرائية، وهو ما يجعل استهلاكهم عشوائي؛ فأصبح من الصعب تحديد المستهلك المسؤول اجتماعياً من المستهلك الذي لا يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية ولا يعطيها أهمية في قراراته الشرائية؛ وهذا ما يقود إلى ندرة الخصائص النفسية (المعرفية، الوجدانية، النزوعية السلوكية) التي ترتبط بسيكولوجية "المستهلك المسؤول اجتماعياً" في هذه الألفية الثالثة؛ أي المستهلك الذي يُحدث أقل ضرر ممكن أو أكثر أثر إيجابي ممكن ويستخدم قوته الشرائية بطريقة تدل على التزامه تجاه المجتمع (كحلي، لامية؛، 2016، الصفحات 48-49).

تساعد الخبرة في فهم "التغيُّر" و"المجهول" ومسايرتهما، فليس التعامل مع ما نعرف فقط هو المهم؛ بل كيفية التعامل مع ما لا نعرف تعتبر بذات القدر من الأهمية، ويجب أن تتأثر تصرفاتنا بخبراتنا (كوردي، 2011، صفحة 8)؛ وهذا يثبت أن سلوك المستهلك الذي يأتي ك"رد فعل" تلقائي غير مبني على الاستفادة من الخبرات السابقة قد يلغي حالة الخوف والتردد والشك اللازمة لاتخاذ قرارات شرائية حكيمة؛ فعندها تتحكم فينا المشاعر والانفعالات اللحظية وليس الدلائل المعرفية المرتبطة بالخبرات السابقة؛ لذلك إذا رغبتنا في شئ بدرجة

كافية فإننا سوف نغض الطرف عن الدليل الذي يهز تلك الثقة، وهذا بدوره يقود إلى تكرار التجارب الشرائية السيئة للمستهلك بطرق أخرى مشابهة من مصدر تسويقي آخر.

ترتبط سيكولوجية المستهلك في القرن الحادي والعشرين بما يُعرف بـ"اكتئاب ما بعد الشراء"، والذي ينتج عن "إدمان الشراء" باعتباره نوع من الإسراف الشديد في الشراء الذي يتبعه ندم عميق؛ حيث أن كل إنسان عُرضة لأن يعتاد أو يتعلق بشكل قهري؛ لذا اتسع مفهوم الإدمان ليشمل إدمانا لسلوكيات (السلوك الإدماني)؛ ويعتبر ذلك مُهَيِّئاً نفسياً لما يُعرف اليوم بـ"إدمان الشراء" كسمة أساسية لسيكولوجية المستهلك المعاصر.

يعاني المشتري من تأنيب الضمير الذي يشعر به عادةً بعد الشراء، وهذا يرتبط حصراً بـ"الشراء التلقائي" الذي يتم بشراء سلع لم تكن في ذهن المشتري قبل دخوله المتجر أو السوق، وبحسب نتائج دراسات متواترة فإن 60% من قرارات الشراء عبارة عن قرارات نزوية تقود إليها زيادة انتشار الأسواق والجذب التسويقي (كحلى، لامية؛، 2016، الصفحات 47-48)؛ رغم أنه من المفترض أن سلوك المستهلك الشرائي يعتبر سلوكاً هادفاً ذو غرض معين كما أن هي عمل على حل مشكلة قائمة للمستهلك من أجل إشباع حاجاته، وفي إطارٍ مختلف فإن عدم الإشباع -غير المتوقع من المستهلك عند قيامه بالشراء- سيؤثر سلباً على "جودة الحياة" بالنسبة للمستهلك بشكل كامل؛ باعتبار أن السلوك الشرائي يعتبر سلوكاً يومياً لا يمكن تجنبه أو الاستغناء عنه، ومما لاشك فيه أن درجة تأثير الخبرات والمواقف الشرائية السالبة على سلوك المستهلك وعلى سيكولوجيته بشكل عام تخضع لمبدأ "الفروق الفردية" فالاستجابة النفسية لتلك التجارب تختلف باختلاف الأفراد واختلاف درجة صمودهم النفسي.

2.2. انعكاسات الاستراتيجيات الاقتصادية المعاصرة على سلوك المستهلك:

أظهرت الدراسات المتعلقة بـ"المستهلك" أنه فرد معقد تؤثر في سلوكه العديد من العوامل؛ ما يتطلب دراسة عميقة لسيكولوجية المستهلكين وسلوكهم، وقد ثبت أن إشباع حاجات المستهلك أفضل من مجرد الضغط عليه للشراء بصورة أكثر كفاءة من المنافسين؛

لضمان كسب الولاء والاحتفاظ بالزبائن على المدى الطويل؛ فسلوك المستهلك هو عملية مستمرة لا تتعلق فقط بمجرد قيامه بإعطاء البائع النقود مقابل السلعة أو الخدمة التي قام بشرائها؛ أي أن علاقة التبادل لا تنحصر بعملية التبادل اللحظي؛ بل إن التبادل هو عملية تتعلق بإجمالي عملية الاستهلاك، وتتضمن كافة القضايا التي تؤثر على المستهلك قبل وأثناء وبعد الشراء (المجني، رانية؛ عمار، نريمان، 2020، الصفحات 1-3).

يؤدي عدم التزام المؤسسة بأخلاقيات التسويق إلى فقدان ثقة المستهلك، وبالتالي تضعف عمليات التبادل التجاري معها؛ نتيجة عدم التزامها بالقاعدة الأخلاقية الرئيسية المتمثلة في عدم القيام بأي فعل يتحقق من جراه أذى المستهلك، وعدم توظيفها المبادئ الأخلاقية في كل ممارسة أو نشاط ترويجي؛ فالممارسات التسويقية المٌضِلَّة هي ممارسات تسويقية سلبية ناتجة عن إهمال جانب الأخلاق في التسويق؛ كخلق الحاجات الوهمية لدى المستهلك والتي لم يفكر فيها من قبل لعدم امتلاكه دوافع حقيقية لاقتنائها، وتضليل المستهلك بتقليد العلامات التجارية الناجحة أو جذب المستهلك من خلال الشكل الخارجي الجذاب لمنتج غير جيد، والتسعير بشكل مبالغ فيه باستغلال ربط المستهلك الاعتيادي بين جودة المنتج وسعره، إضافة إلى الإعلان الخادع الذي يصف المنتج بصفات لا يمتلكها في الواقع (كحلى، لامية؛ 2016، الصفحات 18-19)؛ فالمؤسسة التي تقوم بنشاط يؤدي إلى شعور المستهلك بحالة من الغش أو الخداع ستبرز لدى المستهلكين بصورة سلبية ويتشكل نحوها اتجاه سلبي (كحلى، لامية؛ 2016، صفحة 27).

يعتبر الاتجاه النفسي حالة من الاستعداد الذهني والعصبي المنظم عن طريق الخبرة، ويُوجِّه الاتجاه النفسي استجابة الفرد نحو الأشياء والمواقف التي تتعلق بها؛ فهو أمر داخلي يُعبّر عن مشاعر الأفراد ويعكس ميولهم الإيجابية أو السلبية نحو شئ معين (المجني، رانية؛ عمار، نريمان، 2020، صفحة 86)، وإن عملية تغيير اتجاه المستهلك تعتمد على عوامل كثيرة من شأنها أن تحدد القدرة على النجاح في تغيير الاتجاه؛ فالتغيير السلوكي للمستهلك لا يمكن

أن يحدث من دون أن يحدث تغيير في الاتجاه، والوسائل التي يمكن ملاحظتها بوضوح في تغيير الاتجاهات ضمن ممارسات المؤسسات الربحية تتمثل في الدعاية والإعلان (النعيمي، فجر جودة، 2016، الصفحات 169-170)، ويمكن القول بأن أخلاقيات التسويق تؤدي دوراً مهماً في التأثير المباشر وغير المباشر على سلوك المستهلك، ومن ذلك الأخلاقيات التسويقية المتعلقة بـ"صدق السعر" وبـ"صدق الرسالة الترويجية" حيث يؤثران على سلوك المستهلك والدوافع النفسية المحركة لذلك السلوك.

يعمل علم النفس الاجتماعي على الدراسة العلمية لـ"كيف يفكر الفرد ويشعر ويسلك في البيئة الاجتماعية؟"، وكيف تؤثر البيئة الاجتماعية في أفكارنا ومشاعرنا وتصرفاتنا؟، كما يعتبر المحيط الاجتماعي البشري من أكثر المنهات أهمية في حياة الفرد، ويستجيب الأفراد لما نقوم به تجاههم من أفعال سلباً أو إيجاباً ولا يوجد ذلك مع المنهات غير الاجتماعية (عبدالخالق، أحمد محمد، 2000، الصفحات 601-602): تعد البرمجة اللغوية النفسية مجالاً جديداً يحاول البحث في سر التأثير الذي يمارسه شخص على الآخرين، وأصحاب الجاذبية الشخصية لديهم القدرة على التأثير في الآخرين لأن معظم الناس ينهرون بذلك النوع من الشخصيات فيتصرفون بطريقة عاطفية، كما أن لهم قدرة على الإقناع تفوق قدرة غيرهم، ويظهر توظيف المؤسسات الربحية للبرمجة اللغوية النفسية باستخدام مجموعة من "مصادر التأثير الإيجابي" في استراتيجيات التسويق المعاصرة؛ كسلطة الخبراء وسلطة الإيجار والمكافأة وسلطة الشخصيات المشهورة وسلطة المستهلكون العاديون المجربون للمنتج أو الخدمة.

تؤثر بيئة السوق المعاصر على مجموعة كبيرة من العمليات الذهنية والانفعالية للمستهلك؛ كالأثار السيكلوجية للازدحام (Crowding) والتنبيه الزائد الذي يمثل عبئاً زائداً عن إمكاناتنا المعرفية، إضافة إلى الضوضاء والضجيج اللذان توجد أدلة تؤكد على أن الإنسان فيهما يصبح سهل الاستثارة، والإرباك واستغلال الإيقاع السريع، واستغلال عدم توفر

المعلومات الكافية للمستهلك واللغة الصعبة والعلم الزائف، وأيضاً إثارة غرائز الطمع لدى المستهلك من خلال استراتيجيات الحث أو التلميح أو الاقتراح أو الإغراء، واستغلال النزوع الذي يتميز به المستهلك لتحقيق الأهداف التسويقية كالنزوع الحسية (تجارب واقعية) أو البصرية (الصورة) أو السمعية (الصوت)، وكذلك توظيف مهارات الإقناع لدى المُسوّق لمعالجة الرفض أو الاعتراض لدى المستهلك؛ فالتلاعب النفسي يتأذى منه الجميع ويبقى الاختلاف هو مسألة اختلاف في النسب؛ لأن الشك المستمر مُتعب والتيقُّظ الدائم مستحيل، كما ينتشر في السوق المعاصر ما يُعرف بالانحراف السلبي" الذي يظهر في تدني جودة المنتج مع الزمن؛ وهنا يكون المنتج جيد إلى أن يتم جذب الزبائن إليه وبعد تحقيق السمعة الطيبة للمنتج تبدأ تلك الجودة في الانخفاض لتقليل منصرفات الإنتاج.

يشير التسوّق الإلكتروني إلى عمليات بيع وشراء السلع والخدمات والمعلومات التي تتم عن طريق الإنترنت من خلال رسائل إلكترونية، ومن عيوب التسويق الإلكتروني انخفاض الثقة (الزيادات، 2019، الصفحات 121-123)، ولعل أبرز المخاطر في استعمال شبكة الإنترنت في النشاط التسويقي ترتبط بأمان نقل المعلومات، ويلاحظ أن الاحتيال عبر التسويق الإلكتروني أصبح ملفتاً للنظر ببيع منتجات مقلّدة أو رديئة (بوهدي، جيلالي، 2015، صفحة 27)؛ فإن الشبكة الرقمية لا تخضع لأي حتمية أخلاقية (هان، بيونغ تشول، 2019، صفحة 90)؛ حيث يرتبط التسويق الإلكتروني كسمة من سمات هذا العصر الافتراضي ببيع الوهم؛ بإضافة قيمة سيكولوجية أكثر من القيمة الوظيفية للمنتج، ووضع هامش كبير للمفاصلة في السعر وهامش ربح مبالغ فيه، وعرض السلعة المحددة في التسويق الإلكتروني مع إحضار سلعة مختلفة عند التسليم، والغش في المفاهيم والتلاعب بالكلام، وعدم تقديم براهين أو ضمانات لتأكيد المصادقية، وانتهاك حقوق المستهلك كالمصادقية والثقة والمحافظة على السرية وخصوصية مضمون الاتصالات وحق الأمان وحق الحصول على المعلومات وحق الاختيار.

3. خاتمة:

خُصّ البحث إلى مجموعة من المُحدِّدات الذاتية لسلوك المستهلك في القرن الحادي والعشرين؛ منها الظروف النفسية الضاغطة – في عصر القلق والضغط النفسية - التي يمر بها المستهلك فتؤثر على قراراته الشرائية، إضافة لنقص الوعي الاستهلاكي والثقافة الشرائية تبعاً لضعف مستوى الأمن الفكري المترامن مع الانفجار المعلوماتي، وضعف المسؤولية الاجتماعية للمستهلك من خلال الاستهلاك العشوائي الذي لا يهتم فيه بتوظيف قوته الشرائية لصالح المجتمع، كما ثُبُت أن المشاعر والانفعالات أكثر توجهاً لسلوك المستهلك في القرن الحادي والعشرين مقارنةً بالمعارف والدلائل العقلية؛ تبعاً للاستراتيجيات الإيحائية التي يعتمد عليها التسويق المعاصر فتخاطب العاطفة وتلغي العقل وتضليله، وقد تأكد ظهور وانتشار ظاهرة سيكولوجية جديدة يُصطلح عليها بـ"اكتئاب ما بعد الشراء" وتعتبر من اللزمات السيكولوجية للمستهلك في القرن الحادي والعشرين؛ نتيجة تأنيب الضمير المرتبط بـ"إدمان الشراء" والذي يعتبر بدوره لازمة سيكولوجية أخرى للمستهلك في هذا القرن.

توصل البحث إلى مجموعة من الممارسات المعاصرة للمؤسسات الاقتصادية والتي تعتبر ذات دلالة في تشكيل سلوك المستهلك؛ كأساليب المؤسسات الربحية الهادفة إلى تغيير اتجاهات المستهلكين بهدف التحكم في سلوكهم بما يحقق الأرباح لتلك المؤسسات؛ وأغلبها أساليب ذات مردودات مؤذية نفسياً للمستهلك لكونها ممارسات غير أخلاقية؛ فالشراء سلوك يومي يقوم به المستهلك بشكل مستمر، ولذلك فإن تكرار التجارب الشرائية السيئة سيتسبب في حالة نفسية سيئة للفرد، ويؤدي إلى الميل لممارسة الشك المرضي والحذر العقلي لتجنب تكرار التجارب الشرائية، وعدم الولاء أو الانتماء للمؤسسات الربحية التي تسببت في تلك التجارب الشرائية السيئة، وقد ثُبُت أن أفضل استراتيجية لنجاح المؤسسات الربحية تتمثل في فهم سيكولوجية المستهلك وإشباع حاجاته وتلبية رغباته وإرضاء تطلعاته الشرائية، كما ثُبُتت فاعلية توظيف المؤسسات الربحية للبرمجة اللغوية النفسية في التحكم بسلوك

المستهلك وقراراته الشرائية؛ باعتبار أن سيكولوجية المستهلك المعاصر تتقبل تلك البرمجة، والتي تلقى رواجاً عالمياً وتسهم في برمجة الأفراد في مواقف مختلفة غير الموقف الشرائي أو التسويقي؛ امتداداً لتأثيرات "الإيحاء" العميقة في مجال التسويق المعاصر، وأكدت النتائج أن انتشار الأسواق والجذب التسويقي يجعل معظم القرارات الشرائية للمستهلك قرارات "نزوية" لا تنتج عن حاجة حقيقية لشراء المنتج أو الخدمة، وأيضاً تؤكد أن التسويق الإلكتروني - لعدم التزامه غالباً بأخلاقيات التسويق - يرتبط بصناعة مستهلك شكّك يُحجم عن الشراء الإلكتروني أو في المقابل غير مبالي يُقبل على الشراء الإلكتروني؛ ويختلف الأفراد في ردود أفعالهم تلك وفقاً لمبدأ الفروق الفردية في سماتهم الشخصية.

يوصي البحث بتوظيف "الاقتصاد الإسلامي" للحد من الآثار السيكولوجية السالبة لاستراتيجيات وأساليب الاقتصاد المعاصر على مستهلك اليوم؛ فقد جاءت الشريعة الإسلامية بأسس الاقتصاد الإسلامي ضمن قواعد وأطر محددة تلبي حاجات المستهلكين وتشبعهم سيكولوجياً بامتداد الأزمنة؛ بما يتماشى مع تحديات الثورة المعرفية والتقدم التكنولوجي وكل المستجدات والتغيرات الممكنة في المستقبل، كما أن الإسلام هو دين الفطرة ولا شك في أن الاستهلاك يُعد أمراً فطرياً وجزءاً أصلياً؛ كما يمكن التأكيد على أن الاقتصاد الإسلامي يعتبر من الأنظمة المتكاملة من حيث المبادئ والشروط والأهداف التي تضمن للمستهلك التمتع بحقوقه بشكل يعزز صحته النفسية، والتسويق الإسلامي يقوم على مبدأ المنافسة الشريفة لتحقيق المصلحة المتبادلة بين المُسوّق والمستهلك وبين المُسوّقين فيما بينهم، وبذلك فإن الاقتصاد الإسلامي يحقق المصلحة المادية والسيكولوجية لكافة العناصر البشرية التي يتضمنها السوق الفعلي والافتراضي المعاصر.

يقترح البحث إجراء بحوث أخرى مُساندة لفهم انعكاسات الاستراتيجيات الاقتصادية المعاصرة على سلوك المستهلك بشكل أكثر عمقاً؛ تلك الاستراتيجيات اللفظية التي تعتمد على الكلام المنطوق أو غير اللفظية التي تعتمد على لغة الجسد وغيرها من أدوات

الاتصال غير المنطوقة؛ وأيضاً انعكاسات الاستراتيجيات الواقعية أو الاستراتيجيات الافتراضية ذات الصلة بالتسويق الإلكتروني المعاصر؛ كل ذلك لبناء صورة ذهنية متكاملة حول مجموعة من التساؤلات المهمة لرجل الأعمال الذي يسعى لتحقيق الأرباح والمستهلك الذي يسعى للتمتع بحقوقه التي تقررها أخلاقيات التسويق.

4.الهوامش:

- المجني، رانية؛ عمار، نيمان. (2020). سلوك المستهلك. سوريا: الجامعة الافتراضية السورية.
- النعيمي، فجر جودة. (2016). علم النفس الاجتماعي "دراسة لخفايا الإنسان وقوى المجتمع". بغداد: دار أوما.
- بوهدبي، جيلالي. (2015). تأثير التسويق الإلكتروني على سلوك المستهلك "دراسة حالة اتصالات الجزائر وكالة مستغانم". الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس.
- بيلي برايسون، و اسامة محمد اسبر. (2017). موجز تاريخ كل شيء تقريباً (الإصدار الثانية). القاهرة: العبيكان للنشر.
- تهاني هاشم خليل عابدين. (2021). المؤثرات النفسية المستخدمة في التسويق غير الأخلاقي لتعزيز سلوك الشراء لدى المستهلك. مجلة الخبراء في الاستهلاك، 80-93.
- تهاني هاشم خليل عابدين. (2021). علم النفس كأساس لنجاح استراتيجيات التسويق. مجلة ربحان للنشر العلمي، 22-23.
- جيريبي كوردي. (2011). استراتيجيات إدارة الأعمام. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر.

- رانية المجني، و نريمان عمار. (2020). سلوك المستهلك. سوريا: الجامعة الافتراضية السورية، سوريا.
- عابدين، تهاني هاشم;. (2021). المؤثرات النفسية المستخدمة في التسويق غير الأخلاقي لتعزيز سلوك الشراء لدى المستهلك. مجلة الخبراء في الاستهلاك، 1، 80-93.
- عابدين، تهاني هاشم;. (2021). علم النفس كأساس لنجاح استراتيجيات التسويق. مجلة ربحان للنشر العلمي، 10، 20-35.
- عارف يوسف الزيادات. (2019). العوامل المؤثرة على التسويق الإلكتروني في الأردن (دراسة تطبيقية على مواقع التسوق الإلكتروني). المجلة العربية للنشر العلمي، 11، 123-121.
- عبدالخالق، أحمد محمد;. (2000). أسس علم النفس. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- كحلى، لامية;. (2016). أخلاقيات التسويق وتأثيرها على سلوك المستهلك النهائي "دراسة حالة مستهلكي المنتوجات الغذائية الوطنية لولاية بومرداس". الجزائر: جامعة أمحمد بوقرة بومرداس.
- كوردي، جيرمي;. (2011). استراتيجيات إدارة الأعمال. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر.
- هان، بيونغ تشول;. (2019). مجتمع الشفافية. بيروت: مؤمنون بلا حدود.

العامل الديني ودوره في استعمار إفريقيا

The religious factor and its role in the colonization of Africa

د/عبد الرحمان قراش، جامعة زيان عاشور- الجلفة

dahmanbahi@gmail.com**Abstract****ملخص**

تاريخ الإرسال: 2022-09-29 تاريخ القبول: 2022-11-18 تاريخ النشر: 2022-12-01

since the fifteenth century AD The Europeans powers tried to spread Christianity in Africa to control it, when the Portuguese made their explorations on the African's coasts. In the course of the following centuries, other colonial countries followed Portugal, and sent missionary campaigns to spread Christianity throughout Africa in order to impose its colonial domination over it, which was already occurring during the eighteenth and nineteenth centuries and had disastrous consequences for the African people's continent.

Key Words: missionary movement, Colonialism, Africa, Evangelism.

عملت الدول الأوروبية منذ القرن الخامس عشر الميلادي على محاولة نشر المسيحية في إفريقيا تمهيدا للسيطرة عليها وذلك عند قيام البرتغاليين برحلاتهم الاستكشافية على سواحل إفريقيا. وخلال القرون الموالية لحقت بها الدول الاستعمارية الأخرى وأرسلت حملاتها التبشيرية لنشر المسيحية في شتى ربوع إفريقيا تمهيدا لفرض سيطرتها الاستعمارية عليها، وهو ما حدث بالفعل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وكان له نتائج وخيمة على سكان القارة الإفريقية.

كلمات مفتاحية:

الحركة التنصيرية. الاستعمار. إفريقيا. التبشير.

يظن كثير من المسلمين بأن الحروب الصليبية قد انتهت برد الهجمات الصليبية على العالم الإسلامي فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين والحقيقة أن هذه الحروب لم تنته ولن تنتهي وهي متجددة من وقت إلى آخر تحت مسميات وحجج مختلفة والأكد أن العامل الديني هو المحرك لهذه الحروب ضد العالم الإسلامي، فلو كانت دول إفريقيا مثلا كلها على المسيحية لما تعرضت للسيطرة الاستعمارية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ورغم أن الكثير من المؤرخين خاصة الأوروبيين منهم يحاولون إقناعنا بان عامل التجارة كان له الدور الأكبر في الهجمات الاستعمارية الحديثة على إفريقيا، إلا أن الأفارقة أدركوا الحقيقة وهو أن الدين كان العامل الأساسي وراء استعمار الأوروبيين لإفريقيا. ويظهر ذلك من الخطاب الذي وجهه رئيس زمبيا السابق (كينيث كاوندا) (Kenneth Kaunda) (1924-1991)م في أيام كفاحه ضد الاستعمار البريطاني إلى رئيس إحدى الإرساليات التنصيرية البريطانية والذي قال فيه: «حينما يريد رجل إنجليزي سوقا لبضاعته الفاسدة التي صنعها في مانشستر، فإنه يرسل مبشرا لتعليم الأهالي بشارة السلام، ويقتل الأهالي المبشر، فهمب الإنجليزي إلى حمل السلاح دفاعا عن المسيحية ويحارب من أجلها، ثم يستولي على السوق مكافأة من السماء».

ومن خلال موضوعنا هذا أردنا أن نبحث في دور العامل الديني في العلاقات بين الشرق والغرب، انطلاقا من الأحداث التاريخية التي تؤكد الحقيقة. ومن هنا يمكن أن نتساءل إلى أي مدى كان لهذا العامل دورا في استعمار إفريقيا؟.

1/ العامل الديني ودوره في التمهيد للاستعمار الأوربي الحديث:

لم يكد يأتي القرن السابع عشر الميلادي حتى بدأت الدول الأوربية المسيحية ترسل الإرساليات التبشيرية إلى إفريقيا للوصول إلى الحبشة تلك المملكة المسيحية الوحيدة في إفريقيا التي عرفت المسيحية منذ النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وحاول البرتغاليون الوصول إليها بعد اكتشافهم لرأس الرجاء الصالح سنة 1497م. وبالفعل تمكنوا من النزول

بسواحلها سنة 1520م واحتلال (مصوغ) وهي مدينة وميناء بحري إريتري على البحر الأحمر. تبعد عن العاصمة أسمرة بحوالي 100 كم إلى الشرق منها دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري، وكان لها دور في نشر الإسلام في مناطق شرق إفريقيا وتعتبر من المدن الصناعية والتجارية الهامة في إريتريا خاصة صناعة المنسوجات، والصناعة الغذائية احتلها الطليان سنة 1885م) (العفيفي، 2000، ص 461). وتحالفوا معها ضد المماليك الإسلامية الموجودة آنذاك بالصومال وإريتريا ومن أشهرهم مملكة (عدل) الإسلامية (أبو بكر 1996، الصفحات 88، 90). كما أصدر البابا (اسكندر الثالث Alexandre 3) سنة 1493م مرسوما يمنح التاج الإسباني الحق المطلق في المتاجرة مع البلاد التي اكتشفت ووضع شرطا، ألا وهو جلب تلك الشعوب إلى المسيحية (الصفار، 2018، ص 18).

تهافت الرحالة الأوروبيون للوصول إلى إثيوبيا والذين كان أغلبهم من المبشرين بالمسيحية ليجعلوها بوابتهم لكشف مجاهل إفريقيا التي كانت قارة مظلمة بالنسبة إليهم، ومن أشهر هؤلاء الرحالة المبشرين: (بيردرو بيز Berdro Piez) الذي وصل إلى الحبشة سنة 1603م، وقام بنشر المسيحية فيها واستطاع إقناع إمبراطورها وحاشيته باعتماد المسيحية، والأب (لوبو Lobo) الذي اتخذها محطة لكشف بعض المناطق الداخلية في شرق إفريقيا (كام، 1983، الصفحات 37، 38).

كما استطاع البريطانيون أن يمهّدوا لفرض سيطرتهم على غرب وجنوب إفريقيا بالبعثات التبشيرية مثل بعثة إخوان (مورافيا Moravia) الذين كانوا من المبشرين الذين انتشروا بين قبائل (هوتنتوه) الإفريقية حوالي سنة 1737م. وبعثة (ويزليان) إلى سيراليون بين سنتي (1806م-1811م)، وقام البريطانيون بتأسيس مستعمرة سيراليون لإسكان العبيد المحررين. كما حذا حذوهم الأمريكيان وأسسوا ليبيريا سنة 1847م للغرض نفسه. وكان هؤلاء العبيد قد تحضروا بالحضارة الأوروبية وانتشرت بينهم الديانة المسيحية (صالح، 1987، ص 120).

ومن المبشرين أيضا (دافيد ليفين ستون) David Livingstone (ت 1873) المبشر والرحالة الانجليزي الذي وصل إلى جنوب إفريقيا سنة 1841م ليكتشف منابع نهر الزامبيزي، وينشر المسيحية في المناطق التي وصل إليها. ورغم أن التاريخ يذكر لهذا الرجل حسنة وهي أنه قد حث بلاده على محاربة تجارة العبيد عندما أرسل تقاريره مع الرحالة (ستانلي Stanley) (ت 1904م) إلى الحكومة البريطانية بهذا الشأن قائلا: «... إنني أعتبر ذلك مسألة هامة بل لا أبالغ عندما أقول أنها مسألة أهم بكثير من الكشف عن كل مصادر النيل» (كام، 1983، ص 317).

وبعد (ليفين ستون) كان للرحالة الانجليزي (ستانلي) دورا كبيرا في التمهيد للاستعمار الأوربي في إفريقيا ليس البريطاني فقط بل الأوربي عامة لأن هذا الرجل تم إرساله إلى إفريقيا في رحلة ثانية من طرف الملك البلجيكي (ليوبولد الثاني Léopold 2) (ت 1909) من أجل التمهيد لإيجاد مستعمرة شخصية له في الكونغو بعقد الاتفاقيات مع الزعماء المحليين هناك. واستطاع هذا الرحالة عقد حوالي خمسمئة (500) اتفاقية تقر بخضوع زعماء المناطق الكونغولية في الجهة اليمنى لنهر الكونغو للملك (ليوبولد الثاني)، وفي الوقت الذي كان فيه (ستانلي) ينشط لعقد تلك الاتفاقيات في الكونغو كان الرحالة الفرنسي (برازا Brazza) ينافسه في الجهة المقابلة من نهر الكونغو لجمع توقيعات الزعماء هناك لصالح بلاده (زاهر، 1965، الصفحات، 143، 144)، مما أحدثت أزمة بين الدول الاستعمارية الأوربية في الكونغو، بسبب شدة التنافس بينها على تلك المنطقة، لذلك تم عقد مؤتمر أوربي في برلين (1884-1885)م من أجل حل مشكلة الكونغو وتنظيم الحركة الاستعمارية بين الدول الأوربية لمنع الصدام بينها في إفريقيا.

ورغم أن الرحالة (ستانلي) لم يكن مبشرا إلا أن المسيحية كانت حاضرة في رحلته الكشفية إلى إفريقيا، فعند زيارته إلى (أوغندا) وجد أن الملك (موتيسا) وحاشيته قد اعتنقوا الإسلام منذ زمن بعيد فانزعج عندما علم بذلك؛ وسارع إلى كتابة مقال وإرساله إلى جريدة (الديلي تليغراف) البريطانية والذي تم نشره في 15 نوفمبر 1875م، وقد بدأ (ستانلي) كلامه في هذا المقال بذكر

اعتناق الملك (موتيسا) الإسلام على يد تاجر سماه (خميس بن عبد الله) ودعا إلى سرعه إرسال الإرساليات التنصيرية ، خاصة من بريطانيا . وركز على أن الوعظ وحده لا يؤثر على شعب أوغندا الذكي.

كما ركز على أن الرجل المطلوب هو المعلم النصراني الخبير، الذي يستطيع أن يعلم أفراد الشعب كيف يصبحون نصارى فيعالج مرضاهم، ويبني لهم المساكن، ويعلم الأهالي الزراعة ويوجه يده إلى أي شيء (كما يفعل الملاح) مثل هذا الرجل سيصبح منقذ إفريقيا من الإسلام على حد قوله (النملة، 1993، ص46).

وقد أثر هذا المقال الذي خاطب به الانجليز شعبا وحكومة، فجمعت التبرعات التي وصلت في ذلك الوقت إلى 2400 جنيه إسترليني في أقل من عام على نشر هذا المقال. وقد وزع المبلغ على الجمعيات التنصيرية التي تم إرسال بعثاتها إلى إفريقيا، مثل الإرسالية الجامعية لوسط إفريقيا وإرسالية كنيسة اسكتلندا....(النملة، 1993، ص46).

خلال القرن التاسع عشر الميلادي ظهر تضامن بريطانيا مع مملكة الحبشة لأنها هي أيضا على المسيحية وذلك عندما أراد (محمد علي) والي مصر التوسع جنوبا على حساب الحبشة بعدما منعه من التوسع شمالا على حساب الدولة العثمانية فأسر برغبته في فكرة التوسع جنوبا إلى قنصل بريطانيا (سالت Salt) فرد عليه بان بريطانيا لن تسمح بغزو الحبشة: «ذلك البلد المسيحي الذي مازال وحده متمسكا بالمسيحية (في إفريقيا)»(غنيم، 1999، ص173). وفي المقابل سكتت بريطانيا عن غزو (منليك الثاني 2 Menielek) (ت 1976) إمبراطور إثيوبيا للمناطق الصومالية الغربية واحتلاله لمقاطعة (هرر) عشر الإسلامية سنة 1887م.

لم تنته الأمور إلى هذا الحد بل قامت بريطانيا بإبعاد الدول الأوروبية عن إثيوبيا خلال القرن التاسع حتى لا تفرض سيطرتها الاستعمارية عليها، فكانت تعارض إيطاليا التي كانت تسعى بكل جهودها آنذاك إلى أن تمت نفوذها على هذا البلد، وقيدتها مع فرنسا بمعاهدات تحترم وتحفظ استقلالها كمعاهدتي 1896م و 1906م؛ كما ساعدت بريطانيا (هيا لاسيلاسي Haile

(Selassie) (ت 1975م) (غيث، 2001، ص 261) على كسب بلاده عضوية عصبة الأمم سنة 1923م (zewed, 2014, P131)؛ وعندما تعرضت إثيوبيا للاستعمار الفاشي سنة 1936م كانت أبواب العصبة في جنيف مفتوحة لهذا الرجل كي يلقي خطابا دام ساعة ونصف يدافع فيه عن حق بلاده في التحرر جاء فيه : « أنا (هياسيلاسي) الأول إمبراطور إثيوبيا أقف أمامكم هنا أطلب العدالة لشعبي والعون له الذي وعدت به قبل ثمانية أشهر ، عندما حكمت خمسون دولة أن اعتداء قد وقع عليها... إن المسألة المعروضة هي تحد لوجود عصبة الأمم نفسها وامتحان لميثاقها الذي نادى بالمساواة التامة بين الدول. وامتحان لثقة الدول الصغيرة في المنظمة العالمية.... وليس هناك مملكة فوق الأرض تتفوق على مملكة أخرى اللهم مملكة الله الواحد وسوف لن ينس الله والتاريخ حكمكم....» (موسى، 1997، ص 181). وهنا يمكن أن نتساءل لماذا أعطيت إثيوبيا حق العضوية في عصبة الأمم، ولم تعط المملكة العربية السعودية هذا وهي التي أصبحت كيانا سياسيا منذ سنة 1932م؟.

سارت بريطانيا وفرنسا في سياسة مساندة إثيوبيا وعملا على تحريرها سنة 1941م وترك حكمها في يد إمبراطورها (هياسيلاسي)، بينما البلاد الإسلامية التي كانت تحت السيطرة الاستعمارية الإيطالية مثل ليبيا وإريتريا والصومال تم إبقاؤها تحت السيطرة الاستعمارية إلى زمن متأخر، حيث وضعت ليبيا تحت الوصاية الأممية إلى غاية سنة 1952م . ووضعت الصومال تحت الحكم البريطاني إلى غاية سنة 1960م. كما وضعت إريتريا تحت النفوذ الإثيوبي المسيحي الذي عانت منه كثيرا ولم ينته إلا سنة 1993م تحت ضغط الثورة الإريترية.

وخلال القرن التاسع عشر الميلادي أيضا كان العالم الإسلامي الذي كانت تحكمه الدولة العثمانية قد دب إليه الضعف، وصارت الدولة العثمانية تسمى بالرجل المريض الذي تنتظر نهايته لتقسيم تركته، التي هي بدون شك البلاد العربية في إفريقيا وآسيا.

وكانت البداية من الجزائر التي كانت فرنسا تخطط للسيطرة عليها وتحويلها إلى بلد مسيحي منذ عهد (نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte) (ت 1821)، الذي كانت خطته الاعتماد على المبشرين المسيحيين من أجل الوصول إلى هذه الغاية، ويظهر ذلك من خلال تصريحه سنة 1804م الذي جاء فيه: «إن في نيتي إنشاء مؤسسة لإرساليات أجنبية فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لي في آسيا وإفريقيا وأمريكا، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار. إن ملابسهم تحميمهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية» (عبد الوهاب، 1981، ص128).

ويبدو أن العقلية الاستعمارية للدول الأوروبية كانت لا تختلف عن بعضها البعض فبريطانيا أيضاً كانت تسير على الطريقة نفسها التي رسمها (نابليون الأول) للتمهيد للاستعمار الفرنسي في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، حيث كان (جيمس بلفور Arthur James Balfour) (ت 1930) الوزير البريطاني وصاحب وعد بلفور المشؤوم عام 1917م يقول: «إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها في الكثير من الأمور المهمة، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيراً من العقبات، ولذلك فإننا في حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين» (الأرو، 1429هـ/2008م، ص36).

2. السياسة الدينية للاستعمار الأوروبي:

استطاعت الدول الأوروبية الاستعمارية فرض سيطرتها على إفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وعملت على محو شخصية الشعوب المستعمرة، فكان أول ما حاربه الدين واللغة لما لهذين العنصرين من أهمية في بناء شخصية الشعوب أو هدمها. ويظهر ذلك مثلاً من خلال النصوص التي كتبها الفرنسيون وهم يستعدون للحملة على الجزائر. والتي تعكس الروح الصليبية والهدف الديني الذي كانوا يرمون إليه من وراء غزو الجزائر، فمنذ احتلالهم لمدينة الجزائر قاموا بالاستيلاء على المساجد وأقاموا القداسات وصلوات الشكر، والحفر على بقايا المسيحية منذ عهد الرومان واعتبار الاحتلال عملية امتداد واسترجاع

لسيطرة المسيحية. ولا فرق بين القادة العسكريين والقادة الدينيين في هذا المشروع إلا في الوسائل والإعلان والدرجة، ذلك أن العسكريين كانوا يريدون تحويل الجزائر إلى مسيحية ببطء بدون ضجة حتى لا يثور المسلمون، و أما رجال الدين فكانوا يظهرن الحماس الصليبي، ويعتبرون رسالتهم حربا مقدسة يخوضونها في قلب إفريقيا وفي قلب الإسلام. وكان رجال الدين في الحقيقة متشجعين برجال السيف ولولاهم ما قدروا على زرع أنفسهم في الجزائر، كما أن رجال السيف كانوا يعتمدون على رجال الدين في كثير من تحركاتهم لأنهم كثيرا ما مهدوا لهم الطريق وأعدوا لهم الأرض لاعتداء جديد على المسلمين، وصدق (جان بوجولا) عندما قال: « إن حربنا الإفريقية (الجزائر) ما هي إلا استمرار للحروب الصليبية » (سعدالله، 1992، الصفحات 133، 132).

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م بمباركة من البابا لإعادتها لملك روما المسيحية وقامت بتسخير كل إمكانياتها من اجل تحويل هذا القطر المسلم إلى بلد مسيحي، وهو ما أقر به الكاردينال (شارل لا فيجيري) الذي كان مكلفا بهذه المهمة، حيث قام بجولة في ربوع الجزائر حاملا الصليب في يمينه والخبز في شماله وهو ينشر المسيحية في أوساط الجزائريين وجمع 1500 يتيما ورباهم في ظل الكنيسة. وقد كتب إلى الحكومة الفرنسية قائلا: «إن إدخال الأهالي في الديانة المسيحية واجب مقدس ينبغي أن نرقي هذا الشعب... وأول ما يجب علينا معهم هو الحيلولة بينهم وبين القرآن، ينبغي لنا على الأقل أن نهتم بالصبيان فندخل في عقولهم تعاليم جديدة، ألا وهي تعاليم الإنجيل» (الخطيب، 1995، ص 32).

ويثني (رينيه بواتيه) في كتابه (الكاردينال لا فيجيري) على هذا الرجل بقوله: «... في الجزائر استطاع (لا فيجيري Lavigerie) (ت1892) أن يهب كل ما في استطاعته لإظهار حبه لفرنسا... أراد (لا فيجيري) أن يحب فرنسا إلى الناس باسم المسيح» (السقار، 2018، ص 21).

ولم تكتف فرنسا بهذا بل حولت المساجد في الجزائر إلى كنائس مثل مسجد كتشاوة بالعاصمة و مخازن للسلاح والحبوب مثلما فعلت بمسجد محمد الهواري بوهران، ومسجد

عين البيضاء بمعسكر، كما نفت العلماء أمثال: (محمد محمود العنابي) و (مصطفى الكبابطي)، وهو ما أقره الكاتبان الفرنسيان (كلين) و(فرانسيس جانسون Francis Jeanson)(ت2009م) اللذان قالوا حول هذه الحادثة: « لعل العبث بالدين كان هو المجال المفضل لدى القائد الفرنسي في الجزائر (رفيغو Revigo) ، فقد وقف و نادى أنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبدا لإلهه المسيحيين . وطلب من أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن، ثم أشار إلى مسجد كتشاوة فحوّله إلى كنيسة وسمي بكتاترائية الجزائر» (السقار، 2018، ص24).

وعند تعيين الأدميرال (دوقيدون Dugiden) كحاكم عام للجزائر في 29 مارس 1871م قام بتشجيع عملية التبشير في الجزائر خاصة في منطقة القبائل، لذا عرفت الحركة التنصيرية في عهده تطورا كبيرا هناك. فمنذ تعيينه على رأس الإدارة المدنية بالجزائر كان مقتنعا بسياسة الإدماج وأمن بأفكار (لا فيجري) التي تعتبر التنصير سبيلا لإدماج الجزائريين ويتضح ذلك من قوله: « إن الهدف الذي يرمي إليه المبشرون هو الهدف نفسه الذي أريد أن أصل إليه»(يسيلي، 1991، 125).

لقد كانت الفترة الاستعمارية أكبر بلاء على الإسلام في إفريقيا، حيث عمل الأوروبيون على إيجاد نخبة مثقفة بالثقافة الأوروبية وتمدنية بالديانة المسيحية تسهل عليهم نشر المسيحية في أوساط المسلمين، وهو الأمر الذي كان يوصي به المنصرون ويسعون إلى إيجاد ونجحوا فيه إلى حد بعيد في الكثير من المناطق الإفريقية، ومن بين هؤلاء المنصر (زويمر Zwimer)(النملة، 1993، ص39) (ت1953) الذي كان يقول: « إن الشجرة ينبغي أن يقطعها أحد أعضائها ... إن خبرة الصيادين تعرف أن الفيلة لا يقودها إلى سجن الصياد الماكر إلا فيل عملي أتقن تدريبه ليتسلل بين القطيع، لأن جلده مثل جلودهم ويسمعون له ولأنّ صوته يشبه صوتهم فيتمكّن من التغيرير بهم وسوقهم إلى حظيرة الصياد»(النملة، 1993، ص46).

وفي مصر نقل الجبرتي في تاريخه ما صنعه الفرنسيون هناك عند قيام (نابليون بونابرت) بحملته عليها سنة 1798م، فيقول: « دخل الإفرنج المدينة كالسيل ... ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول وتوففوا (أي قاءوا) بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات ... ودشتوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيها وتغوطوا وبالوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيها» (الجبرتي، 1998، الصفحات 220، 221).

وقد عملت السلطات الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا على اتخاذ جملة من التدابير سعت من وراءها إلى تثبيت أقدامها الاستعمارية بجميع المجالات، سواء باستخدام الديانة المسيحية وحتى الإسلام بعد إيجاد جماعات منحرفة تعمل لصالح الاستعمار. ويمكن ملاحظة تلك التدابير في المجالات التالية:

1- عمل الاستعمار على إيجاد فرق إسلامية ضالة كالقاديانية والبهائية اللتين نشأتا في ظل الاستعمار البريطاني في الهند سنة 1901م، حيث كان من دعاوى (غلام القادياني) أنه زعم بوجود موالاة الانجليز وتحريم قتالهم وإبطال الجهاد؛ فكتب يقول في مقدمة كتابه (ترياق القلوب): « لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها. وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الانجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلى بعض لملاً خمسين خزانة» (السقار، 2018، ص 24).

2- كان المبشرون أول من بدأ التعليم في إفريقيا السوداء؛ ففي أوغندا مثلاً ظل التعليم تحت سيطرة المبشرين زهاء نصف قرن (1877-1925)م. وكان المنصرون الانجليز يتولون إدارة المدارس في جميع أنحاء إفريقيا البريطانية، وانتشر التبشير انتشاراً كبيراً بزيادة عدد المنصرين البروتستانت والكاثوليك، إذا بلغ عددهم سنة 1925م حوالي 633 منصرفاً في جميع أنحاء إفريقيا (خالدي و فروخ، 1953، ص 243).

3- استعمال التمريض كوسيلة للوصول إلى قلوب الأفارقة، حيث انتشرت الفرق الطبية التابعة للإرساليات المسيحية في أنحاء إفريقيا لتقديم الخدمات الطبية لكسب ود الأفارقة تمهيدا لنشر النصرانية في أوساطهم، وهو ما دعا إلية الرحالة الأوائل الأوروبيون في إفريقيا مثل (ليفن ستون) و(ستانلي). هذا الأخير الذي بعث بمقال إلى جريدة (الديلي تليغراف) البريطانية يوصي فيه الشعب البريطاني والحكومة البريطانية بهذا العمل، حيث جاء في هذا المقال: «إن الرجل المطلوب (في نشر المسيحية في أوغندا) هو المعلم النصراني الخبير المتمرس الذي يستطيع أن يعلم أفراد الشعب كيف يصبحون نصارى فيعالج مرضاهم ويبني لهم المساكن. ويعلم الأهالي الزراعة ويوجه يده إلى أي شيء (كما يفعل الملاح)، مثل هذا الرجل سيصبح منقذ إفريقيا من الإسلام» على حد قوله، و تظهر أيضا أهمية التمريض بالنسبة للعمل التنصيري في إفريقيا في قول أحد المبشرين الذي يدعى (موريسونMorrisson): «نحن متفوقون بلا ريب أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية» (عبد الوهاب، 1981، 173).

وفي الجزائر كان (شارل لا فيجري) ينصح الآباء والأخوات البيض الذين يمارسون التمريض بمباشرة عملهم التنصيري على مراحل كالتالي:

- إقامة الصلوات أمام المرضى وتكليفهم بالمشاركة في ذلك.
- توزيع الصلبان على بعض العجزة من المرضى وتعليق بعضها على جدران حجراتهم (بقطاش ، 2009، ص56).
- إيجاد الفرص الملائمة للتحدث مع المرضى في الشؤون الدينية على شكل توجيه أخلاقي، فالطبيب أو الممرض من الآباء لا يعمل على تخفيف الألم فحسب بل ينشر رسالة السيد المسيح حسب (لا فيجري)(خالدي وفروخ ، 1953 ، ص64).

4-اتخاذ الصحافة كوسيلة تساهم في نشر الأفكار المسيحية، حيث أدرك المستعمر بأنها وسيلة لا توجه الرأي العام فقط بل تصنعه ؛ ولذلك استغلها في العالم الإسلامي ، خاصة العالم العربي منه؛ فأنشأ الصحف اليومية والأسبوعية مثل (بشائر السلام) و(الشرق والغرب) في مصر ، وأصبحت تنشر المقالات التي تمجد المسيحية والحضارة الرومانية....

5-استغلال المخيمات الكشفية لنشر المسيحية، حيث كان المبشرون يشرفون على المخيمات الكشفية، مثلما كانت تفعل فرنسا في بلاد المغرب العربي التي كانت تقوم كنيستها بإرسال قسيسين للقيام بهذه المهمة.

6- تشويه الثقافة العربية الإسلامية وذلك بإلحاق التحريف بعلمها حيناً والتشكيك فيها حيناً آخر. وخير دليل على ذلك ما قاله المفكر الفرنسي (أرنست رينان Ernest Renan)(ت 1892م) سنة 1944 م :« الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية »(خالدي وفروخ ، 1953 ، الصفحت 213،218). كما قام المستعمر بالاستعانة بمثقفيه ومبشره لمحاربة اللغات المحلية في إفريقيا خاصة العربية فشجع العامية والحق بها الكلمات الأجنبية كي يقضي على هذا الرابط الذي يوحد الأمة العربية ويجعلها تشعر بالانتماء إلى أصل واحد(خالدي وفروخ ، 1953 ، ص224).

3/ الهيئات الداعمة للتنصير في إفريقيا:

أولت مهمة نشر المسيحية في إفريقيا والتي مهدت للهجرة الاستعمارية على مناطق القارة إلى مجموعة من الهيئات الدينية الأوروبية والعالمية، التي كانت تتلقى الدعم المعنوي والمالي من الحكومات والجمعيات والمتطوعين وأصحاب المصالح، ومن أهم هذه الهيئات:

1.3/ الكنيسة الكاثوليكية: وذلك من خلال الهيئات التابعة لها مثل.

*الجمعية التنصيرية الإفريقية: التي عملت في مصر والسودان في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

*جمعية القديس يوسف للإرساليات التنصيرية الخارجية: التي عملت في جنوب السودان سنة 1939م

*جمعية الآباء البيض: والتي قامت بنشاط واسع في بلدان القرن الإفريقي، مثل كينيا والصومال، وجيبوتي وإريتريا، والسودان وأوغندا، وشمال إفريقيا. والتي تم تأسيسها على يد الكاردينال (شارل لا فيجيري) في الجزائر سنة 1868م .

*المنظمات الخيرية التي تقوم بجمع الأموال اللازمة لتسيير المشاريع التنصيرية في القارة وبدأت نشاطها منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، ومنها جمعية ليون لنشر العقيدة، ومنظمة الطفولة المقدسة وجمعية القديس بطرس (الأرو، 2008، ص77).

2.3 / الكنيسة البروتستانتية: كان لها هيئات تعمل من خلالها على نشر المسيحية في إفريقيا وفي المناطق الأخرى، وأهم هذه الهيئات .

*جمعية التنصير الكنسية لإفريقيا والشرق: تكونت في بريطانيا سنة 1799م، وبلغ مجموع ميزانية نشاطها التنصيري لسنة 1910م 21521 جنيه إسترليني مخصص لإفريقيا الشرقية. و33048 جنيه لإفريقيا الغربية.

*إرسالية إفريقيا الداخلية: مقرها بكندا، بدأت نشاطها التنصيري في كينيا وامتد إلى أوغندا والكونغو.

*إرسالية السودان الداخلية: أنشئت سنة 1893م للعمل في السودان وكان لها نشاط أيضا في نيجيريا وإثيوبيا بين سنتي 1928 و1935م.

*الإرسالية الأمريكية التابعة لمجلس الإرساليات الكنسية بشمال أمريكا: بدأت نشاطها التنصيري في مصر سنة 1854م وامتد هذا النشاط إلى السودان.

*الجمعية التنصيرية الميثودية: أنشئت خلال القرن التاسع عشر الميلادي ولها نشاط واسع في دول شرق إفريقيا وغربها.

*جمعية الكتاب المقدس البريطانية: وهي منظمة مساعدة للإرساليات التنصيرية أُنشئت سنة 1804م، وتتنحصر مهامها في طبع وترجمة الإنجيل إلى كل اللغات، ولها فروع في جميع قارات العالم، مثل جمعية الكتاب المقدس الأمريكية التي تكونت سنة 1816م. كما لها فروع في القاهرة، وفتحت مكتبا في الخرطوم سنة 1927م لبيع الكتب والمنشورات النصرانية (الأرو، 2008، ص79).

3.3/ مجلس الكنائس العالمي: وهو منظمة عالمية تأسست سنة 1948م لتضم الكنائس النصرانية، وتضم أعضاء بروتستانتين وكاثوليك، ولهذا المجلس هيئة تسمى (هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية)، والتي يهدف المسيحيون من ورائها إلى استعمال المشاريع التنموية في إفريقيا وآسيا كوسيلة لنشر المسيحية على حساب الديانات الأخرى خاصة الإسلام 4.3/ الجمعيات الطبية: منها جمعية التنصير الطبية العالمية بنيويورك، وجمعية التنصير الطبية بأدنبرة في المملكة المتحدة (الأرو، 2008، ص80).

4/ نتائج السياسة التنصيرية للاستعمار الأوروبي:

لقد تمخضت عن السياسة الدينية للاستعمار الأوروبي في إفريقيا جملة من النتائج أوجدت اختلالات في الكثير من الأمم والشعوب داخل القارة، وساهمت في تخلفها وعدم وحدتها الاجتماعية.

وكذا عدم توفر مقومات الدولة بالمفهوم العصري في الكثير من الدول الإفريقية، ومن أهم النتائج التي أفرزتها السياسة الدينية للاستعمار في إفريقيا ما يلي:

- انتشار المسيحية في إفريقيا السوداء على حساب الديانات المحلية خاصة الإسلام مما أثار الكثير من النزاعات الداخلية في بعض دول القارة، وأدى ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي لبعض الدول الإفريقية.
- انتشار الثقافات الأوروبية، ولعل أهمها اللغات الأوروبية التي أصبحت اللغات الرسمية للكثير من البلدان الإفريقية مثل الإنجليزية في كينيا ونيجيريا وجنوب

إفريقيا ... والفرنسية في السنغال ومالي وإفريقيا الوسطى.... والبرتغالية في أنغولا وغيرها، وكذلك إيجاد نخبة محلية مثقفة بالثقافات الأوروبية تحفظ لغة المستعمر وتدافع عنها حتى على حساب اللغة الوطنية.

- مساهمه إثيوبيا المسيحية وتعاونها مع الدول الأوروبية في عملية نشر المسيحية في الدول المجاورة لها، مثل الصومال التي غزا مناطقها الغربية (منليك الثاني) ملك إثيوبيا سنة 1896م وقام بفرض الديانة المسيحية على سكان محافظة هرر المسلمين بالقوة. كما قام ملكها (هيلا سيلاسي) بمساعدة الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية لنشر المسيحية في جنوب السودان الذي انفصل عن السودان في السنوات الأخيرة (خالدي وفروخ، 1953، ص241)

- استمرار الصراع الحضاري بين المسيحية والإسلام بحيث اعتبر المستعمرون الأوروبيون ولا يزالون يعتبرون بأن أعداءهم هم المسلمون. ويظهر ذلك من تصريح (فروليش Frohlich) (ت 1865م) أحد مخططي الاستعمار الفرنسي: «إن كل أعدائنا كانوا تقريبا من المسلمين» (سيلا، 1986، ص86).

- غرس عناصر بشرية مسيحية أوروبية في البلدان الإفريقية دخيلة عن المجتمعات الإفريقية، حيث تم تمكين هذه العناصر من السيطرة على الأراضي، وتهميش سكانها الأصليين، مثلما حدث في جنوب إفريقيا التي قام نظام التمييز العنصري بها بأبشع الجرائم في حق السكان السود، كما احتكر البيض السياسة والاقتصاد وفرضوا نظامهم العنصري هناك حيث كان لا يسمح للأفارقة السكن بجانب الأوروبيين البيض، ولا الركوب في حافلاتهم.... (محمد 1997، ص310).

- ورغم كل هذا فإن العمل التنصيري الذي قامت به الدول الأوروبية في إفريقيا كانت نتائجه في بعض الأحيان مخيبة لأمال الاستعماريين الأوروبيين ودافعا لبعض الشعوب الإفريقية إلى أن تتمسك بمقوماتها لكي تستطيع الوقوف في وجه المستعمر، كما

حدث في الجزائر مثلا والتي أدرك شعبها ضرورة التمسك بدينه الذي هو عامل نصره وتحرره من الاستعمار الفرنسي. وهو ما شهد به الكاتبان الفرنسيان (كرومير) و(فرانسيس جونسون): «...لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام من أجل ذلك أدركوا جميعا أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدرروا على التحرر. وفي الواقع أن الاحتلال الفرنسي (للجزائر) كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية» (عبد الوهاب، 1981، 175).

- فرض حكام علمانيين على بلاد المسلمين من بني جلدتهم قصد ضمان التبعية في مرحلة ما بعد الاستقلال، وهو ما سعت إليه الدول الاستعمارية في إطار ما يعرف بالاستعمار الجديد. ويظهر لنا هذا الأمر من خلال تصريح (كرومر) منظر السياسة الاستعمارية في مصر والسودان والصومال في قوله: «الإسلام بطبيعة تعاليمه عدو للحضارة الأوروبية، وإن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوروبيين لا يقوى على حكم البلاد» (الأرو، 2008، ص71).

5- خاتمة:

حمل الأوروبيون معهم المسيحية كدافع لمكتشفهم وجيوشهم لخوض عملية اكتشاف إفريقيا خلال القرن 15 ثم استعمارها خلال القرن 19 م، وعملوا طيلة فترة تواجدهم فيها على نشر هذه الديانة بكل الوسائل مما أفرز نتائج وخيمة على القارة الإفريقية و على سكانها؛ و لعل أهمها بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا هو إيجاد مكانة للمسيحية على هذه القارة التي لم تكن تعرف هذه الديانة إلا في مناطقها الشمالية أو الحبشة.

كان الهدف الأول من هذه الحملة التي غزتها الكنيسة الأوروبية هو محاربة الإسلام الذي عرف انتشارا واسعا داخل قارة آنذاك، وكذا جعل الدين مطية للسيطرة على مناطقها التي تزخر بالخيرات.

وهذه الخطة استطاعت القوي الاستعمارية غرس المسيحية بمذاهبها في وسط سكان القارة. مما تسبب في ضعف اللحمة بين المجتمعات الإفريقية داخل الكثير من دول القارة وكثرت النزاعات والفرقة مما جعل سيطرة الدول الاستعمارية تستمر حتى بعد استقلال الدول الإفريقية.

6- الهوامش:

مصوع: مدينة وميناء بحري ارتري على البحر الأحمر. تبعد عن العاصمة أسمرة بحوالي 100 كم إلى الشرق منها. دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري، وكان لها دور في نشر الإسلام في مناطق شرق إفريقيا. تعتبر من المدن الصناعية و التجارية الهامة في ارتريا خاصة صناعة المنسوجات ، والصناعة الغذائية . احتلها الطليان سنة 1885م .عبد الحكيم العفيفي ،:2000موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع .

عدل : سلطنة إسلامية في المناطق الشمالية من الصومال ظهرت خلال القرن الخامس عشر الميلادي . تقع بين خطي عرض 8° و 12° شمالا وخطي طول 42° و 48° شرقا . كانت تشمل الأراضي الواقعة بين ميناء زيلع و هرر. وتمتد جنوبا لتشمل جزءا مما يعرف الآن بالصومال الشمالي ، وإقليم الأوجادين . أخذت هذه السلطنة اسمها من ميناء عدل الذي كان يقع على رأس خليج تاجورة في جيبوتي الحالية . وكانت عاصمتها (دكر) حتى سنة 1521م عندما انتقلت العاصمة إلى مدينة هرر في عهد السلطان أبي بكر بن محمد . توسعت في عهد السلطان عمر الدين بن عمر والإمام أحمد بن إبراهيم الغازي (الأشول) حتى ضمت كل ممالك الزيلع الإسلامية ومعظم أقاليم الحبشة المسيحية . انكسرت حدود هذه السلطنة بعد انهزام الإمام أحمد أمام الأحباش والبرتغاليين سنة 1542م لتصبح دويلة بين هرر وسواحل زيلع بالصومال . أنظر، محمد عثمان أبوبكر ، 1996، المثلث العفري في القرن الأفريقي عبر العصور ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .

منقذ محمد السقار ، ديسمبر 2018 ، الاستعمار ودوافعه الدينية ، [https://islam](https://islam.house.com)

.house.com

جوزفين كام ، 1983 ، المستكشفون في إفريقيا ، ترجمة السيد يوسف نصر ، مصر ، دار المعارف .محمد محمد صالح ، 1407هـ -1987م ، استعمار إفريقيا وتقسيم القارة الإفريقية في مؤتمر برلين 1884-1885م بين الدول الكبرى الأوروبية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 31 . رياض زاهر ، 1965 ، استعمار إفريقيا ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر . علي إبراهيم النملة، 1993 ، التنصير مفهومه ، وأهدافه ووسائله ، القاهرة. دار الصحوة للنشر والتوزيع .

النملة، 1993 ، التنصير مفهومه ، وأهدافه ووسائله ، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع عبد العاطي بيومي طارق غنيم ، 1999 ، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، (1811-1848) ، الهيئة العامة للكتاب .

هيلاسلاسي : دجزامج تفري . ولد في 23 جويلية 1891م في هرر. عندما كان والده ماكن واليا عليها . تلقى تعليمه الأول في مدرسة الإرسالية الفرنسية . عينه منليك حاكما على منطقة سيداموا ، ثم حاكما على مقاطعة هرر سنة 1900م عين وصيا لعرش الحبشة ووليا للعهد بعد خلع الإمبراطور ليج ياسو سنة 1917م . تولى حكم أثيوبيا سنة 1930م أطيح به على إثر إنقلاب سنة 1974م . فتحي غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ 2001، القاهرة مكتبة النهضة المصرية .

Bahru zewde,2014 a history of modern Ethiopia 1855-1991, Addis Ababa .

فيصل موسى ، 1997 موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ليبيا، منشورات الجامعة المفتوحة ، ص 181.

أحمد عبد الوهاب ، 1981 ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، القاهرة ، مكتبة وهبة

عبد الرازق عبد المجيد الأرو، 2008، مكة ، التنصير في إفريقيا ، الدار العامة للثقافة والنشر سعد الله أبوالقاسم ، 1992، الحركة الوطنية الجزائرية، بيروت ، دار الغرب الإسلامي .

أحمد الخطيب ، 1995 ، جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، الجزائر ، دارهومة .

السقار ، ديسمبر 2018 ، الاستعمار ودوافعه الدينية ، <https://islam house.com> .

مقران يسلي، 1991، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945، مذكرة ماجستير- قسم الفلسفة، جامعة الجزائر.

هو صموئيل ساتلهلو زويمر، من أقطاب التنصير في البلاد العربية، ولد سنة 1867م ويعد رئيس المستشرقين في الشرق الأوسط. تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع (باكونالد). توفي سنة 1953م. النملة، 1993، التنصير مفهومه، وأهدافه ووسائله، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع.

النملة، 1993، التنصير مفهومه، وأهدافه ووسائله، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، 1998، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية.

مصطفى خالدي وعمر فروخ، 1953، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.

النملة، 1993، التنصير مفهومه، وأهدافه ووسائله، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع. بقطاش خديجة، 2009، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871، الجزائر، دار دحلب. خالدي و فروخ، 1953، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.

عبد الرازق عبد المجيد الأرو، 2008، مكة، التنصير في إفريقيا، الدار العامة للثقافة والنشر. الأرو، 2008، مكة، التنصير في إفريقيا، الدار العامة للثقافة والنشر.

عبد القادر محمد سيلا، 1986، المسلمون في لسنغال، ط1، قطر، سلسلة كتاب الأمة، 1986.

موسى فيصل محمد، 1997، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ليبيا، منشورات الجامعة المفتوحة

أحمد عبد الوهاب، 1981، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، القاهرة، مكتبة وهبة الأرو، 2008، مكة، التنصير في إفريقيا، الدار العامة للثقافة والنشر.

السرد السيري (الملحمي و الجماعي) من منظور الدرس النقدي العربي القديم أيام
العرب و ملاحظتها في الجاهلية أمودجا

Biographical narration (epic and collective) from the
perspective of the ancient Arab critical study The days of
the Arabs and their epics in the pre-Islamic era as a mode

أ.د/عبد العزيز شويط ، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل

kadikada97@gmail.com

تاريخ الارسال: 2022-03-12 تاريخ القبول: 2022-11-12 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

This article studies the ancient Arab criticism and its grasp on narration, and the extent of the shortness or length of this grasp wielded by discovering the good or the bad of this ancient Arab narration, taking into account that criticism had a grasp on poetry and oratory, and a limited grasp when it comes to narration and Arabic prose, proverbs, commandment and some short stories.

Keywords: Narration - Biography - Epics - Ancient criticisme.

ملخص

يدرس هذا المقال النقد العربي القديم ويده الموضوعة على السرد، ومدى قصر أو طول هذه اليد المسلطة باكتشاف الجيد أو الرديء من هذا السرد العربي القديم، وعلى رأسه جنس السير والملاحم السردية طبعاً، على اعتبار أن النقد كانت يده مبسوطه على الشعر والخطابة وقصيرة إلى أبعد الحدود على السرد و حتى النثر العربي القديم إذا استثنينا الخطابة و بعض ما قيل حول الأمثال والوصايا و بعض النوادر والحكايا.
الكلمات المفتاحية: السرد – السيرة – الملاحم – النقد القديم.

مقدمة:

لم يعن النقد العربي القديم بالسرد عنايته بالشعر ، نقول ذلك و بين أعيننا عناية خاصة بالسرد القرآني عند علماء التفسير و الأدب و اللغة و حتى النقاد من وجهة النظر الإعجازية كما لا نغفل دراستهم هم و شراح الحديث النبوي الشريف للسرد المتضمن في أحاديثه و خطبه صلى الله عليه وسلم ، و يرجع ذلك الإهمال للسرد البشري الفردي و الجماعي ، المدون و الشفاهي باعتباره من هامش القول ، أو هو حديث خرافة ، و إن وجدنا من يهتم بالسرد من الدارسين و النقاد القدامى فقد اهتموا به من منطلق ارتباطه بالقصص القرآني الكريم ، أو بالقصص الوعظي في مساجد الحواضر و منها البصرة و الكوفة ، أو من باب تفسير قصص وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم من مثل حديث القوم الذين ركبوا سفينة و أحاديث كثيرة تضمنت قصصا وعظية كما أسلفت .

إن السير بما فيها سيرة النبي (ص) لابن هشام أو للسيوطي أو لغيرهما، وحتى ما سبقها من سير سيف بن ذي يزن أو سيرة عنتر بن شداد العبسي أو حتى قصة زرقاء اليمامة لم يتطرق إليها النقد من باب الجمال ، و إنما من باب المضمون . انظر مثلا إلى فنون الخطابة و الوصية و المثل لم ينظر إليها من وجهة نظر سردية على الإطلاق و قد تضمنت في كثير من حالاتها قصصا سردية، إذ ليس كل نثر سردا، و إذا ما جئنا إلى فنون سردية صريحة من مثل المقامة و السيرة و حتى ألف ليلة و ليلة و كليلة و دمنة و بخلاء الجاحظ و غيرها وجدنا النقد الحديث هو من يهتم بها و ليس النقد القديم إلا فيما قل.

ربما كانت النصوص السردية العربية القديمة الأكثر عرضا و تناولا من قبل الدارسين و النقاد القداماء هي النصوص الأقدم زمنيا ، و أشدد هنا على تركيب " الدارسين و النقاد القداماء " إذ المسألة تتعلق بنص سردي قصصي إبداعي قديم و نص آخر دراسي نقدي أيضا قديم ، و السؤال الذي يفرض بنا إلى هذه المسألة هو كيف تعامل النص الدراسي و النقدي القديم مع السرديات القديمة ، سيرة أم خرافة أم قصصا مروايات أكانت ؟ و السؤال الثاني :

لماذا كانت السرديات الأقدم زمنيا هي النصوص الأكثر تناولا من قبل النقاد و الدارسين القدماء ؟ و السؤال الثالث : أي هذه النصوص السردية أكثر قدما و أي الدراسات النقدية كانت أسبق إلى تلقيا مشحونا بالدرس الأدبي أو النقد بما ففي ذلك نقد المضمون ؟ فليس دائما النقد معنيا بالجمالية.

القدم نلمسه في فن من السير و المغازي قديم ، لأمرين : الأول لأن السيرة في أقدم فنون السرد العربي . و الثاني لارتباط هذه السيرة بالعرب القدماء و أعني بهم العرب الجاهليين . إن نظرة إلى ما رواه النقاد و الدارسون القدماء على أيام العرب و ملاحظتهم النثرية هو ما يعطينا انطبعا بأن الدرس العربي السردى قد مس هذه الملاحم النثرية و السردية بالدرس و التأريخ و الشرح وحتى النقد، و لكن ليس إلى جمالياتها و شعريتها السردية . و لذلك يجب أن نتفق أن النقد قد يعني الدرس، تماما كما عنت وجوه الطرق على شاكلة الجمع والترتيب و الاختيار و حتى الذكر ، عنت النقد و لم لا ؟!

إذن سيكون اشتغالنا هاهنا على المدونة السيري/أيامية أو السيري جماعية / أو السيري حربية . و هي مدونة رويت روايات عديدة و مختلفة ، إما عن أبي عمرو بن العلاء ، و إما عن الأصمعي و إما عن ابن الأعرابي و إما عن ابن قتيبة ، و إما عن المفضل الضبي و إما عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، و إما عن غير هؤلاء من العلماء الذين رووا نصوصا ذات طابع غنائي فيها بعض الخيال و كثير من الحقيقة و القصة و السرد و الحوار و منه كثير من الجمال الأدبي ، أو كثير من التأثير و لم لا ؟

النص الملحمي الشعري خاصة، و في كثير من الأحيان، نجد له آلية من آليات النقد و هي آلية الشرح و التوضيح لما ورد في الشعر أو للتعريف بالشاعر فيما يحتاج إليه النقد و عليه ، إننا لا نتصور نقدا فنيا في الشكل و الشعرية للأيام و إنما نتوقع نقدا في الفكرة في الموضوع في حقيقة الخبر في اختلاف الرواة في نقل الخبر ... الخ.

لقد احتيج إلى النص القصصي الملحمي العربي الإسلامي سواء غزوات النبي أو ما تلاه من أيام للمسلمين و لكننا آلينا على أنفسنا في هذا البحث الاكتفاء بالنص الملحمي القصصي الجاهلي دون الإسلامي، كما استبعدنا النص السيري الفردي كسيرة بني هلال و سيف بن ذي يزن و صلاح الدين الأيوبي و النص التاريخي الإسلامي عند الإخباريين المسلمين (الطبري و المسعودي و ابن الأثير و اليعقوبي وغيرهم.

ربما يكون الناقد الأول للنص الحكائي السردى الحربى العربى ممثلا بأيام العرب هو الراوى الأول لها، و فى مثل حالتنا هو أبو عبيدة حين يتدخل فى المتن الروائى معلقا أو مرجحا أو مختصرا أو غير ذلك مثلا سنرى مع ابن رشيق كيف اختصر أيام العرب اختصارا واعيا و صرح بذلك فى العمدة .

سوف نجد الإخباريين العرب من مثل ابن كثير و المسعودي و ابن خلدون (فى ديوان العبر دون المقدمة) و الطبري و اليعقوبي و ابن الأثير و غيرهم يتناولون بالإيراد و بالتعليق هذه الأيام ، و لكن هذه الدراسة من رجال الاختصاصات الأخرى تكون أبعد ما تكون عن دراسة الجاحظ مثلا و غيره بمن فهم ابن خلدون و لكن فى المقدمة التى تتناول قضايا نقدية و أخرى أدبية و غيرها لسانية.

ولذلك كان المطلب عزيزا حين نخرج هؤلاء الإخباريين غير المعنيين بالدرس الأدبى فكرة و مالا من مكتبة هذه الدراسة. و للأسف الشديد هؤلاء هم أغلب من نقل إلينا الأيام و علق عليها من جهة العدد و التحقيق و العنف و السياسة و غيرها، و عز أن نجدا تعليقا من جهة جمال الفكرة و براعة الأسلوب، و لذلك كان تتبعنا له و تلمسنا إياه عند دارسى الأدب و لو بطرف منه.

1- أيام العرب من منظور نقدي بين الدرس القديم و النقد الحديث (شعرية السردية السيرية):

الكثير من النقاد العرب المحدثين درسوا القصة أو السرد العربي القديم بمنظور حداثي، و لكن القليل الحاصل يكمن في الدراسات التي تستخرج المخبوء من الدراسات القديمة (النقدية) للسرد القديم ، فكما يقول عبد الله إبراهيم : ((فمن منظورنا النقدي نرى بأن كل تلك المرويات ، تدرج ، من ناحية فنية ، في إطار سردي محكم قوامه ، حكاية تفسيرية تؤطر النصوص ، و تدرجها ضمن قالب السرد الذي يحدد النص ، و ظروف إنتاجه ، و يمكن لذلك النص أن يكتسب دلالاته من دون ذلك الإطار السردية ، و داخل إطار الحكاية التفسيرية تترتب السمات المميزة للنصوص ، بما فيها السمات النوعية الشاحبة فلم تكن المرويات بلغت رتبة النوع ، إنها مزيج متداخل من النصوص ذات السمات السردية (...)(عبدالله ابراهيم، 2005، صفحة64)، و هو ما يمكن تطبيقه على النصوص التي نشتغل عليها ، و إن كانت إلى السيرة الجماعية و الشعبية أقرب ، و لأن السرد السيري دُرس من قبل النقد الحديث و المعاصر أكثر مما دُرس من النقد القديم بالمعنى النقدي الأكثر قربا من عصور النقد المنهجي عند العرب . لأن ذلك يتطلب تجوالا منهكا في كتب الأدب القديمة، و لذلك كان تحقيق المسعى الأول أوفر حظا من تحقيق الثاني، و لذلك أصبحت معلومة تلك النصوص التي يتناولها الدرس النقدي الحديث و هي من التراث، حيث تكون هذه النظرة إلى السرد العربي القديم من حيث: النثر كالمقامات و السير الشعبية و الأيام و ألف ليلة و ليلة و كليلة و دمنة و البخلاء و السرد الصوفي و غيرها و تكون من حيث : الشعر كما رأينا مع القصة الشعرية المشهورة الحطيفة و تناول الدارسين المحدثين لها . و قد كان السرد القديم من منظور النقد الأدبي القديم من خلال الشعر كما كان من خلال النثر ، و هو ما تناوله الدكتور عبد الفتاح كيليطو في تلك الدراسات النقدية القديمة للسرد العربي القديم شعرا أكان أم نثرا كما فعل مع الجرجاني في " أسرار البلاغة " و إيراده للقصة الأصلية في الشعر في شعر ابن المعتز (عبد

الفتاح كيليطو ، صفحة 09)و إن كان الرجل قد أحل شخصيته محل الجرجاني فلم يورد لنا رأي هذا الأخير ولا تعليقه على القصة (هذا إن وجد) وإنما كان هو الفاعل فيها، و الجرجاني مجرد مورد لها ، و هو ما فعله على التوالي في ألف ليلة و ليلة ، و مع ابن المقفع في كليلة ودمنة و تعليقه بـ " زعموا أن " أو قصة " أبو سهل و الجمل " عند ابن الزيات في كتابه التشوف أو ما فعله ابن خلدون في السرد في أدب الرحلة أو السيرة الذاتية. و هو ما يفضي إلى التأكد من المنحى السردى لهذه السيرة سواء أكانت فردية ذاتية أم جماعية.

لقد ركزت في هذه الدراسة على نوع من السير الجماعية الملحمية، و المسماة بأيام العرب لأسباب منها: ((أن السيرة الشعبية تنتهي إلى قطاع واسع من الإنتاج الثقافي العربي الذي ظل مهمشا ، و مغيبا من دائرة الاهتمام و البحث ، و لا ريب في أن البحث في هذا النوع من النصوص المهمشة ، يفتح أمامنا آفاقا جديدة للتفكير في الذات العربية ، و مختلف بنياتها الذهنية و الفكرية. أن السيرة الشعبية ، كإنتاج ، كانت وليدة تفاعل يومي و تاريخي للمجتمع العربي مع العالم الذي كان يعيش فيه ... السيرة الشعبية نوع سردي عربي له خصوصيته و تميزه عن باقي الأنواع السردية العربية ؛ و في هذا النطاق حاولت نقض التصورات النوعية السائدة لدى الباحثين العرب بشأنها ، و المتمثلة في كونهم يعتبرونها : ملحمة ، قصة بطولية ، رواية ، ، أو ما شاكل هذا من التسميات)) (سعيد يقطين، 1997، صفحة 8-9)، و الأيام قد خفي مؤلفها الأول، إذ أن أبا عبيدة مجرد راو لها كبقية الرواة ، و هو ما يكسبها الطابع الشعبي في تناقلها بين الرواة و بين السمار في ليالي السمر العربية منذ الجاهليين و منذ الصحابة رضوان الله عليهم كما سنرى فيما يأتي.

و الحقيقة أن ما حدا بناقد كعبد الفتاح كيليطو أن يهتم بالسرد العربي القديم أن هذا الأخير مغر جدا لكثرتة ، و لروعته (جماليته) و لغرابته أيضا ، و هو ما يبحث عنه كيليطو وغيره ، البادرة و النادرة ، و الفنطازيا ، فقد ((انتشرت في الجاهلية أخبار الأولين و قصص التاريخ الفارسي و أنبياء أصحاب الكتاب، و تضمنت كتلب القبائل أخبارا و قصصا متعلقة

بالشعراء و القبائل و الأيام، و روى الجاهليون أخبار العرب البائدة و مأرب و سدها، وأخبار القصور و عام الفيل و ما إلى ذلك مما امتزجت به الأسطورة بالتاريخ . و لكن هذا القصص الجاهلي قد لعبت به أيدي التحريف حتى أصبح غريبا عن أصحابه و رواته الأولين)) (حنا الفاخوري، 1986، صفحة115) و هو ما يشكل مرجعية ثقافية سيرية للناقد العربي و مادة خصبة للدرس النقدي الحديث و المعاصر بمناهج الغرب لهذا النص السردى العربى القديم عند محي التراث.

هل هو رغبة المعلم المتأخر في استكشاف طرق المعلمين الأوائل ؟ فالمعلم المتأخر ناقد و المعلم الأول ناص سارد ، و لذلك ((لا شك أنه كان في الجاهلية معلمون يعلمون أخبار الأولين و قصص التاريخ ، مثل النضر بن الحارث الذي اكتب أساطير الأولين و كان يحدث الناس عن رستم و إسفنديار و ملوك فارس ، و مثل أصحاب الكتاب الذين كانوا يروون أخبار الأنبياء . أضف إلى ذلك أن العلماء أثبتوا لبعض القبائل الجاهلية كتبا تضمنت مجموعات شعرية لشعرائها ثم بعض الأخبار و النسب و القصص و الأحاديث مما يتصل بالشاعر نفسه ، أو ببعض أفراد قبيلته ، و ما يوضح مناسبات القصائد ، و يفسر بعض أبياتها ، و يبين ما فيها من حوادث تاريخية . فيجئ كتاب القبيلة بذلك سجلا لحوادثها و وقائعها ، و ديوانا لمفاخرها و مناقبها ، و معرضا لشعر شعرائها " . و إرم ذات العماد ، و عوج بن عناق ، الذي " كان يحتجز السحاب فيشرب منه ، و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ، ثم يأكله " ؛ و أخبار مأرب و سيل العرم ، و أخبار القصور ، و عام الفيل ، و أيام العرب و بطولاتهم ، و ما إلى ذلك مما مزجوا في أكثره التاريخ بالأسطورة ، و مما كان مادة انطلاق لقرائح الرواة و أقلام الأدباء في العصور التالية حتى لم يعد باستطاعتنا أن نقول كلمتنا في تلك الأخبار و الأساطير.

أيام العرب : أما أيام العرب – و هي منتورة طي المجاميع الأدبية – فنحن نورد بعض ما جاء عنها في مقدمة الكتاب القيم الذي نشره جماعة من الأدباء المصريين و عنوانه أيام العرب في الجاهلية ، و مما قيل فيه : " تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدر / خصيبا من

مصادر التاريخ ، و ينبوعا صافيا من ينابيع الأدب ، و نوعا طريفا من أنواع القصص ، بما اشتملت عليه من الوقائع و الأحداث ، و ما روي في أثنائها من نثر و شعر ، و ما تدسى خلالها من مآثور الحكم ، و بارع الحيل ، و مصفى القول ، و رائع الكلام . " فهي توضح شيئا من الصلات التي كانت قائمة بين العرب و غيرهم من الأمم كالفرس و الروم ، و تروي كثيرا مما كان يقع بين العرب القحطانيين و العدنانيين من خلاف ، و بين العدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع ، بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب قبل الإسلام من حروب و شجارات بين القبائل ، و وقائع كانت بين البطون و الأفخاذ و العشائر . " ثم هي في أسلوبها القصصي ، و بيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب و عاداتهم ، و أسلوب الحياة الدائرة بينهم ، و شأنهم في الحرب و السلم ، و الاجتماع و الفرقة ن و الفداء و الأسر ، و النجعة و الاستقرار ، و هي أيضا مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم و شيمهم: كالدفاع عن الحريم ، و الوفاء بالعهد و الانتصار للعشيرة ، و حماية الجار ، و الصبر على القتال ، و الصدق عند اللقاء ، و غير هذا مما تراه واضحا في تلك الأيام ... و ما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب ، و ما امتلأت به الكتب من ذكر المغاوير من أبطال الوقائع ، هذه الأيام هي مورد أقاصيصهم ، و ساحة بطولتهم و مسرد حوادثهم ، فبسطام بن قيس سيد شيبان ، و ربيعة بن مكدم فارس كنانة و دريد / ابن الصمة قائد جيشم ، و جساس بن مرة قاتل كليب ... هؤلاء و غيرهم من قروم الحرب و أحلاس الخيل قد سجلوا في هذه الأيام مواقف و مغاورات تملأ القلوب دهشة و إعجابا . " و لم تخل هذه الحروب من زعماء قبائل ، و رؤساء عشائر ، كانوا في زعامتهم و رياستهم مُثْلا عليا في نصاحة الرأي ، و إصابة المحز ، و التهدي إلى مواطن الصواب ، و في ما أثر عن أكتهم بن صيفي ، و قيس بن عاصم المنقري ، و الحارث بن عباد البكري ، و عبد الله بن جدعان القرشي ما هو جديد على الزمن ، باق على مر العصور ")) (حنا الفاخوري ، 1986 ، صفحة 121-122) كل هذا هو ما يحقق الإغراء بالنسبة لي لتتبع ظاهرة التناول لهذه الآثار ، و سأحاول أن أتجنب السرد الشعري - و هو كثير - لهذه الحروب و الأيام ، و هو ما ذهب إليه أبو عبيدة في كتابه غير



المفقود و أعني به نقائض جريرو الفرزدق فقد شرح السرد الشعري لهذه النقائض و هو سرد عن سرد ، لأن النص الأول حكايات سردية نثرية والنص النقيضي هو سرد شعري لهذه الأيام سرد شعري مسترجع و مستحضر للنصوص الأصلية في خضم الفخر و الهجاء و الحماسة عند الفرزدق و جريرو .

و للأسف الشديد هذا ما وصلنا في قضية الأيام كاملا عن أبي عبيدة ، إعادة لنتف منها ميثوث في نقائض الفرزدق و جريرو ، و هو كتابه الذي سلم من الضياع و التلف ، و هو ما حدا بالدارسين إلى التركيز على ضياع النص الأول لها ، حيث يقول بعضهم : ((بيد أن هذه الأيام على خطرها و جليل شأنها ليست بأيدي الناس كتاب خاص بها ينظم عقدها ، و يجمع شتاتها و يسهل الانتفاع منها ؛ نعم قد روى صاحب كشف الظنون و غيره أن أبا عبيدة قد ألف فيها كتابا صغيرا حوى خمسة و سبعين يوما ، و آخر كبيرا جمع فيه ألفا و مائتي يوم و أن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتابا جمع فيه ألفا و سبعمائة يوم ؛ ولكن شيئا من ذلك لم يقع إلينا ، و كل ما عرفناه روايات منتثرة في كتب الأدب و التاريخ ؛ ككتاب الأغاني و النقائض و العقد الفريد و معجم البلدان و ابن الأثير و المسعودي و معجم ما استعجم ، و هي متفرقة لا يحدها نظام و لا تجتمع في باب ؛ هذا إلى اختلاف الرواية ، و اضطراب الشعر ، و تحريف الكلام)) (محمد المولى بك و آخران ، 1986 ، صفحة 96)؛ و هو ما يفسح المجال للرأي و الرأي الآخر ، و الرواية و الرواية المضادة ، أو على الأقل الرواية المنقصة و الرواية المضيضة و ما يفسح المجال أيضا إلى اختلاف بين الرواة يستحضر الأدلة الشعرية المستشهدة و الشارحة ، و إيراد الحجج و ما إلى ذلك ممما يحتاجه الدرس الأدبي للأيام و لرواية الأيام وهم مجال - لا محالة - من مجالات النقد المتصل بها من شأن دارسي الأدب الأقدمين الخوض فيه و من شأن الدارسين المحدثين للأدب استكشافه .

إن رجوعا إلى الأسباب التي جعلت قصص الأيام تنشأ في الثقافة العربية كتعبير عن تاريخ هذه الحروب و بيان لها من خلال ما استقاه المتأخرون عن المتقدمين هو ما مفاده أنه ((

وباستقلال عرب الحجاز و نجد من سيطرة اليمن بانقلاب سياسي ، هاج شاعريتهم وأيقظ ما فطروا عليه من عزة النفس وإباء الضيم .. فأخذوا يختلفون فيما بينهم لأن سيطرة اليمن كانت قد جمعتهم قيودها .. فلما أطلق سراحهم تنازعا ، فجرت بينهم حروب تعرف بأيام العرب قد فصلناها في كتابنا (العرب قبل الإسلام) وأكثرها حدة و أطولها مدة الوقائع بين بكر و تغلب ، وكلاهما من ربيعة و هي حرب البسوس بين مهلهل وجساس ، دام النزاع فيها أربعين سنة مات في أثنائها الشيوخ ، و شاخ الشبان و شب الولدان ، وفي أثنائها نبغ مهلهل أخو كليب و شهد تلك الحروب . و كان شاعرا مطبوعا فتوسط في المصالحة بين القبيلتين وله شأن في تاريخ الشعر .. ناهيك بالحروب التي جرت بين قبائل مضر ، أشهرها أيام داحس والغبراء و غيرها)) (جورجي زيدان ، 1992 ، صفحة 65) ، و ذلك باعتبار يوم داحس و الغبراء أشهر و أطول هذه الأيام من جهة و لازتباطها بأعز ملوك العرب كليب و بأول من هلهل الشعر المهلهل أخو كليب و تكون الرواية للأيام دائما عند المحدثين متعلقة بأبي عبيدة ، حتى غطى ذكره على ذكر جميع الرواة ، و أغلهم يجمعون على أنه ((هو الذي روى أخبار أيام العرب التي يتناولها المؤرخون إلى اليوم ... كان كثير الاشتغال بالتأليف ، فذكر له صاحب الفهرست مائة مؤلف وخمسة في موضوعات شتى في القرآن واللغة والأمثال والفتوح والأنساب والمثالب وبيوتات العرب و أيامهم و التراجم و غيرها)) (جورجي زيدان ، 1992 ، صفحة 406) و هو ما يمثل ثقافة واسعة و سعة اطلاع منقطع النظير ، و نشاط فكري لا مثيل له .

لقد استحوذ مجال التاريخ على النصيب غير القليل من الاهتمام بهذه الأيام ، نظرا لما تحتوي عليه من حقائق تاريخية تتعلق بتاريخ الحروب العربية في شبه جزيرة العرب ، حتى أمكن القول: ((إن قراءة أيام و حروب العرب في الجاهلية و الإسلام ، هو نفسه قراءة في تاريخ العرب في الجاهلية و الإسلام ، وبالإضافة إلى كون أيام العرب مصدرا أساسيا من مصادر التاريخ ، فإنها ينبوع من ينابيع الأدب ، و نوع طريف من أنواع القصص ، بما اشتملت عليه من الوقائع و الأحداث ، و ما روي في أثنائها من نثر و شعر ، و ما قيل من خلالها من مآثور الحكم و

بارع الحيل ، و مصطفى القول و رائع الكلام ، فهي توضح شيئا من العلاقات التي كانت قائمة بين قبائل العرب نفسها ، و بين العرب و غيرهم من الأمم ؛ كالفرس والروم ، و هي في أسلوبها و بيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب و عاداتهم و شأنهم في الحرب و السلم والاجتماع و الفرقة و الفداء و الأسر ، و هي أيضا تظهر فضائلهم و شيمهم ؛ كالدفاع عن الحرم ، و الوفاء بالعهد ، و الانتصار للعشيرة ، و حماية الجار و الصبر في القتال)) (ابراهيم شمس الدين، 2002، صفحة04)، وهو ما يسمح بإشراك الدرس النقدي و الأدبي في الاستحواذ على النصيب الأوفر من الاهتمام الأدبي و النقدي بهذه الأيام ، و هو ما عيناه بالإشارة إلى ما رافق و صاحب هذه الأيام و رواية قصصها من أدب رفيع شعرا أكان أم نثرا و ما تضمنته من أخلاق عربية و شيم تجمعها المروءة مدح العربي أو رثي بها ، و أخرى يكرهها العربي هجي بها ، كما أسفرت عن إعلان لذوقه و تفكيره و مجمل تحركاته و نشاطاته.

و ما كان الدرس الأدبي ليعتني بالقصة الحربية و البطولية (الأيام) لولا الطابع الأسطوري التخيلي فيها ، و لولا ما رافقها من شعر و بيان تعبير ، و لولا ما تكللت به ي سردها للأحداث من جمالية و شعرية عبرت عن البيان العربي و الفصاحة العربية ، و لذلك كانت ((للقصة الجاهلية – فضلا عن قيمتها التاريخية التي أثبتناها – قيمة فنية . فهي موجزة ، سريعة الخطى ، عليها من عذوبة الطفولة والسذاجة و الحماسة البدائية ما يروق و يشوق ، و فيها من البداهة و الانطلاق ما ينسي ما فيها من كثافة ذكر الأسماء و من ضعف الترتيب و من إطالة المرويات الشعرية، و ما إلى ذلك من عيوب في القصص)) (حنا الفاخوري، 1992، صفحة122) تستحق من الباحث الأدبي أو الناقد الأدبي استكشاف تقنيات هذه القصة و الموازنة بينها وبين ما جاء بعدها من أشكال السرد و القص العربي كالمقامة و الحكايا عند الجاحظ و عند ابن المقفع إلى غير ذلك ، و لم لا بينها و بين القصة العربية الحديثة و المعاصرة إن رام بعضا من التمحلات غير المضرة (من منظور البعض) من مد خيوط المرجعية

للقصّة العربية الحديثة إلى التراث السردّي العربي ن كما هو حاصل عند الدارسين العرب اليوم.

و لم تكن السير الجماعية هي الحاملة الوحيدة للسرد و لفن القص من بين فنون النثر بل وكان الوعظ (الخطب) متضمنا قصصا الأفراد و الجماعات و سيرهم من الأنبياء و الصالحين و حتى الطالحين من الأمم السابقة و ما خطبة الرسول التي يذكر فيها قوما ركبوا سفينة ... إلا مثلا على ذلك مجهولين أم معلومين ، و عليه فقد دخل السرد النثر بجميع أجناسه : خطبة و وصية و مقامة و غيرها.

يعدد لنا ريجيس بلاشير في الباب السادس من كتابه تاريخ الأدب العربي " المواد الأولى لتأليف نثر عربي ، الأدب القصصي حتى حوالي 25 هـ / 742 م " العديد من الأشكال السردية القصصية القديمة عند العرب ومنها: القصة الخرافية ، الأسطورة البطولية ، الأسطورة التعليلية ، تدوين مساوي الرجل ومحاسنه ، الحب ، القصص الطريفة ، قصص الشطار والأذكىاء ، القصص الغرامية ، التعبير عن المثل الأخلاقية و الحكمة و التجربة ، الأقوال المأثورة و الأمثال و الحكم ، القصة على ألسنة الحيوان ، الحكمة المثلية و الحكاية التقوية ظهور حب استطلاع شبه تاريخي ، العصور القديمة ، حكايات البدو شبه التاريخية ، الحديث .. (رعيم بلاشير ، 1982 ، صفححة 853)

لقد غدا واضحا و متينا ذلك الحزن الجمالي ذو الطابع القصصي و السردّي الذي يكتنف قصص الأيام العربية في الجاهلية و الإسلام ، و إن كنا هنا نركز على الأيام الجاهلية ، فهي من باب السرد و القص ، ((ثم هي في أسلوبها القصصي و بيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب و عاداتهم و أسلوب الحياة الدائرة بينهم ، و شأنهم في الحرب و السلم ، و الاجتماع و الفرقة ، و الفداء و الأسر ، و النجعة و الاستقرار ... و لو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جملته و تفصيله ، و بخاصة ما كان في الفخر و الحماسة و الرثاء و الهجاء ، فإنك تجده قد ارتبط بهذه الأيام ارتباطا تاما)) ، بل هي النص الحاضر / الغائب في الشعر الأموي في أبرز ظواهره و هي ظاهرة النقائص ، مثلما

سنلاحظ ذلك في مرويات أبي عبيدة لأيام العرب المثبتة و المقيدة في نقائص جرير و الفرزدق له.

لقد يقول قائل : لما لم يطلقوا على هذه الحروب اسما آخر غير هذا الإسم (الأيام) ؟
والجواب يشبه إلى حد بعيد السبب في تسمية المقامات بالمقامات و المثل بالمثل و ما إلى ذلك من فنون العرب النثرية، و الجواب في مثل هذا السؤال عن الأيام أنهم (العرب) ((كانوا يسمون حروبهم ووقائعهم أياما، لأنهم كانوا يتحاربون نهارا، إذا جنهم الليل وقفوا القتال حتى يخرج الصباح و أيامهم و حروبهم كثيرة... و تسمى هذه الأيام غالبا بأسماء البقاع و الآبار التي نشبت بجانبها... و تسمى بأسماء ما أحدث اشتعالها)) (شوقي ضيف، د. ط، صفحة 65) و هو ما يحيلنا إلى نقد آخر معتمدا على دلالة أسماء المواقع و الأماكن و الأعلام سواء للنصوص الحكائية السردية أو لما جاء في خضمها من أشعار تضمنت أسماء الأماكن هذه، و هو ما يمكن أن يطلق عليه بالنقد الطبونيمي.

هذا وإن بدا كتاب " أيام العرب قبل الإسلام " لأبي عبيدة بجمع و تحقيق الدكتور عادل جاسم البياتي (أبو عبيدة، عادل جاسم البياتي، 1976، صفحة 397)، و هو النسخة التي يعول عليها بحثنا إلى جانب كتاب النقائص نقائص الفرزدق و جرير لأبي عبيدة، أقول بدا قليل الحجم وليس بالضرورة قليل تقرير و وصف العنف، و هو كذلك في الحقيقة، فهو لا يزيد عن مائة و ستين صفحة (160)، أي من صفحة 397 إلى صفحة 558 أي حوالي مائة و ستين صفحة توزعت على: يوم خزار، يوم البردان، يوم الكلاب الأول، يوم الكلاب الثاني و الصفقة، يوم منعج (وهو وما يليه من أيام عامر و غطفان)، يوم بطن عاقل، يوم رحران، يوم الخربة، خير الحارث و عمر بن الإطناية، نهاية الحارث بن ظالم، أيام بكر و شبان (البسوس)، و يوم القريتين. وإنما كانت المدونة التي بين أيدينا تضيف إلى العنوان الأصلي لها " كتاب أيام العرب قبل الإسلام " لأبي عبيدة، عبارة " ملتقطات من الكتب و المخطوطات "، ثم تضيف عبارة " القسم الأول ". مما يوحي بالضياح و النقص الذي لحق هذا الكتاب لأبي عبيدة، و تتم ما يمكن أن

يتصور من نقص لعملية الجمع المرتكزة على ما توفر وتيسر من مضان الأدب الناقل عن هذا الكتاب غير المكتمل لأبي عبيدة.

وتضيف المدونة إلى هذه العناوين (الرئيسة والثانوية التوضيحية) عبارة أخرى وهي "دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية"، وهي التي استنفدت من الكتاب (المدونة) قرابة الأربعمئة صفحة وبالضبط 396. والكتاب جاء في 564 صفحة من القطاع المتوسط ولتقطع منه أيضا الملخصات بالإنجليزية للأيام العربية، ثم الفهارس والتعريف بمؤلف الكتاب (البياتي) في نهاية الكتاب من صفحة 559 إلى نهايته. ولذلك سيكون مسرح اشتغالنا على قرابة المائة والستين صفحة بما احتوت عليه من أيام سواء أكانت سردا ونثرا أم كانت شعرا مستشهدا به على الحوادث والوقائع والأيام الحروب العربية.

ويحيلنا محقق وجامع هذا الكتاب وهو الدكتور عادل جاسم البياتي إلى المصادر الأولى التي تناولت الإشارة إلى كتاب الأيام لأبي عبيدة، وهو كتاب ابن النديم "الفهرست"، والذي ورد فيه ذكر مؤلف "أيام العرب"؛ يقول ابن النديم: ((كتاب الأيام الكبير ألف و مئتا يوم، كتاب الأيام الصغير، خمس وسبعون يوما، كتاب أيام بني يشكر وأخبارهم، كتاب أيام بني مازن وأخبارهم... كتاب القتال، كتاب ابني وائل...)) (ابن النديم، 1985، صفحة 244) وهو ما يعني تضلع أبي عبيدة معمر بن المثنى في التأليف في هذا الموضوع، ويظهر هذا التضلع من خلال التعدد في المؤلفات التي تتضمن نفس الموضوع عنده وبأحجام مختلفة وهو ما يعني أهمية هذا الموضوع.

وسنطلق في تتبع هذه الأيام في كتب الأدب العربي القديم كعلامة على النقد من خلال تتبع الدرس الأدبي لها من حرب بني وائل (حرب البسوس)، فلقد كان يوم البسوس بين الحيين من وائل بكر وغلب أكثر الأيام ذكرا عند العرب لاتصالها ببكر وغلب من جهة (من مضر) ولارتباطها بالشعر الكبير الذي قيل فيها، ولذلك كان اهتمام النقاد بيوم البسوس من وجهة النظر النقدية للشعر الذي قيل فيه وفيها الزير سالم (المهلل بن ربيعة التغلبي) أو ما تعلق

منها بالملوك ، ككليب و الزباء ، يحكي الجاحظ عن الزباء بنت عمر في كتابه المحاسن والأضداد ولا يعلق على القصة البطولية ، وإنما يوردها للدلالة على موضوع ما (الجاحظ ابوعثمان ، 1969 ، صفحة 151-152).

في الشعر و الشعراء لابن قتيبة يتحدث ابن قتيبة عن المهلهل بن ربيثة التغلبي ((... أمرهم أن يردوا كليباً و قد قتل و أعلمهم أنه لا يرضى بشيء غير ذلك ، و كان مهلهل القائم بالحرب و رئيس تغلب ، فلما كان يوم قضة ، و هو آخر أيامهم)) ثم يحكي قصة أسر الحارث بن عباد المهلهل بن ربيعة وهو لا يعرفه و كيف أنجى نفسه (ابن قتيبة ، 1986 ، صفحة 186-187).

2. خلاصة النقد المنهجي العربي القديم (ابن رشيق) ترى في سرد الأيام العربية ضرورة نقدية (معياراً و موضوعاً):

ابن رشيق القيرواني من النقاد الذين أولوا أهمية كبرى للأيام في كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده ففي الجزء الثاني من الكتاب يذكر لنا الجاحظ باباً كاملاً سماه باب في ذكر الوقائع و الأيام و يضم زيادة على غزوات النبي (ص) ستاً و خمسين يوماً من أيام العرب ففي الجاهلية امتدت ما بين ص 200 و ص 220 على مدار العشرين صفحة من الجزء الثاني و هي على التوالي أيام : (إراب - نعف فشاوة - نجران - الصمد - طخفة - المروت - مليحة - اللوى - الصليفاء (الصلعاء) - الهباءة - عراعر - الفروق - شعب جبلة - أقرن - زباله - جدود - الكلاب الأول - الكلاب الثاني (الشعبية) - حر الدوابر - ذي بيض - عاقل - عينين - قلبى - بزاحة - إضم - نقا الحسن - أعيار - رحرحان الأول - رحرحان الثاني - ضربة - النصار - الصرائم - الغبيط - ذي نجب - خزازى - ملزق - الونددة - فيف الريح - ذي بهدى - البشر - الرغام - الهراميت - الوقيط - جزع طلال - أواره الأول - أواره الأخير - زرود الأول - زرود الآخر - تثليث - ذي علق - العذيب - الصفقة (المشقر) - ذي قار - الفجار الأول - الفجار الثاني - الفجار الثالث - الجفار - الصريف) ، و لكن الذي

يعيننا هو تقديم ابن رشيقي لهذه الأيام بقوله : ((قد أثبت في هذا الباب ما تأدى إليّ من أيام العرب وقائعهم ، مستخرجة من النقائض وغيرها ، ولم أشرط استقصاءها ، ولا ترتيبها: إذ كان في أقل مما جئت به غنى ومقنع ، ولأن أبا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرت: فإنما هذه القطعة تذكرة للعالم ، وذريعة للمتعلم ، وزينة لهذا الكتاب ، ووفاء لشرطه ، وزيادة لحسنه ؛ إذ كان الشاعر كثيرا ما يؤتى عليه في هذا الباب ، وأنا أذكر ما علمته من ذلك في أقرب ما أقدر عليه من الاختصار إن شاء الله تعالى بعد أن أقدم في صدره أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقائعه مع المشركين ؛ لأنه أولى بالتقديم ، وأحق بالتعظيم ، ولما أرجوه من بركة اسمه ، وافتتاح القصص بذكره)) (ابن رشيقي القيرواني ، صفحة 198-199) و يورد ابن رشيقي هذه القصص كلها تقريبا عن ما رواه أبو عبيدة ، فرواياته هي الأثمن والأقدم عند ابن رشيقي والمعاصرين له ، وإن كان في بعض الأحيان يعارض هذه الروايات بروايات أخرى على عادة المنهج النقدي عند ابن رشيقي ، والملاحظ أن في هذه النصوص السيرية التاريخية ، وإن كان فيها التخييل والعنصر الأسطوري بارزا ، لا يتدخل الناقد ابن رشيقي فيها ولا يبدل بدلو أي موقف له ، مكتفيا بالرواية والرواية المغايرة

هذا والهدف عند ابن رشيقي هو الهدف الذي لأجله رويت أشعار الجاهلية في الإسلام وهو العظة والمعرفة والاستفادة من مروءات العرب وأخلاقهم الفروسية ، ولعل هذا هو ما حدا بأبي عبيدة أن يروي هذه الأيام ويجعل لها متبا متنوعة (المعرفة والعظة) والمعرفة من باب التاريخ كما نعلم ، ولذلك قال جامع كتاب أيام العرب لأبي عبيدة (عادل جاسم البياتي) عن مصادر رواية أبي عبيدة في كتب الأدب والتاريخ النقائض والأغاني والعقد والفاخر وشرح المفضليات وشرح الحماسة والأمثال والكامل في التاريخ ونهاية الإرب وخزانة الأدب وغيرها ما نصه : ((فهذه الكتب أثبتت غير قليل من رواية أبي عبيدة ، وأما المصادر الأخرى فجعلها يختصر الرواية ، ويسوق الأخبار بعبارة أخرى مغايرة لعبارة أبي عبيدة)) (ابو عبيدة ، 1976 ، صفحة 19) ، بل وهذه المصادر المختصرة للأيام اختصرتها أصلا عن أبي عبيدة .

لعله يقصد ابن رشيق ففي العمدة وغيره ممن اختصر الأيام كابن عبد ربه في العقد الفريد و غير ذلك.

و يتراوح حكي ابن رشيق لهذه الأيام ما بين القصة و بين تعليقه عليها ما بين السطرين و30 سطر كما فعل مع يوم " شعب جبلة " المهم في تناول ابن رشيق لأيام العرب ذكرها من خلال منتصرها مع ذكر الزعيم ، كأن يقول عن يوم " إراب " لبني ثعلبة بن بكر ، رئيسهم الهذيل بن حسان و كأن يقول عن يوم " نعف فشاوة " لبسطام بن قيس رئيس بني شيبان ، على بني يربوع ... و يوم نجران للأقرع بن حابس في قومه بني تمين على اليمن ... كما يذكرها (الأيام) بأسمائها المختلفة كما فعل رحمه الله مع ((يوم " الصمد " و هو يوم " طلح " و هو يوم " أود " و يوم " ذي طلوح " كلها يوم واحد، لبني يربوع على بني شيبان و رئيسهم الحوفزان ، ورئيس اللهازم أبحر بن بجير العجلي .

يوم " طخفة " و هو أيضا " يوم " ذات كهف " و يوم " خزاز " في قول بعضهم ، لبني يربوع و البراجم على المنذر بن ماء السماء ، أسروا فيه أخاه حسان ، و ابنه قابوس ، و جرّت ناصية قابوس، وكان ذلك بسبب إزالة الردافة عن عوف بن عتاب الرياحي)) (ابن رشيق القيرواني،صفحة201). و ما إيراد ابن رشيق لعبارات من مثل " و هو أيضا " كدلالة على تعد الأسماء كزيادة على رواية أبي عبيدة و عبارة " في قول بعضهم " كدلالة على الإتيان بالرأي و مقابلته بالرأي الآخر ، إلا نزوعا نحو تأكيد الدرس و النقد من حيث اهتمامهما بهذه الأيام كحقائق و كنصوص متغايرة الرواية أو متنوعة لغة الرواية.

و يبدو أن مصدر ابن رشيق أبو عبيدة في حديثه عن يوم " شعب جبلة " فهو يقول في أثناء حديثه عن هذا اليوم (شعب جبلة): ((قال أبو عبيدة : كانت عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربعة ، و يوم شعب جبلة و يوم ذي قار)) (ابن رشيق القيرواني،صفحة203) وهو ما وجدناه عند الكثير من الكتب التي أوردته بحرفه منسوبا إلى أبي عبيدة.

و يبدو أن ابن رشىق لا يكتفى برواية أبى عبىدة من خلال اعتماده على قرائن لفظية من مثل : وقيل ، و بعدها بل الاستدراكية النافية لما قبلها و هو قول أبى عبىدة ، يقول ابن رشىق عن يوم " شعب جبلة " و من هو زعيم الرباب ، فىقول يعنى من غير قول أبى عبىدة ، ((وقيل : بل عمرو بن الجون و حسان بن مرة الكلبي أخو النعمان بن المنذر لأمه)) (ابن رشىق القىروانى،صفحة203)، و من مثل قوله : ((وقال غير أبى عبىدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن الحارث بن عمرو بن أكل المرار(...)) (ابن رشىق القىروانى،صفحة203-204) و حتى حينما تحدث ابن رشىق عن يوم " شعب جبلة " ختم حديثه عن هذا اليوم بملاحظة فى غاية الأهمية تتعلق بحقيقة الخبر بالزيادة أم بالنقصان أم بالخلاف فى التفاصيل كأن يقول : ((و كان يوم جبلة قبل الإسلام بسبع و خمسين سنة ، و قبل مولد النبي صلى الله عليه و سلم بسبع عشرة سنة ، و فى يوم الشعب ولد عامر بن الطفيل ، هكذا روى محمد بن حبيب عن أبى عبىدة ، و روى عنه غيره خلاف ذلك)) (ابن رشىق القىروانى،صفحة205)

و هنا نوع من النقد المقارن يسلطه ابن رشىق الناقد على خبر رواه أبو عبىدة و يقابله ابن رشىق برواية مخالفة و لم يذكرها.

دلالة أخرى على مجهود ابن رشىق المتمثل فى مقابلة الآراء بعضها ببعض نلمسه حينما يتحدث ابن رشىق مثلا عن يوم " ذي بيض " فىورد الأسماء المختلفة، و أحيانا المتعددة لهذا اليوم ، فىقول ابن رشىق عن هذا اليوم : ((وزعم قوم أن هذا اليوم يوم " الصمد ")) (ابن رشىق القىروانى،صفحة206)

و يقصد بـ " القوم " الرواة الذين شاركوا أبى عبىدة فى رواية أيام العرب.

فى يوم " إضم " يرويه ابن رشىق عن أبى عبىدة ثم يعلق فىقول : ((و زعم قوم أن هذا اليوم هو يوم " بزاحة " و قال آخرون : بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزىقيا ، و زعم غيرهم أيضا أنها مع مزىقيا نفسه لا مع ولده ، و الله أعلم)) (ابن رشىق القىروانى،صفحة208)

فهذه العبارة الأخيرة " و الله أعلم " دلالة على ورود احتمالات أخرى و أن ما رواه ليس هو الحقيقة المطلقة . و في يوم رحرحان الثاني يقول : ((و كان بين يوم رحرحان و غزوة جبلة سنة واحدة)) (ابن رشيقي القيرواني، صفحة 209)
و في معرض حديثه عن يوم النَّسار يقول : ((وقال آخرون : إنما غضبوا على سعد لما أنهب المعزى بعكاظ ، فلحق ببني أمه ولد معاوية بن بكر و هوازن ... و هذا يوم " المشاطرة " ويوم "النسار " و هو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية ، و بنو ضبة تزعم أن هذا اليوم قبل يوم جبلة ، و أبو عبيدة لا يشك أنه بعده)) (ابن رشيقي القيرواني، صفحة 210) . و في يوم الغبيط يقول ابن رشيقي : ((وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم " الأياد " ويوم " العظالي " سعي بذلك لأن بسطام ابن قيس و هانئ بن قبيصة و مقرون بن عمرو و الحوفزان بن شريك تعاضموا على الرياسة؛ و قال مرة أخرى : لم يشهد الحوفزان يوم العظالي، قال : وهو أيضا يوم " الإفافة " و يوم " أعشاش " و يوم " مليحة ")) (ابن رشيقي القيرواني، صفحة 211) وهو ما يثبت التدخل الواضح لابن رشيقي في مسار مرويات أبي عبيدة ، كنشاط شخصي نقدي لابن رشيقي في مسألة رواية تفاصيل هذه الأيام .

هذه المرة ، و أثناء الحديث عن يوم خزازي يورد ابن رشيقي عبارة " و اختلف فيه " و عبارة " فقال قوم " و عبارة " و قال آخرون " و عبارة " وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء " ، و عبارة " و الذي ثبت عنده " ، وهي عبارات تدل لا محالة على الجهد الواضح لابن رشيقي في التعليق على هذه الأيام بالمقابلة ، وهي من باب الدرس و النقد . يقول ابن رشيقي : ((يوم " خزازي " و يقال " خزاز " و اختلف فيه : فقال قوم : كان رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة ، و قال آخرون : رئيسهم زرار ابن عدس ، و قال آخرون : بل ربيعة بن الأحوص ، وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك ، و الذي ثبت عنده أنه قال : هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف من هو منهم ، و أما ربيعة فيقول : لا شك أنه يوم " خزاز " لكليب بن ربيعة على مذبح و غيرهم من اليمن، و كان بعقب يوم " السُّلان " ، فجمع كليب جموع ربيعة ، فاقتتلوا ، فانهزمت مذبح و الذين معهم

من اليمن)) (ابن رشيق القيرواني، صفحة 212) ، و الملاحظ أن أكبر عبارة تدل على الجهد الواضح لابن رشيق في التدخل حتى في الحقيقة التاريخية من خلال إيراده لعبارة " لاشك " و هي من عنده لا محالة.

في يوم فيف الريح يقول ابن رشيق : ((يوم " فيف الريح " ، و رأيته بخط البصري " فيفا " مقصورا في مواضع من كتاب نوادر أبي زيد الكلابي .

و أنشد أبو زياد لعامر بن الطفيل :

و بالفيفا من اليمن استثارت قبائل كان ألهم فخورا

الفيفا : جبل طويل من جبال خثعم يقال له : فيفا الريح ... و زعم عبد الكريم و غيره أن يوم فيفا الريح هو يوم " طلع ")) (ابن رشيق القيرواني، صفحة 213-214) ، فبالإضافة إلى عبارة " و رأيته بخط البصري " و عبارة " مقصورا في مواضع من كتاب نوادر أبي زيد الكلابي ، ثم يأتي ابن رشيق ببيت شعري لعامر ابن الطفيل أورده أبو زياد . و هو جهد دراسي من مجهودات ابن رشيق النقدية المتعلقة بالمتن السرد القصصي لأيام العرب في الجاهلية.

إن استحضار الشعر البعدي (زمنيا) للتدليل على دلالة من دلالات الأيام العربية الجاهلية منهج سار عليه حتى أبو عبيدة في كتابه المتعلق بالنقائض ، و هو ما فعله أيضا ابن رشيق حين يقول : ((يوم " ذي يهدى " لبني يربوع على تغلب ، أسروا فيه الهذيل ، قال جرير للأخطل يعيره بذلك :

هل تعرفون بذي يهدى فوارسنا ... يوم الهذيل بأيدي القوم مقتسر)) (ابن رشيق القيرواني، صفحة 214)

هذا و إن كان ابن رشيق قد أورد لنا عدة أيام في الإسلام و استشهد عليها شارحا بأبيات لشعراء الإسلام قيلت فيها ، و أما أن يورد لنا أشعارا قيلت لشعراء بني أمية في يوم من أيام الجاهلية فهذا من عند الناقد استضاءة نقدية و ليس من مجمل ما روي في ذلك اليوم.

في يوم "أوراة" الأخير ، يحكي ابن رشيق عن عمرو بن هند حين حلف ليقتلن مائة من بني دارم وقد قتل منهم تسعا وتسعين و أتم المائة برجل من البراجم يقول ابن رشيق : ((وفي حكاية أخرى أنه أحرقهم ، و بذلك تشهد مقصورة ابن دريد و شعر الطرماح ، و زعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرقهم فقد أخطأ ، و ذكر له شعر الطرماح ، فقال : لا علم له بهذا ، و استشهد بقول جرير :

أين الذين بسيف عمرو قتلوا ... أم أين أسعد فيكم المسترضع)) (ابن رشيق القيرواني،صفحة216) .

و تظهر هنا عبارة " و في حكاية أخرى " و عبارة " و زعم أبو عبيدة " للدلالة على التصرف الذي يحدثه ابن رشيق في رواية هذه الأيام الحربية.

في يوم تثليت يذكره ابن رشيق ، و يعلق عليه في الأخير مضيفا قوله : ((و في ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية، وهي إحدى المنصفات)) (ابن رشيق القيرواني،صفحة217) و لم يذكر أحد من الرواة صنيع العباس بن الأحنف قصيدة ذات صلة بيوم تثليت هذا غير ابن رشيق ، فهذه الفكرة من بنات أفكار ابن رشيق و من اكتشافاته.

في يوم الفجار الأول و اختلاف التسمية بين ما عند ابن قتيبة راويا و أبي عبيدة راويا ثانيا . يقول ابن رشيق : ((و ليس هذا الفجار عند ابن قتيبة ، و قد ذكره أبو عبيدة)) (ابن رشيق القيرواني،صفحة218) و نفس الشيء يفعله ابن رشيق مع يوم " الفجار الثاني " حيث يقول : ((و ليس هذا الفجار أيضا عند ابن قتيبة ، و قد ذكره أبو عبيدة))، (ابن رشيق القيرواني،صفحة219) فما فعله مع يوم الفجار الأول كرره مع يوم الفجار الثاني.

و لست أدري أنقد النص عند ابن رشيق نقد للخبر أم هو نقد للنص المروري بحرفه والذي يبدو أن ابن رشيق يدون عن أبي عبيدة و ينقد بغيره ، و هو لا محالة من النقد والملاحظة الأخيرة أن ابن رشيق مغرم بالحرب بين الأخطل و جرير فكثير من الأيام التي يذكرها إلا و يذكر معها ما عير به الأخطل جريرا والعكس .كما فعل مع يوم " ذي يهدى " و يوم " جزع طلال " و



لهذا يقول ابن رشيق في خاتمة هذا الكلام كله: ((و قد أوفيت بما عقدت به في صدر هذا الكتاب من إثبات لما انتهى إلي من أيام العرب ، مجتهدا في اختصارها ، بريئا مما وقع فيها من الاختلاف، وإنما عهدة ذلك على الرواة)) (ابن رشيق القيرواني، صفحة220). مما يعني تعدد الروايات في رواية الأيام ، و عليه يمكن القول أن أول النقد عند ابن رشيق الاختصار ثم التعليق . وليس ابن رشيق وحده من مس النص السردى للأيام بالاختصار، وإنما فعل ذلك إلى جانبه ابن عبد ربه كما سنرى فيما سيأتي.

و إذا كان الزجاجي في أماليه يعلق على قصة الزباء بنت عمرو ملكة الجزيرة (تذمر) فإن تعليقه ليس على القصة وإنما على بيتين من الشعر وردا في القصة من حيث إعراب بعض كلماتها من وجهة نظر نحوية و معجمية و لغوية عن ابن نفطويه عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي و هما قول الشاعر :

مال الجمال مشيها وثيدا أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال قبّصا قعودا)) (ابوالقاسم الزجاجي، 1987، صفحة166) ابن سلام الجمعي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" و الوضع في الطبقات نقد ذكر كثيرا أيام العرب التي تحدث عنها أبو عبيدة معمر بن المثنى ، لم تمتد يد ابن سلام – كما الكير من نقاد العرب القدماء – بالنص السردى الأيام أو الذي سميناه السيري جماعي، وهو المتعلق بملاحم العرب ، وإنما رووها كحوادث مكملة و مساعدة لكشف معنى بيت شعري ولذلك لم يكن هذا النص النثري عندهم أساسيا بل مجرد نص مساعد لتجلية معنى او كشف فائدة علمية أو بيان دلالة شعرية ، أو تعريف بشخصية إبداعية ، و أغلب هذه الشخصيات هم من ضمهم كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمعي مثلا. أو كما يقول رجبس بلاشير : ((إن الصفة الغالبة على هذه الآثار هي أن المؤلف يوجه عنايته بصفة خاصة إلى الأخبار التي من شأنها توضيح الإشارات الواردة في الأشعار دون أن يهمل في الوقت ذاته قيمة النصوص الشعرية من الناحيتين الأدبية أو اللغوية ، و تلك ظاهرة ملازمة للرواية الشفهية في المحيط

البدوي ففي خلافة الوليد الثاني وجدت كتب في تاريخ القبائل العربية ككتاب أسد وطيء ... الخ و يظهر أن حمادا اعتمد على مثل هذه المصنفات ، ولم يعثر على الكتاب الذي جمعه راوي بني أسد الفقعسي في أواخر القرن الثاني للهجرة ، (أوائل القرن التاسع للميلاد) ، كما أنه لم يعثر على مصنف بني نوفل ، أو مصنف الأمراء و غيره من مؤلفات ابن الكلبي معتمدا على المعطيات الشفهية التي نقلها أبوه ، ثم إن كتاب " أخبار خزاعة " للمدائني ما يزال مفقودا ، و كذلك كتاب " أخبار طيء " للهيثم الذي يدل عنوانه على أنه كتاب أخبار ، مما يفرض احتواءه على شواهد شعرية ، و قل مثل ذلك عن الكتب المفقودة مثل كتاب " كلب و مزينة و كلاب " و غيره مما اعتمد عليه الأمدي (المتوفي سنة 371 هـ / 981 م) المليئة بالشواهد الشعرية)) (رجبى بلاشير ، 1986 ، صفحة 147) بل و تارة أخرى نجد الشعر أقل أهمية من الخبر أو القصة كما عند أبي عبيدة مثلا في أيام العرب . كما ((و يؤلف شعر الحرب في " أيام العرب " جزءا من الخبر ، كما يشكل شعر الحرب ، إلى حد ما ، عناصر نوع من الشعر الملحمي Greste مركزة الصدمات المشهورة كيوم رحرحان حوالي سنة 580 م في أواسط شبه الجزيرة . أو يوم ذي قار حوالي سنة 60 هـ بين عرب الفرات والفرس .)) (رجبى بلاشير ، 1986 ، صفحة 427) و هذا الجزء قد يجعل الدارسين و النقاد يشكون في نسبته إلى قائله ، بالنظر إلى ما شاع من كذب عند بعض الرواة كخلف الأحمر وحماد الراوية ، و لاسيما حين يتعلق الأمر بشعر الحرب و الحماسة و ما يمثله من فخر بالقبيلة و بالفروسية ، وهو الدافع الذي جعل القبائل تدفع لحماد أو خلف فينشئ بمقدرته الشعرية و تجربته البارعة في أساليب الشعر الجاهلي أن يكتب أشعارا و ينسبها لبعض شعراء القبائل حتى يزيد فخرها و مجدها . و لعل ما تزيد على عدي بن وائل (المهلهل سالم الزير) من هذا القبيل لتعلقه بقبيلة تغلب ، حتى رأينا رجبى بلاشير يقول: (إن المقطوعات المنسوبة للمهلهل مدعاة للشك فيها ، و هي ذات علاقة بملحمة حرب البسوس شبه الأسطورية)) (رجبى بلاشير ، 1986 ، صفحة 258) و لعل تعلقها بحرب البسوس ذات الطابع القبلي المرتبط بالحرب و الهزيمة و الانتصار و الكر و الفر و الضرب

والطعن هو ما جعل الشك يتسرب إليها. ((إنها حكايات دقيقة عن واقع النجعة والهجوم على موارد الماء في مواسم الجفاف ، والغارات و خطف النساء أو سرقة المواشي ، و الثأر الملاحق بعناد ضار و معارك يلتقي فيها معسكران من عدة مئات من المحاربين . و قد تولد من هذه الحكايات أدب قصصي هو " أيام العرب " وهي خليط من الحوادث تنتصب في وسطها بعض القمم . و تألفت في مطلع القرن السابع ملاحم مركزة حول واقعة أو شخص cycles و نجد بين تلك الملاحم المشهورة مجموعة الحكايات عن حرب داحس والغبراء ...)) (رجبس بلاشير، 1986، صفحة913) كمثال أول عن تفاهة السبب الذي تقوم لأجله الحروب العربية الجاهلية (سباق بين فرسين) و لتعلقه بقبيلتين كبيرتين كعبس و ذبيان ، و لكثرة ما قيل في هذه الحرب من شعر التحيز عند عنتره رمز التحرر من العبودية و رمز العزل العذري و رمز الشجاعة و القوة و أخلاق الفروسية ، إلى جانب ما قيل من الشعر المصلح أو المشجع للمصلح كما رأينا مع زهير بن أبي سلمى ، و الشعر كما يعلم الجميع مخلد للأحداث و محرك لها ، و منشط للاهتمام بها ، و كما رأينا مع حرب البسوس كمثال ثان أخذ الحظ الأوفر من الاهتمام لما سبقت الإشارة إليه من كثرة الشعر الذي قيل فيه ، ليس من قبل شاعر كالحارث بن عباد و إنما لما صدر عن أول من هلهل الشعر و هو المهلهل ذي العلاقة المباشرة باليوم ، فالملك القتيل كليب أخوه . و لا يجب أن ننسى قيمة ما يفعله الشعر إذا اهتم بحدث ما ، و أي حدث ، و أي شعر ؟ إنه شعر المعلقات عند عنتره بن شداد العبسي متضلعا و متحيزا و عند زهير بن أبي سلمى ساعيا للخير و مادحا رجال الصلح و عند امرئ القيس حفيدا لمن صنعوا الحدث ، و قبل ذلك عند عمرو بن كلثوم التغلبي شريكا في صنع الأحداث المشابهة.

3- هل من مكان في كامل المبرد باعتباره كاملا شاملا لسردية الأيام العربية ؟.

لقد اعتنى المبرد في الكامل برواية أيام العرب ، و منها يوم الفجار و كانت الغاية في ذلك شرح الشعر كأن يقول في شرح قول علقمة بن عبدة الشاعر :

زفت إليه قريش نعش سيدها

((و كان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار)) (أبوالعباس المبرد، 2004، صفحة239) ، و في هذه الرواية على قصرها عناية بذكر حقيقة تشظي الزعامة و القيادة عند العرب عامة و قريش خاصة يوم الفجار .

و كما ذكر يوم جبلة من خلال شرح بيت لجيرير بن عطية الخطفي و هو قوله :

ألم تر أنا بني دارم زرارة منا أبو معبد (ديوان جرير)

((و كان لقيط بن زرارة قتل يوم جبلة ، و أسر حاجب فنودي ، فزعم أبو عبيدة أنه لم

يكن عكاظي أغلى فداء من حاجب ، و كان أسره زهدم ، فلحقه ذو الرقيبة القشيري.)) (

أبوالعباس المبرد، 2004، صفحة347-348)

و يذكر أبو العباس المبرد عن تدخل عنصر الصعلكة و الصعاليك في الحروب العربية

الأيام من خلال الانتماء و العصبية القبلية مستخدما الرواية عن أبي عبيدة معمر بن المثنى و

مصدرا لها بعبارة " و زعم أبو عبيدة " فيقول : ((و زعم أبو عبيدة (معمر بن المثنى) عن

حدثه أن بكر بن وائل أزادت الغارة على قبائل بني تميم ، فقالوا : إن علم بنا السليك أنذرهم

، فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك ، فبصرا به فقصداه ، و خرج يمحص كأنه ضبي

، فطاردها سحابة يومهما ...)) (أبوالعباس المبرد، 2004، صفحة432)

و في التعليق على قول الزير سالم (المهلهل بن ربيعة التغلبي):

فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

يقول المبرد : ((قال أبو الحسن : يقال فلان زير نساء ، و تبع نساء ، و خلو نساء

؛ فكان كليب يقول : إن مهلهلا زير نساء لا يدرك بثأر ، فلما أدرك مهلهل بثأر كليب ، قال : أي

زير ! فرفع " أيا " بالإبتداء ، و الخبر محذوف ، فكأنه قال : أي زير أنا في هذا اليوم !)) (

أبوالعباس المبرد، 2004، صفحة439) و هو توضيح لورود اسم الزير في الحكاية من باب

الشرح أو الدراسة أو التوضيح أو التبيين أو النقد و لم لا ؟ .

نواصل مع المبرد في الكامل في اللغة و الأدب ، وبالضبط في شرح أبيات لعمر بن أبي ربيعة ومنها قوله :

و كم من قتيل لا يباء به دم....

يقول المبرد شارحا هذا الشطر لابن أبي ربيعة المخزومي : ((يقول : لا يقاد به قاتله ، وأصل هذا أنه يقال : أبأت فلانا بفلان ، فباء به ، إذا قتلته به ، و لا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كفاء للأول ، فمن ذلك قول مهلهل بن ربيعة ، حيث قتل بجير بن الحارث بن عباد فقيل للحارث - ولم يكن دخل في حرهم : إن ابنك قتل ، فقال : إن ابني لأعظم قتيل بركة إذ أصلح الله به بين ابني وائل ، فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : يؤ بشسع نعل كليب ؛ فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب ...)) (أبو العباس المبرد، 2004، صفحة452) و كم كان هذا الشرح مهما في حكاية هذه القصة ، و هي قصة قتل المهلهل لبجير بن الحارث بن عباد في خضم حرب البسوس بين بني وائل بكر و تغلب .

4. "طبقات الشعراء" لابن سلام يعيد كتابة السرد الشعري و السرد النثري.

نأتي بعد المبرد إلى ابن سلام الجمعي باعتباره ناقد و دارسا للأدب ، ففي طبقات فحول الشعراء ورد قوله : ((أخبرني سعيد بن عبيد ، عن أبي عوانة أنه قال : سمعت عامر بن عبد الملك يسأل قتادة عن أيام العرب و أنسابها و أحاديثها ، فاستحسنته ... و يروى عن بعض أصحابنا ، قال : رأيت راكبا قدم من الشام ، فأناخ على باب قتادة ، فسأله : من قتل عمرا و عامرا التغلبيين يوم قضة ؟ قال جحدر : فأعادوا إليه الرسول : كيف قتلها جميعا ؟ قال : اعتوراه ، فطعن هذا بالسنان و هذا بالرُّج ، فعادى بينهما . ثم رحل مكانه .

و كان أبو المعتمر الشيباني كثير الحديث عن العرب ، و عن معاوية و عمرو بن العاص و زياد و طبقتهم، و كان يقول : أخذته عن قتادة ، و كان أبو بكر الهذلي يروي هذا العلم عن قتادة)) (محمد الجمعي، صفحة62-63) و هو ما يعطينا انطبعا أن ابن سلام يعلي من شأن الروايات المصاحبة و الموازية لروايات أبي عبيدة معمر بن المثنى في هذا الشأن (الأيام) من

خلال إيراده لأسماء بعض الرواة ممن شهدت لهم الدوائر الرسمية والسياسية (الأمير عامر بن عبد الملك) بالثبوت في رواية الأيام و أعني بذلك قتادة الذي استحسن ابن سلام أحاديثه في الأيام ، و إلى جانبه أبو المعتمر الشيباني الذي وصف بالكثرة في الرواية عن العرب و عن الصحابة و إن كان هذا الأخير مصدره قتادة الذي كان مصدرا لراو آخر و هو أبو بكر الهذلي، و هاهنا لفتة طيبة من ابن سلام إذ وضعنا أمام صورة تعدد الروايات و أسماء هؤلاء الرواة و ما هو مصدرهم.

ومن كل هذا نلاحظ أن عند ابن سلام الجمعي النص الملحمي في شكل الخبر شارح ومساعد على النقد و ليس منقودا إلا فيما يندر ، و لذلك كان النص الملحمي القصصي يشرح الشعر الذي ورد فيه الإشارة إلى يوم من أيام العرب عند قريش فيما يتعلق بيوم الفجار أو عند غيرهم

و في شرح قول الفضل بن عبد الرحمن بن عباس يرثي زيد ابن علي بن الحسين (ض):

و كيف جمود عينك بعد زيد.....

يقول ابن سلام: ((و منه قول العرب : خرج (القوم) برأسين متساندين ، أي هذا على حياله و هذا على حياله و هو من قولهم : " كانت قريش يوم الفجار متساندين " ، أي لا يقودهم رجل واحد)) (محمد الجمعي، صفحة 76-77) فكانت الأيام تروى في جزئها و في كلها شارحة للشعر و لو جاء بعدها بقرون .

أحيانا ، و هذا أمر من الأهمية بمكان ، حين يريد ابن سلام الجمعي أن ينقد الشعر أو يفاضل بين شاعرين كما سنراه يفعل بين الشاعر خدّاش و الشاعر لبّيد بن ربيعة العامري ، و حين يفضل الأول على هذا الأخير نجده يستحضر لنا تعريفا بخدّاش هذا من باب التوضيح الذي هو من زمرة النقد (التعريف بالشاعر) فيقول: ((فخدّاش شاعر. قال أبو عمرو بن العلاء : هو أشعر في قريحة الشعر من لبّيد ، و أبي الناس إلا تقدمة لبّيد وكان يهجو قريشا، و يقال إن أباه قتلته قريش أيام الفجار)) (محمد الجمعي، صفحة 144) فعبرت هذه العبارة

الأخيرة عن حقيقة من هو خدّاش الشاعر ، و أنارت بذلك إنارة نقدية للسرد المتضمن شعرا ، وللشعر الذي يحتوي عليه سرد ، و لشعر هو من باب السرد أو تضمن حكاية سردية.

في شرح أبيات للفرزدق تضمنت إشارة إلى يوم النقا ، يقول ابن سلام : ((و يوم النقا : يوم قتل فيه بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين ، قتله ثعلبة بن سعد بن ضبة دون بكر ، و الغبيط : أسرت فيه يربوع بن بسطاما.

قال حاجب في حديثه : فلما أنشد جرير :

و ما شهدت يوم الغبيط مجاشع

قال الشيخ التعلبي : من المنشد ؟ قالوا : أحد بني الخطفي . قال الشيخ : و لا كليب و الأجلّ ما شهدت ، ما كنا إلا سبعة فوارس من ثعلبة بن يربوع)) (محمد الجمعي ، صفحة 184) و في هذا الكلام أيضا إضاءة حكاية لمعطى سردي أحال عليه بيت شعري للفرزدق ، و هذه الإحالة كما رأينا مع شعر النقائص الذاكر لأيام العرب هي إضاءة بعدية زمنيا.

في باب شعراء القرى يقول ابن سلام عن حسان بن ثابت : ((أشعرهم حسان بن ثابت . و هو كثير الشعر جيدة ، و قد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقئ.

و كان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام ، من سادة قومه و أشرافهم ، و المنذر الحاكم بين الأوس و الخزرج في يوم سميحة - و هو يوم من أيامهم مشهور ، و كانوا حكموا في دمائم يومئذ مالك بن العجلان بن سالم بن عوف ، فتعدى في مولى له قتل يومئذ ، و قال : لا أخذ فيه إلا دية الصريح ، فأبوا أن يرضوا بحكمه ، فحكموا المنذر بن حرام ، فحكم بأن هذر دماء قومه الخزرج ، و احتمل دماء الأوس ...)) (محمد الجمعي ، صفحة 215-216) ، وهنا نجد السرد عاملا رئيسا في تحديد شاعرية شاعر ما ، بل و قد تضمنت حكاية يوم من أيام العرب ، و هي حكاية سردية عتبه نقدية تمثلت في تفضيل شعري لحسان بن ثابت و تمثلت أيضا في إضاءة نقدية بالغة الأهمية تتعلق بالانتحال حيث أفادت بنحل الكثير من الشعر على حسان بن ثابت

وهو ما نجده أيضا في العبارة التالية التي تفضيل شاعر هو قيس بن الخطيم على حسان بن ثابت ، هذا الشعر (قيس) له ما له من الشعر في يوم من أيام العرب هو يوم بعثت . يقول ابن سلام : ((قيس بن الخطيم شاعر ، فمن الناس من يفضله على حسان شعرا – ولا أقول ذلك وهو الذي يقول يوم بعثت:

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمره ، فقرا غير موقف راكب (محمد الجمعي،صفحة228).

ما يزال الشعر عند ابن سلام مهتما بأيام العرب يستحضرها في قالب سردي شعري يجمع بين النوعين مهما كان زمن إنشائه و إن كان بعد أحداث أيام العلاب بقرون ، يقول ابن سلام : ((وقال ابن الزبيري لبني المغيرة بن عبد الله المخزوميين ، و كان لهم بلاء في الفجار ، و أمهم ريطة بنت سعيد بن سعد ابن سهم ، فقال :

ألا لله قوم ولدت أخت بني سهم

هشام و أبو عبد مناف مدره الخصم

و ذو الرمحين ، أشباك من القوة و الحزم

فهذان يذودان و ذا من كتب يرمي)) (محمد الجمعي،صفحة240)

و عن ضرار بن الخطاب في معرض شرح ونقد أبيات شعرية له يقول ابن سلام : ((و كان ضرار على بني محارب يوم الفجار)) (محمد الجمعي،صفحة252) فقد استفدنا من السرد الحكائي الثري لنقد السرد الشعري .بل واحتجنا إلى ذلك أيضا في شرح بيتين شعريين لجرير بن عطية الخطفي و ذلك في قوله :

أقين بن قين ، ما يسر نساءنا بذني نجب أنا ادعينا لدارم

هو القين و ابن القين لا قين مثله لفتح المساحي أو لجدل الأدهم

فيقول ابن سلام في شرح ألفاظهما: ((الجدل : الفتل . و الأدهم : الحبال ، نا أبوخليفة : كل من كان في عمله حديد فهو قين . بذي نجب : يوم التقت بنو حنظلة و بنو عامر ، إلا بني مالك بن حنظلة.)) (محمد الجمعي،صفحة391-392)

كما نعث مرة أخرى على امتزاج النقد للشعر بالحكاية السردية النثرية في شكل الحديث عن يوم من أيام العرب و هو يوم النخيل ، و نترك الكلام لابن سلام ، فقد قال محمد بن سلام في يوم النخيل((قال محمد بن سلام، فحدثني أبو عبيدة: أن مزاحم بن الحارث العقيلي كان رجلا غزلا ، و كان شجاعا ، و كان شديد أسر الشعر حلوه ، و كان مع رقة شعره صعب الشعر هجاء و صافا.

و قال في يوم أغار عليهم دهر الجعفي ، في قبائل مذحج و همدان ، و معه علقمة الخُعي فسبوا و غنموا ، و أصابوا إبلا كثيرة ، فاتبعتهم بنو كعب ثلاثا ، ثم رجع بعض القوم ، و مضى عقال بن خويلد من بني عقيل فجعل يندي أبنار الإبل ببوله ، ثم يري أصحابه البعر نديا ، و يقول لأصحابه : ما أقربكم منهم ! حتى ورد عليهم النخيل في يوم قانظ و رأس دهر في حجر جارية من بني بجلة تفلبه متوسدا قطيفة ، فكأن الجارية أحست نفسها بالطلب ، فجعلت تضفر شعره يهدب القطيفة ، فلم ينتبه إلا بالخيل ، فكان أول من لقي دهرا هبيرة بن النفاضة فضرب وجهه دهر بقوسه ، فهشم وجهه ، و لحقه عقال بن خويلد قطعنه فنثر بطنه ، فسال من بطنه البربر مطبوخا ، فقتلت جعفي و من كان معها في ذلك الجيش ، و هزمت هزيمة فاحشة)) (محمد الجمعي،صفحة770-772) و هي حكاية يوم من أيام العرب هو يوم النخيل جاءت كاستطراد ذو قيمة و أهمية نقدية لشاعر شارك مشاركة فعالة في أيام العرب و حروبها و بالذات هو يوم النخيل . و هو ما فعله ابن سلام أيضا و لكن بطريقة عكسية هذه المرة من خلال تعبير شاعر عن يوم من أيام العرب ، فكان اليوم هو الأصل و هو يوم الفلج ، و كان الشعر هو الفرع .يقول ابن سلام: ((وقال القحيف في يوم الفلج ، حين جاءهم صريخ بني كعب ابن ربيعة على بني عجل :

ديار الجي تضرهها الطّلال من الخافي بها أهل و مال)) (محمد الجمحي، صفحة 791-792)
ولهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتجاهل قيمة الشرح كآلية نقدية ذات قيمة كبرى
في نقد النص الأدبي الشعري و النثري على السواء ، و كما أسلفنا كان النص الملحمي العربي
السردى النثري شارحا للنص الشعري من قبل النقاد و الدارسين ، و مما بلغنا لأبي عبيدة
معمر بن المثنى كتاب النقائض ، أو كتاب نقائض جرير و الفرزدق ، و بما أن شعر النقيضة
كثيرا ما يسترجع الملاحم القبلية القديمة و إن كان الفرزدق و جرير من نفس القبيلة تقريبا
غير أن الحكاية الملحمية يستلهمها الشعر الفخري أكثر مما يستلهمها النص الهجائي في هذا
الكتاب، ربما في أهاجي جرير و البعيث أو الأخطل نجد الهجاء يستلهم الانتصارات و البطولات
الملحمية لقبيلة هذا على ذلك ، و لكن في نقائض الفرزدق و جرير نجد ذلك في الموضوع
الفخري بالدرجة الأولى .

أما و الحال هذه سيحتاج أبو عبيدة إلى ما كتبه في الأيام الكبير أو الصغير مما هو اليوم
مفقود ليشرح به الشعر المسترجع لهذه الأيام ، و هو ما سيمثل نصا ناظرا بالنقد لا منظورا
إليه كما رأينا مع غير أبي عبيدة من النقاد و الدارسين القدامى .

و قبل المشي مع أبي عبيدة في النقائض يمكن المرور مثلا على العديد ممن تناولوا موضوع
الأيام و منهم أبو علي القالي في الأمالي و في النوادر ((قال الأصمعي : كان فيمن غزا مع الأشعث
بن قيس يومئذ من بني الحارث بن معاوية كبش بن هانئ و القشعم بن الأرقم و بنو فزارة
فأسروا يومئذ مع الأشعث ، و كانت مراد قتلت قيس بن معد يكرب ، فجاء الأشعث نائرا بأبيه
فأسر فكان أسيرا في أيدي بني الحارث بن كعب عند الحصين ابن قناب ، حتى افتدى بألفي
قنوص و ألف من طرائف اليمن ، فخلى سبيله ، ففي ذلك يقول عمرو بن معد يكرب هذا
الشعر . قال ابن الأعرابي : بل قال هذه القصيدة التي على الحاء يوم فيف الريح و هي هذه :

ديار أقفرت من أم سلقى ... بهاد عس المعزّب و المراح

قال الأصمعي : اجتمعت زبيد و مراد و خنعم و ثمالة و دوس من الأزد ، فقاتلوا بني عامر وجشيم و سليما و نصرا حيث أتوهم ، فهزمت عامر و من معها ، و أصيبت عين عامر بن الطفيل ، و قتل فيها مسهر بن زيد بن قنان الحارثي ، فقال عمرو بن معد يكرب :

و لقد أجمع رجلي بها ... حذر الموت و إني لقدور)). (أبو علي القالي، صفحة 146-147)

لقد سميت أكثر الأيام العربية على اسم المكان أو الموضع الذي وقعت فيه ، و لذلك سنجد عناية ياقوت الحموي في معجم البلدان بالأيام عناية كبيرة ، فياقوت كثير الاهتمام بالمواضع المشهورة ، و كضرورة منهجية لديه ليس أشهر المواضع إلا ما ذكره الشعر العربي ، فمكة مشهورة من الناحية الدينية و لكن الشعر تبع شهرتها هذه و ذكرها بالكم الذي يكافئ أهميتها الدينية ، و هكذا دواليك ، و أيام العرب أيضا ذكرها الشعر العربي بمواضعها ، و هي (الأشعار) مادة فنية ذات قيمة توضيحية يستفيد منها ياقوت في التعليق و التعريف بالمكان و هو ما فعله مع أيام العرب التي سنكتفي من عنده بيوم "سلان" الذي سمي على اسم موضع سلان ، يقول ياقوت : ((السلان : بضم أوله ، و تشديد ثانيه ، و هو فعلان من السلّ ، و النون زائدة ، قال الليث الأودية ، و في الصحاح المسيل الضيق في الوادي ... قال أبو أحمد العسكري : يوم السلان ، السين مضمومة ، يوم بين ضبة و بني عامر بن صعصعة طعن فيه ضرار بن عمرو الضبي و أسر حبيش بن دلف ، فعل ذلك بهما عامر بن مالك ، و في هذا اليوم سمي ملاعب الأسنة . و يوم السلان أيضا : قبل هذا بين معد و مدحج ، و كلب يومئذ معديون ؛ و شدها زهير بن جناب الكلبي فقال :

شهدت الموقعين على خزاز ... و في السلان جمعا ذا زهاء

و قال غير أبي أحمد: قيل السلان هي أرض تهامة مما يلي اليمن كانت بها وقعة

لربيعة على مدحج : قال عمرو بن معد يكرب :

لمن الديار بروضة السلان ... فالرقتين فجانب الصمان ؟

و قال في الجامع : السلان واد فيه ماء و حلفاء و كان فيه يوم بين حمير و مدحج و همدان و بين ربيعة و مضر و كانت هذه القبائل من اليمن بالسلان ، و كانت نزار على خزاز ، و هو جبل بإزاء السلان ، و هو مما بين الحجاز و اليمن ، و الله أعلم)) (يا قوت الحموي 1997، صفحة 235) و تظهر هنا في تناول يا قوت ليوم السلان جمعه لمختلف الروايات التي قيلت في تحديد دلالة هذا الاسم على أي الحروب العربية . و بين من كانت، وهو موقف يعرض ففيه يا قوت الآراء المختلفة من جانب نقدي دراسي دون أن يصرح برأيه أو يرجح رأيا على آخر و إنما يكتفي بعبارة " والله أعلم ."

و الحق أن يا قوت الحموي بفعل الصنيع ذاته في كامل كتابه معجم البلدان مع الأيام التاية : (ذي قار في الجزء الأول و الثالث و السابع ، عين أباغ في الجزء الأول ، حليلة في الجزء الثالث ، يوم سحبل في الجزء الخامس ، يوم طخفة في الجزء السادس ، يوم فيف الريح في الجزء السادس ، يوم البسوس في الجزء الأول ، يوم شتيل في الجزء الثامن ، يوم قشاوة في الجزء السابع ، يوم داحس والغبراء مع مادة أصاد و مادة هباءة ، يوم الرقم مع مادة فرغد ، و يوم هراميت في الجزء الثامن ، و يوم برزة في مادة برز ، و يوم رحران في مادة رحران ، و يوم شعب جبلة في الجزء الثالث ، و يوم ذي نجب في الجزء الثامن ، و يوم المزوت في مادة المزوت و يوم الشقيقة في مادة حس ، و يوم دارة مأسل في مادة دارة مأسل.

هذا و لقد كانت الكتب الأدبية العربية بما فيها النقدية مليئة بالحديث عن هذه الأيام الحروب و على رأسها جميعا – بالإضافة إلى الكتب التي ذكرناها من قبل - كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ففي مواضع كثيرة جدا تستحق المرور بها موضعا موضعا في غير هذا الموضوع ، و إلى جانبه نجد العقد الفريد لابن عبد ربه ، و شرح الحماسة للتبريزي في مواضع كثيرة أيضا و خزنة الأدب للبغدادي بنسبة أقل من الأغاني و العقد الفريد ، إضافة إلى الأمالي لأبي علي القالي و ذيله و نوادره و شرح المعلمات للزوزني و المفضليات للمفضل الضبي و لسان العرب لابن منظور و المخصص لابن سيده و التنبيه على أبي علي في أماليه للبكري و في جمهرة أشعار

العرب لأبي زيد القرشي ، و في معجم ما استعجم للبكري وفي نهاية الإرب و سمط اللآلئ و شرح المفضليات للابن الأنباري و في رغبة الأمل و المزهرة ، و في مجمع الأمثال للميداني و في ثمار القلوب و في معاهد التنصيص ، و حتى في شرح ديوان عنترة بن شداد العبسي. و هي المدونة التي اعتمد عليها العديد ممن تحدث عن أيام العرب ، أو حاول أن يجمعها و يعيدها إلى الوجود في شكلها الأول لأبي عبيدة أم في شكل كتب جديدة تعيد سرد هذه الأيام.

4. أبو عبيدة معمر بن المثنى يعيد كتابة الأيام بطريقة نقدية للشعر الأموي.

و لكننا اكتفينا من بعض المصادر بمثال أو أكثر. و نحاول أن نطيل المكوث قليلا عن أبي عبيدة في نقائص جرير و الفرزدق ، للصلة النسبية لهذا الكتاب بمؤلف الكتاب المفقود في الأيام و هو ذاته أبو عبيدة معمر بن المثنى . على أن ذلك سيكون بالقدر الذي يحتمله هذا المبحث ، فأبو عبيدة يجعل من النص السرد السيري نصا شارحا معيننا على النقد ، فهو وسيلة نقدية ينقد بها شعر الفرزدق و جرير في النقائص.

في تفسير بيت شعري لجرير بن عطية الخطفي و هو قوله :

همم ملكوا الملوك بذات كهف وهم منعوا من اليمن الكلابا) جرير الخطفي،

(1986، صفحة64)

يقول أبو عبيدة : ((قوله بذات كهف قال و هو أنك إذا قطعت طخفة بينها و بين ضرية الطريق بينها و بين قنة الحمر فهو يوم طخفة و يوم الرخيخ و يوم ذات كهف و يوم خزاز قال و ذلك لأنهن متقاربات)) (ابوعبيدة المثنى، 1909، صفحة448)

يعيد أبو عبيدة الحديث عن يوم فيف الريح في شرح قول الفرزدق :

وهم ضربوا الصنائع واستباحوا بمدحج يوم ذي كلع ضرابا) (الفرزدق، صفحة230)

((و يروى مدحج بخفض الميم و بنصبها و هي أرض بين نجران و بين أرض عامر قال و

هذا يوم فيف الريح و كان لبني نمير فيه بأس حسن قال و كان من قصته ...)) (أبو عبيدة

المثنى، صفحة 459) ثم يحكي لنا أبو عبيدة قصة هذا اليوم كاملة ، فما فاتنا في فقد كتاب الأيام استدركه كتاب النقائص هذا.

و في شرحه لقول جرير :

أحسبت يومك بالوقيط كيومنا يوم الغبيط بقلّة الأدحال (جرير الخطفي، صفحة 376)

يقول أبو عبيدة : ((قال أبو عبد الله الرواية بقنة يوم الغبيط بالنصب أراد كوقعة يوم الغبيط ونصب ذلك على المعنى وهذا يوم الوقيط)) (أبو عبيدة المثنى، صفحة 305) ثم يحكي لنا أبو عبيدة حكاية ذلك اليوم كاملا، ويعيد الكلام عن هذا اليوم في شرح بيت لجرير يقول عنه أبو عبيدة : ((فقالوا إن بكرا أتاهم كتاب النبي صلى عليه وسلم فأسلموا على ما في أيديهم ، و قول جرير حباريات أي جناء و قوله و أشرد بالوقيط من النعام والوقيط لبكر بن وائل على بني دارم ولم تشهده يربوع)) (أبو عبيدة المثنى، صفحة 1023)

و في شرح قول جرير :

وخالي ابن الأشد سما بسعد فحازوا يوم تيتل وهو سام (جرير الخطفي، صفحة 122)

يقول أبو عبيدة : ((ابن الأشد سنان بن (سعي بن سنان بن) خالد بن منقر و له حديث في يوم النجاج و تيتل قال أبو عبيدة غزا قيس بن عاصم المنقري (أبو عبيدة المثنى، صفحة 1023)

و نكتفي بهذا القدر من النقائص لأبي عبيدة ، فعلى هذا النهج يسير أبو عبيدة مع أيام : البسوس في صفحة 773 ، و مع يوم جدود في صفحة 124 و صفحة 336 و مع يوم ذي طلوح في صفحات 47 و 73 و 481 و مع يوم داحس و الغبراء في صفحة 83 ، و مع حديث بن ضيا في صفحة 533 و مع يوم هرانيت في صفحة 937 و مع يوم ذي نجب في صفحات 302 و 587 و 932 و 1079 ، و مع يوم الصرائم في صفحتي 248 و 336 و مع يوم الرغام في صفحة 410 ، و

مع يوم جزع طلال في صفحتي 302 و 1067 ، و مع يوم المزوت في صفحة 70 و مع يوم النصار في صفحات 238 و 790 و 1064 ، و مع يوم الشقيقة في صفحتي 190 و 233 و مع يوم بزاحة في صفحة 195 و مع يوم النقيعة في صفحة 193 و مع غيرها من الأيام في صفحات عديدة بين ثنايا هذا الكتاب الجليل القدر.

5. ابن عبد ربه و كتابه العقد الفريد يحتفي بأيام العرب.

بقي لنا العقد الفريد لابن عبد ربه و لديه في هذا الكتاب باب مليء بالحديث عن أيام العرب أسماه كتاب الدرّة الثانية في الحديث عنه أيام العرب في جاهليتها ، و قد استفاض في الحديث عن أكثر من سبعين يوماً موزعة على أكثر مائة صفحة من صفحات الطبعة التي بين أيدينا (ابن عبد ربه، 1997، صفحة03)

و الحق أن تناول ابن عبد ربه للأيام العربية في العصر الجاهلي كان من باب المعرفة بها ، أو من باب ما يستفاد منها من الموعظة و العلم ، كما رأينا عند ابن رشيقي و كما رأينا أيضا عند الإخباريين ابن الأثير و غيره ، يقول ابن عبد ربه : ((قد مضى قولنا في أخبار زياد و الحجاج و الطالبين و البرامكة ، و نحن قائلون بعون الله و توفيقه في أيام العرب و وقائعهم ؛ فإنها مآثر الجاهلية ، و مكارم الأخلاق السنية.

قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم :

قال: كنا نتناشد الشعر و نتحدث بأخبار جاهليتنا)) (ابن عبد ربه، 1997، صفحة03)، و منقولات ابن عبد ربه في هذه الأيام منذ أول يوم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، غير أنه أحيانا لا يذكر أبا عبيدة في بداية حديثه عن يوم معين ن غير أنه في وسط الحديث عنه يقول : و زعم أبو عبيدة كما فعل مع يوم بطن عاقل . غير أننا وجدنا عند ابن عبد ربه و لأول مرة ، أن الشعر أصبح خادما للقصة ، فهذا ابن عبد ربه يستشهد على يوم الوقيط مثلا بشعر جاء

بعد هذه الحرب بسنين ، و هو لجريير في بني دارم و لغيره ، و لجريير يذكر هذا اليوم فيقول ،
كما في العقد الفريد: (ابن عبد ربه ، 1997 ،صفحة12)
و يوم الشعب قد تركوا لقيطا كأن عليه حلة أرجوان
وكبل حاجب بشمام حولاً فحكم ذا الرقيبة وهو عان (جريير الخطفي،صفحة278)
و هو ما سيفعله مع بقية الأيام راويا إياها عن ابي عبيدة دائما و متبعاً نفس المنهج
الذي انتهجه مع يوم الوقيط فيستشهد على صحة و حقيقة أي يوم بشعر قد يكون للفرزدق
و قد يكون لجريير و قد يكون لغيرهما.

6. خاتمة :

في النثر السردى العربي نجد ألف ليلة و ليلة هي السردية النسائية ، سردية المرح و
اللين و سردية الجاحظ في بخلائه هي سردية الامتزاج الفارسي بالعرب ، و هي سردية السخرية
و الفكاهة والاصطلاح الاجتماعى ، و سردية كليلة و دمنة هي أيضا سردية الامتزاج الثقافى
العربى الفارسى و لكن في سياقها السياسى الفلسفى ، و سردية المقامات هي سردية الفنطازيا
سردية التصنع و التفنن في اللغة ، و تأتي السردية النثرية في أيام العرب ممتزجة بالشعر لا
يفارقها و لا تفارقه هي سردية الرجال ، سردية العنف والقوة و الغضب ، بين هذين الطرفين
للثنائية تكمن المفارقة.

لقد جمعت سردية الأيام بين الشعر و النثر ، السرد النثري و السرد الشعري في خضم
سردية حربية مشوقة و آخذة بالعقول و القلوب تتضمن حكم العرب و قساوتهم من جهة ،
كما تتضمن أخلاقهم و وجدانيتهم من جهة ثانية . و قد ظلت هذه الأيام تحكى على مدار
القرون التي جاءت بعدها ، بل و لقد بني عليها علم التاريخ العربى و فن السيرة الأدبية عند
العرب ، كما ترعرع على ذكراها شعر النقائض العربى في العهد الأموي ، بل بإمكاننا أن نقول :
لقد ارتكزت عليه السياسة الأموية برمتها حين اختارت العصبية القبلية و رجوعها خيارا
سياسي.

هذا وقد جاءت حكايات الأيام خادمة للشعر ناقدة له ، و جاء الشعر ناقدا لها خادما إياها فامتزجت به امتزاج الروح بالجسد.

وأدرك هذا الأمر أهم النقاد و الدارسين العرب القدماء للأدب العربي من أمثال المبرد والجاحظ و ابن سلام الجمحي و غيرهم ، و على رأسهم جميعا أبو عبيدة معمر بن المثنى أشهر من روى هذه القصص الأيام بما تضمنته من شعر ، ممارسا عليها نقده بتعليقاته وتصويباته و تحقيقاته و إن كان نظر إليها كموضوع و ليس كنص فني سردي ، ثم أعاد ذكرها بطريقة مختلفة لها علاقة بالنقد من خلال تعرضه لشعر النقائص في كتابه نقائص جرير و الفرزدق و قد أعادت هذه النقائص سرد الأيام العربية بطريقة شعرية و أجبرت أبا عبيدة لإعادة سرد هذه الأيام من خلال شرح ظلالها (إن صح التعبير) فقد استحضرت أشعار الحرب الكلامي قصص الحرب الفعلية إعادة فنية راقية .

7- المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.
2. عبد الفتاح كيليطو : الحكاية و التأويل ، دراسات في السرد العربي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، د ت.
3. حنا الفاخوري:الجامع في تاريخ الأدب العربي،الأدب القديم،دار الجيل،بيروت لبنان،ط01، 1986.
4. إبراهيم شمس الدين : مجموع أيام العرب في الجاهلية و الإسلام (إعداد) ، منشورات دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 2002.
5. رجب بلشير: تاريخ الأدب العربي ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، الدار التونسية للنشر تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1986 ، ج 02.
6. محمد أحمد جاد المولى بك وآخران، أيام العرب في الجاهلية، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت لبنان، د ط، د ت .

7. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 22، د ت.
8. أبو عبيدة (معمر بن المثنى): أيام العرب قبل الإسلام، ملتقطات من الكتب و المخطوطات، القسم الأول دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية، عادل جاسم البياتي، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد العراق، د ط، 1976. (ساعدت جامعة بغداد على نشره)
9. ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق مصطفى الشويبي، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985.
10. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): المحاسن والأضداد، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت لبنان، د ط، 1969.
11. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم): الشعر والشعراء، مراجعة محمد عبد المنعم العريان وتقديم، حسن تميم، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان، ط 02، 1986.
12. ابن رشيقي القيرواني (حسن): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد مكي الدين عبد الحميد، ج 02.
13. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د ط، 1992، ج 01 + ج 02.
14. الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق): أمالي الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت لبنان، ط 02، 1987.
15. رجب بلشير: تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986، ج 01 + ج 02.
16. المبرد (أبو العباس): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، د ط، 2004، ج 01 + ج 02 + ج 03.

17. محمد ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، د ط ، د ت ، ج 01.
18. محمد أحمد جاد المولى بك و آخران : أيام العرب في الجاهلية ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت.
19. القالي (أبو علي) : ذيل الأمالي و النوادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت.
20. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت لبنان ، د ط ، 1977 ، ج : 03.
21. أبو عبيدة (معمر بن المثنى) : نقائص جرير و الفرزدق ، تحقيق ، أنطوني أشلي بيفان ، طبعته بدار الكتاب العربي ، بيروت لبنان مأخوذ عن طبعة بريل بمدينة ليدن سنة 1908 ، 1909 ، د ط ، د ت.
22. سعيد يقطين: الكلام و الخبر ، مقدمة للسرد العربي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 1997.
23. عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، ط 01 ، 2005.
24. الفرزدق (همام بن غالب) : ديوان الفرزدق ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر بيروت لبنان ، د ط ، د ت.
25. جرير بن عطية الخطفي : ديوان جرير ، تقديم كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة و النشر ، د ط ، 1986.
26. ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ن بيروت لبنان ، د ط ، 1997.

التنبؤ بالتوجيه المدرسي المناسب لتلاميذ السنة الرابعة متوسط بالجزائر

The Prediction of Adequat Academic Guidance with Algerian Pupils in Middle School

د. عبدالحفيظ معوشه، جامعة عباس لغرور - خنشلة -

maoucha.abdelhafid@univ-khenchela.dz

تاريخ الارسال: 2022-09-28 تاريخ القبول: 2022-11-23 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

The aim of this study is to predict the academic guidance through the pupil choice to specialize in scientific or literary stream taking in consideration all of his desires, his qualifications and his cerebral dominance. A sample of 121 pupils were studied at Madour Azoui middle school, Oued Taga - Batna (Algeria). Logistic Regression analysis was used to determine the predictive ability of the desire of the pupil through the cerebral dominance, in addition to their point averages in mathematics, Arabic and French. The results of the study showed a strong relationship between the variables of research on the one hand with the predictability of the desire of the pupil (scientific or literary) where you can predict the desire of the pupil through sex (male or female) where sex was the only variable statistically significant at the 0.01 level.

Keywords: academic guidance, cerebral dominance

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التنبؤ بالتوجيه المدرسي المناسب من خلال الكشف عن رغبة التلميذ في اختياره للتخصص العلمي المناسب مع كل من ميولاته، رغباته، مؤهلاته العلمية وكذا سيادته المخية. وهذا باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية (SPSS) وباستخدام أسلوب الانحدار اللوجستي للتنبؤ برغبة التلميذ من خلال كل من ميولاته، رغباته، مؤهلاته العلمية وكذا سيادته المخية. وقد شملت عينة البحث من 121 تلميذ بالسنه الرابعة متوسط باكمالية مدور عزوي، وادي الطاقة- ولاية باتنة. وباستعمال مقياس السيادة المخية لهرمان وكذا قياس رغباته، بالإضافة إلى المعدل العام لمواد الرياضيات، اللغة العربية واللغة الفرنسية. وقد أسفرت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة قوية بين متغيرات البحث من جهة مع إمكانية التنبؤ برغبة التلميذ (علمي أو أدبي) حيث يمكن التنبؤ برغبة التلميذ من خلال جنسه (ذكرا أو أنثى) حيث كان متغير الجنس الوحيد الدال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01.

الكلمات المفتاحية: التوجيه المدرسي، السيادة المخية.

1- مقدمة / إشكالية :

عرف العالم في الآونة الأخيرة نهضة فكرية بارزة المعالم في مختلف المجالات ، وكان للمجال التربوي الحظ الأكبر من هذا التطور الهائل ، إذ حظيت المؤسسات التعليمية باهتمام بالغ وكان ذلك الاهتمام نتيجة حتمية لوعي الشعوب بأهمية الاستثمار في الطاقة البشرية ، ومن هذا الوعي انبثقت أفكار تنموية تدعو إلى إيجاد حلول مقننة للمشكلات التربوية والتعليمية ، ولاسيما المشكلات المعاصرة منها حيث أدرك علماء النفس والأخصائيين التربويين أن مشكلات الحاضر لم ولن تعالج بأفكار الماضي ، ومن هنا كانت الضرورة الملحة لإيجاد حلول منطقية لمشكلات التربية والتعليم، فتطافت جهود القائمين على العملية التربوية لأجل الوصول إلى جودة الخدمات التعليمية ، ومن المؤكد أننا لن نتمكن من تجويد التعليم إلا من خلال جودة التوجيه المدرسي ، والجودة في التوجيه لا يعني القيام بالمهام القديمة بطريقة جيدة فحسب، بل تعني أيضا القيام بالمهام بطريقة جديدة ومستحدثة لا تخلو من الابتكار والإبداع بهدف تقديم ما يطلبه العميل (التلميذ) وما يتوقعه من هذه الخدمة . وهذا لأجل مساعدة التلميذ على فهم نفسه حتى يتمكن من اتخاذ قراراته وحل مشكلاته بموضوعية مجردة تسهم في نموه الشخصي وتطوره الاجتماعي والتربوي والمهني، إذ يعد التوجيه المدرسي من أهم الخدمات البيداغوجية التي تقوم بها المدرسة الحديثة بهدف إيجاد التلاؤم والتوافق النفسي والاجتماعي والمهني والتربوي للتلاميذ والوصول بهم إلى أقصى غايات النمو من خلال مساعدتهم على بناء مشروعهم الدراسي والمهني وفقا لإمكاناتهم وقدراتهم العقلية والجسمية، وميولاتهم التربوية بأسلوب يشبع حاجاتهم ويحقق تصورهم لذاتهم وتكليفهم مع مجتمعهم.(Beale, 2004; Schmidt, 2003)

ويعد التوجيه المدرسي من أهم العناصر التي تنبني عليها المنظومة التربوية إذ يتأثر بالمتغيرات التي تطرأ عليها، فقد باشرت الدولة عدة إصلاحات أدت إلى ظهور عدة نصوص تشريعية منظمة له حددت أسسه ومقاييسه ومهام وصلاحيات القائمين عليه، تنوعت بتنوع المراحل التي مرت عليها وما صاحبها من تجديد في الأساليب والطرق. وكل ذلك تحققه جودة الإرشاد والتوجيه ، لذلك كان من الضروري العناية به، وللوصول بالتوجيه المدرسي إلى أسنى المراتب التي يستحقها يجب على المنظومة التربوية إعارة الاهتمام اللازم له وذلك بتكوين متخصصين تكوينا مبنيا على أسس علمية تؤهلهم للقيام بالمهام الموكلة إليهم ، لكي يتسنى لهم بعد ذلك القيام بأدوارهم كما ينبغي. لذلك يهدف المنشور الوزاري رقم 2008/0.0.6/49 إلى تحديد الترتيبات الواجب اعتمادها في توجيه تلاميذ السنة الرابعة متوسط المنتقلين إلى التعليم الثانوي .

وهذا بعدما أدركت الجزائر أهمية التوجيه المدرسي في عملية التنمية الشاملة، باعتباره الأسلوب الأحسن للتعرف على الإمكانيات العقلية والاستعدادات الفكرية للطفل مع إمكانية توظيفها مستقبلا توظيفا يعود

عليه بالفائدة ونظرا للتغيرات التي حدثت في المدارس الجزائرية أصبح من الضروري تأسيس أو بالأحرى تجويد الفكر التربوي، بما يتوافق مع متطلبات المنظومة التربوية وهذا يتطلب مشاركة كل الأطراف، بما في ذلك الأستاذ، المدير، الأولياء، موظفو الإدارة، المستشارين إلخ بغية الوصول بالتلميذ إلى أقصى درجة من السعادة، ولأن إدراك الصراعات التي يعايشها التلميذ يوميا في علاقاته الاجتماعية أو البيئية يتطلب من مستشار التوجيه المدرسي والمهني الحرص الشديد، ويتم هذا عن طريق استعانتة واعتماده على الوسائل المتوفرة لديه مع تقديم المساعدة اللازمة لكي يتحقق للفرد التكامل الذي يسمح له بتحقيق أقصى قدر ممكن من استغلال إمكانياته. تعد دراسة التنبؤ برغبة التلميذ في التوجيه المدرسي حديثة نسبياً، فقد اهتمت دراسات عديدة بالموضوعات القريبة من هذا الموضوع مثل دراسات بعنوان: " دور التوجيه المدرسي والمهني في تأصيل الفرد و معالجة قضايا الشباب. حيث قامت الدراسة على كشف واقع التوجيه المدرسي والمهني بالجزائر، و ما هو دور الميول و الرغبات في تحسين الأداء التربوي للتلميذ؟ وهل لميول التلميذ علاقة بإنجازته الدراسي؟. وأسفرت نتائج الدراسة بأن النتائج السلبية للتوجيه الإجباري إن لم تظهر لدى التلميذ على المدى القريب، فإنها ستظهر على المدى المتوسط والبعيد (التعليم العالي)، كذلك إن الفرد الذي يلتحق بالمهنة التي لا يرغب فيها لا يستطيع من خلالها إشباع رغباته وطموحاته و ميوله و يؤدي به إلى أن يصبح غير محفز لإتقان تلك المهنة. و يستخلص من هذه الدراسات أهمية الإعلام والتوجيه في بناء المشروع الدراسي والمهني للفرد الذي يتطلب الاستثمار الأمثل للطاقة الكامنة لدى التلميذ من خلال تنمية ميوله و اهتماماته للاندماج السوي في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية. (بوشلاغم، 2010)

كما توصلت حفيظة بوسحافي (1999) في دراسة لها حول التوجيه المدرسي بالجزائر وعلاقته بنتائج الطلبة في امتحان البكالوريا إلى أنه : توجد علاقة بين رغبة الطلبة المصرح بها في اختيار شعبة التعليم في السنة الثانية ثانوي ونتائجهم في امتحان شهادة البكالوريا، وأنه لا توجد علاقة بين معرفة الطلبة بمتطلبات الالتحاق بشعبة التعليم في السنة الثانية ثانوي ونتائجهم في امتحان شهادة البكالوريا، كما أنه لا توجد علاقة بين معرفة الطلبة لإمكانياتهم وقدراتهم مع نتائجهم في امتحان شهادة البكالوريا، ووجدت أنه توجد علاقة بين نتائج الطلبة في امتحان شهادة البكالوريا وعملية التوجيه التي خضعوا لها في مرحلة التعليم الثانوي. وفي دراسة لأحمد زكي صالح (1959) حول ميول الطلاب الدراسية في المرحلة الثانوية والمشكلات الناتجة عن ذلك، توصل إلى أن % 72 من الإناث و % 58 من الذكور لا يدرسون ميولهم الحقيقية المتعلقة باختيار نوع الدراسة، كما تبين أن % 71 من الذكور و % 64 من الإناث يعانون من مشكلة اختيار العمل الصالح والتفكير، في المستقبل المهني، كما وجد أن % 72 من الذكور و % 64 من الإناث يعانون من خطأ اختيار الشعبة. (محمد

خير الزراد، 1997 ص 110) كما كشف كل من بريغمان وكامبال في دراستهما حول أثار التوجيه والإرشاد المدرسي على التحصيل والسلوك. فوجدا تأثيرا ايجابيا للمرشد على انجاز الطلبة في تعلم القراءة والحساب. (Brigman and Campbell, 2003).

وغيرها من الدراسات. وبشكل عام زاد الاهتمام بدراسة ثقافة التوجيه المدرسي في الجزائر من خلال المحاولات العديدة لتحقيق التوجيه التربوي السليم، إلا أن هذه الدراسة جاءت لكشف مقاربة جديدة اعتمدت على التعدد في المتغيرات المستعملة لتحقيق الارغونوميا التربوية، ولتحقيق الرغبة السليمة والمتناسبة مع إمكانيات التلميذ. فكان تساؤل الدراسة الحالية التالية :

- هل يمكن التنبؤ برغبة التلميذ عند التوجيه المدرسي من خلال ميولاته ورغباته، وكذا سيادته المخية ونتائجه الدراسية؟

2- أهمية البحث:

إن خدمات التوجيه المدرسي تهدف إلى حماية تطور التلميذ للوصول به إلى أقصى درجات النمو ، كما تهدف إلى مساعدته على تحقيق مشروعه المستقبلي وسعيا لضمان هذه الخدمة كان من الأهمية أن نعرف مدى تأثير عدم الاستجابة للرغبة الأولى في التوجيه على تلاميذ الرابعة متوسط ، و ما مدى تناسب ذلك مع قدراتهم وسيادتهم المخية . وعليه فإن هذا البحث يكتسي أهمية يمكن تقريرها في عدة نقاط..

-تظهر هذه الدراسة تطبيق مختلف الاختبارات والمقاييس النفسية.

-تضطلع هذه الدراسة إلى اكتشاف تقنية إحصائية جديدة للتنبؤ برغبات التلاميذ من خلال ميولاتهم، ونتائجهم الدراسية، سيادتهم المخية،....

3- أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن إمكانية التنبؤ برغبة التلميذ من خلال ميولاته، ونتائجه الدراسية، وسيادته المخية. كما يهدف هذا البحث إلى معرفة تأثير الميولات، السيادة المخية ، النتائج الدراسية وكذا جنس التلميذ في اختيار الرغبة المناسبة.

4- الفرضيات: انطلاقا من تساؤل الدراسة يمكن صياغة الفرضية التالية:

- يمكن التنبؤ برغبة التلميذ عند التوجيه المدرسي من خلال ميولاته ورغباته، وكذا سيادته المخية ونتائجه الدراسية .

5- المفاهيم الأساسية للدراسة :

5.1. التوجيه: جليل وديع شكور يرى أن التوجيه هو " عملية فردية مزدوجة هدفها الأول مساعدة الأفراد على فهم ذواتهم بما تنطوي عليه من ميول و استعدادات و مواهب وعلى فهم المجتمع الذي سيوظفون فيه هذه الميول و الاستعدادات ، و تلك المواهب بواسطة عملية تكيفية تأخذ بعين الاعتبار عناصر المحيط الاجتماعية والاقتصادية ضمن متطلبات الواقع المفروض وشروطه . "

و هذا يعني أن التوجيه عملية فردية من حيث المستهدف (الفرد) و مزدوجة من حيث الأهداف (مساعدة الفرد على فهمه لذاته من جهة و فهم المجتمع من جهة أخرى وتحقيق هذه الأهداف لن يتأتى في موقف آني ، إنما يكون عبر امتداد زمني يكون فيه للفرد دور نشط يقوم خلاله بتحديد أهدافه و اختياراته انطلاقا من معرفته ووعيه بذاته و قدراته وميوله.(جليل وديع، 1997).

ويعرف مايرز- Mayers- التوجيه المدرسي بأنه: « العملية التي تهتم بالتوفيق بين التلميذ الفرد بما له من خصائص مميزة له، من ناحية، والفرص المختلفة المتباينة، من ناحية أخرى، والتي تهتم ، أيضا ، بتوفير المجال الذي يؤدي إلى نمو الفرد وتربيته » (دريفيون، 1998)

5.2. نمط التعلّم: يعرف الأدب النظري نمط التعلّم على أنه: أسلوب التعلّم الذي يفضل المتعلم ويستخدمه دون غيره من الأساليب في دراسته، وبه تتم معالجة المعلومات وتخزينها وترميزها واسترجاعها، وفي هذه الدراسة تم تحديده إجرائياً بأنه مجموعة المؤشرات والسلوكات الإدراكية والوجدانية والمهارية الثابتة نسبياً في تفاعل الفرد مع البيئة المحيطة به، بهدف استيعابها وبالتالي التكيف معها، وحدد نمط التعلّم للطالب في ضوء التكرار الأكثر لاستجاباته على فقرات الإستبانة المنتمية إلى النمط الذي صنف فيه.

5.3 الميل الدراسي: يشير الميل الدراسي إلى المجالات والميادين التي يتجه إليها التلميذ ويفضلها عن غيرها. ويتحدد من خلال ما يعبر عنه التلميذ حول جملة من المواقف والفقرات المحددة في استمارة الميل العلمي للتلميذ.

5.4 التحصيل: العلامات المدرسية التي حصل عليها الطالب في المواد المعتمدة في التوجيه المدرسي للسنة الرابعة متوسط.

6- منهج الدراسة :

يهدف تحقيق الأهداف المنشودة من هذا البحث، فقد اعتمد المنهج الوصفي التحليلي في توصيف الانحدار اللوجستي مع التركيز على كيفية تقدير معالنه والتطرق إلى أهم خصائصه، وذلك من خلال الكشف عن إمكانية التنبؤ برغبة التلميذ من خلال ميولاته، نمط تعلمه وكذا نتائجه الدراسية.

7- عينة الدراسة :

اشتملت عينة الدراسة على 123 تلميذ من أقسام السنة الرابعة متوسط والمتدرسين باكمالية مدور عزوي بوادي الطاقة، ولاية باتنة. وقد تم استبعاد الإجابات الناقصة المتعلقة بتلميذين اثنين. وقد جمعت البيانات خلال السنة الدراسية 2017-2018.

7- خصائص عينة الدراسة يمثل الجدولين (01) و(02) خصائص العينة الأساسية للدراسة.

جدول رقم (01): رغبة التلميذ بحسب الجنس

التخصص	الذكور		الإناث	
	العدد	النسب المئوية	العدد	النسب المئوية
جذع مشترك آداب	08	12.9	24	40.7
جذع مشترك علوم	54	87.1	35	59.3

جدول رقم (02): نمط التعلم (السيادة المخية) بحسب الجنس

نمط السيادة المخية الجنسية	A		B		C		D		2D		3D		المجموع
	العدد	النسب المئوية	العدد	النسب المئوية	العدد	النسب المئوية	العدد	النسب المئوية	العدد	النسب المئوية	العدد	النسب المئوية	
ذكر	11	17.7	08	12.9	19	30.6	09	14.5	12	19.4	03	04.8	62
أنثى	13	22	08	13.6	15	25.4	10	16.9	08	13.6	05	8.5	59

8- أدوات الدراسة:

استعملت في الدراسة النتائج الدراسية السنوية للمواد الرياضيات، اللغة العربية واللغة الفرنسية. بالإضافة إلى اختبار هرمان لقياس السيادة المخية للتلميذ (نمط التعلم)، كما أخذت بعين الاعتبار رغبة التلميذ (أدبي أو علمي).

1.8 اختبار السيادة المخية: ورد في هرمان، وستاين وماري، وشي، وكاري، وصف أنماط التفكير الأربعة في الأجزاء الأربعة للدماغ، ووصف خصائص التعلم في كل من هذه الأجزاء الأربعة، ووصف الطرق التعليمية والسياقات التي تتقابل معها وفيما يلي إيجاز وصف ملامح هذه الأنماط:

1.8.1 نمط التعلم الخارجي A (الجزء الأيسر العلوي من الدماغ الدماغ): يصطلح عليه هرمان بعدة مصطلحات، وهي: المعتمد على الحقائق والتحليلي والعقلاني والنظري والخارجي. واعتمدت الدراسة لهذا

النمط مصطلح التعلّم الخارجي، وأهم خصائصه أنه: منطقي، عقلاني تبريري، حقائق، نظري، واقعي، تحليلي، كمي، رياضي، نقدي، تقني، مالي.

8.1. 2 نمط التعلّم الإجرائي: B (الجزء الأيسر السفلي من الدماغ) يصطلح عليه هيرمان بعدة مصطلحات، وهي: الموجه، المخطّط، المنظّم، التسلسلي، الإجرائي، واعتمدت الدراسة لهذا النمط مصطلح التعلّم الإجرائي، وأهم خصائصه: تسلسلي، منظّم، تفصيلي، مخطّط، إجرائي، محكوم وموجه، محافظ، محدد البنية، غير مخاطر، و زمني.

8.1.3 نمط التعلّم C التفاعلي: الجزء الأيمن السفلي من الدماغ: يصطلح عليه هيرمان بعدة مصطلحات، وهي: المشاعري والعاطفي والاجتماعي والبين-شخصي والتفاعلي، واعتمدت الدراسة لهذا النمط مصطلح التعلّم التفاعلي، وأهم خصائصه أنه: بين شخصي، حسي حركي، رمزي، فني، روحي، تعبير، شعوري، لفظي، داعم، قاري، و كاتب.

8.1.4 نمط التعلّم D الداخلي: الجزء الأيمن العلوي من الدماغ: يصطلح عليه هيرمان بعدة مصطلحات، وهي: المفتوح الدماغ والابتكاري والتكاملي والتحليلي والتخييلي والداخلي ، وأهم خصائصه: بصري، شمولي (كلي)، تكاملي، مفاهيمي، تركيب، تزامني، حدسي، مستكشف ذاتي، مبادئ ومبادر، إبداعي، و مخاطر. وبناءً على هذا النموذج أعد هيرمان استبانة تكونت من (120) فقرة لتحديد النمط التعلّمي السائد وأنماط التفكير عند المتعلّمين، وهي أداة السيادة الدماغية لهيرمان وبفهم النمط التفكير المفضل لدى الطلبة يمكن للمعلم أن يفهم أكثر كيف يتعلّم طلبته، وكيف يتخذون القرارات، وكيف يحلّون المشكلات، وكيف يتواصلون، ولماذا يعملون بعض الأشياء وكيف يتواصلون، ولماذا يعملون بعض الأشياء وكيف يعملونها. (She, 2005)

اعتمدت نوافلة الأداة المعدلة من أداة شي لقياس أنماط التعلّم المفضلة لدى الطلبة لتناسب البيئة (الأردنية، والمطورة أصلا من أداة هيرمان للسيادة الدماغية. وتشير الفقرات ، 34، 32، 29، 28، 22، 19، 16، 12، 8، 56، 43، 40، 37، 58 إلى أنشطة التعلّم التي يمكن أن يفضلها (الجزء الأيسر العلوي)، وتعبّر بشكل عام عن (التعلم الخارجي الخطي)، وتشير الفقرات ، 27، 20، 14، 9، 6، 54، 51، 50، 48، 46، 44، 39، 35 إلى أنشطة التعلّم التي يمكن أن يفضلها طلبة ربع الدماغ B الجزء الأيسر السفلي وتعبّر بشكل عام عن التعلّم الإجرائي الخطي، وتشير الفقرات (2، 53، 49، 41، 38، 33، 30، 26، 25، 23، 18، 13، 10، 5، 60) إلى أنشطة التعلّم التي يمكن أن يفضلها طلبة ربع الدماغ C (الجزء الأيمن السفلي)، وتعبّر بشكل عام عن التعلّم التفاعلي الشمولي. وتشير الفقرات (، 31، 24، 21، 17، 59، 55، 52، 47، 45، 36، 42، 15، 11، 4، 7) إلى

أنشطة التعلّم التي يمكن أن يفضلها طلبة ربع الدماغ D (الجزء الأيمن العلوي)، وتعتبر عن التعلّم الداخلي الشمولي. (نوافلة، 2008)

ويجب الطالب عن هذه الإستبانة باختبار نشاط التعلّم الذي يراه سهلا ويستمتع به، ويتم حساب المجموع الكلي لكل الاستجابات لكل فرد، وحساب النسبة لكل ربع بقسمة عدد الفقرات التي اختارها في هذا الربع على مجموع الفقرات التي اختارها في جميع الأرباع، ثم تجميع الطلبة في أربعة أنماط تعلّمية بالاعتماد على الربع الذي يحصلون فيه على أعلى نسبة، وإذا تساوى ربعان بالنسبة المئوية يكون الطالب بنمطين، وإذا تساوى ثلاثة أرباع بالنسبة يكون الطالب ثلاثي النمط.

2.8 صدق الأداة وثباتها:

كانت استبانة أنماط التعلّم التي كيفها النوافلة (2008) للبيئة الأردنية على أساس استبانة شي (She، 2003) قد صدقت بالترجمة وتدقيقها، وحكمت من أعضاء هيئة تدريس جامعيين، فتكونت بشكلها النهائي من 60 فقرة موزعة على أرباع الدماغ الأربعة بالتساوي، وكانت معاملات ثبات الاتساق الداخلي (كرونباخ ألفا) هي 0,78، 0,77، 0,76، 0,76، 0,79 لأرباع الدماغ A، B، C، D بالترتيب، ومعاملات الثبات بالاختبار وإعادةه (معامل ثبات الاستقرار) هي 0,75، 0,76، 0,80، 0,79 وتؤشر هذه القيم بثبات مقبول لأغراض الدراسة.

9- عرض نتائج الدراسة:

يلخص الجدول رقم (3) البيانات المدخلة في التحليل وحجم العينة المدروسة والبيانات المفقودة أما الجدول التالي جدول رقم (4) فيمثل رموز قيم المتغير التابع.

جدول رقم 03 يمثل نتائج معالجة الملاحظات

النسبة المئوية الصحيحة	التوقعات		الملاحظات في المرحلة 1
	أدبي	علمي	
0,0	0	32	أدبي
95,5	4	85	علمي
70,2			النسبة الإجمالية

جدول رقم 4 يمثل ترميز المتغيرات التابعة

القيمة الداخلية	القيمة الأصلية
0	أدبي
1	علمي

ويخصص الجدول رقم 05 جميع معالم النموذج المقدر (B, b1, constant) والخطأ المعياري لكل معلمة. وإحصاءات لكل معلم من معالم النموذج وعدد درجات الحرية ومعنوية المعالم التي سنقوم بتفسيرها بشكل مفصل لاحقاً. أما عن اختبار كفاية النموذج بالكامل وجودته فكنا نستخدم فيها إحصاء F و R^2 في الانحدار الخطي أما في حالة النموذج اللوجستي فيتم استخدام نسبة الإمكان الأعظم الذي يتبع توزيع وفق العلاقة الرياضية:

$$2[\log L_0 \log L_1] = \chi^2$$

- L_1 : قيمة دالة الإمكان الأعظم الذي يحتوي على متغير (i)
- L_0 : قيمة دالة الإمكان الأعظم الذي يحتوي متغير (i-1)

وإن قيمة $\chi^2 = 14,724$ وهي معنوية عند مستوى دلالة اقل من 0,05 جدول رقم 06 مما يؤكد معنوية

النموذج الموفق بالكامل كما هو موضح في الجدول رقم (5) من أجل $d.f = 8$

جدول رقم 5 يمثل المتغيرات الداخلة في معادلة الانحدار

المرحلة 1	95% فرق النسب		فرق النسب	الدلالة الإحصائية	درجة الحرية	إحصاء Wald	الخطأ المعياري	قيم B
	أقل	أعلى						
الجنس	0,068	0,513	0,187	0,001	1	10,615	0,515	-1,677
السيادة المخية	0,824	1,442	1,090	0,547	1	0,363	0,143	0,086
الرياضيات	0,755	1,135	0,926	0,457	1	0,553	0,104	-0,077
اللغة العربية	0,786	1,358	1,033	0,816	1	0,054	0,140	0,032
اللغة الفرنسية	0,824	1,201	0,995	0,956	1	0,003	0,096	-0,005

المتغيرات في المرحلة الأولى: الجنس، السيادة المخية، الرياضيات، اللغة العربية واللغة الفرنسية

أما الجدول رقم 07 فيمثل أيضاً اختباراً لا معلمياً لجودة توفيق النموذج إذ يعتمد على حساب إحصاء χ^2 للفرق بين القيم المشاهدة والقيم المتوقعة وقد اقترح Hosmer and Lemeshow باستخدام توزيع إحصاء χ^2 للكشف عن انحرافات نموذج اللوجيستك، وتتكون إحصاء هذا الاختبار من جزء مشاهد لا يستند إلى

نموذج نظري والأخر محسوب من تقديرات نموذج اللوجستك، وتحسب إحصاءة X لجودة التوفيق والجدول يوضح ذلك.

تبين بان المتغير الجنس (sex) هو المتغير الوحيد المؤثر على المتغير التابع (رغبة التلميذ) إذ أن معامل الانحدار لهذا المتغير يساوي 1,677 وإن هذا المعامل أظهر معنوية عالية على المتغير التابع عند مستوى الدلالة 0,001 من أجل $d.F=1$ ، وإن إحصاءة $wald\ statistic = 10,615$ ، وإن الخطأ المعياري لجميع المعاملات هو بحدود متقاربة.

جدول رقم 6 يمثل اختبار Hosmer-Lemeshow

المرحلة	كا ²	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
1	14,724	8	0,065

جدول رقم 7 يمثل توزيع Hosmer and lemeshow

المجموع	الاختيار = علمي		الاختيار = أدبي		المرحلة 1
	المتوقع	الملاحظات	المتوقع	الملاحظات	
12	6,021	9	5,979	3	1
12	6,832	6	5,168	6	2
12	7,290	6	4,710	6	3
12	7,552	7	4,448	5	4
12	8,082	8	3,918	4	5
12	10,039	8	1,961	4	6
12	10,306	8	1,694	4	7
12	10,465	12	1,535	0	8
12	10,667	12	1,333	0	9
13	11,747	13	1,253	0	10

أما الجدول التالي جدول رقم 8 فيبين النسبة المئوية للتصنيف الصحيح إلى مجموعتي التصنيف التي تنتهي إليها $0,702 = 85 + 0 / 121$ وان 36 مشاهدة صنف بشكل خاطئ، وأما احتمال الخطأ الكلي فهو بحدود 25% وبالتالي يمكن القول النموذج يمثل البيانات عموما.

جدول رقم 8 يمثل ترتيب المتغيرات التابعة

النسبة المئوية الصحيحة	التوقعات		الملاحظات في المرحلة 1
	أدبي	علمي	
0,0	0	32	أدبي
95,5	4	85	علمي
70,2			النسبة الإجمالية

10- تفسير النتائج:

يُعد وصف الميول في إطار الإرشاد والتوجيه وصفا لشخصية الفرد، وعليه فإن التقويم الفعال لا يجب أن يرتبط بالجوانب المعرفية والتحصيلية للتلاميذ فقط، خاصة في مراحل التوجيه، بل يجب أن يتعدى الأمر ذلك إلى فهم طبيعة عواطفهم، وميولهم، واتجاهاتهم، واهتماماتهم، ومختلف جوانب شخصيتهم، وغير ذلك من النواحي غير المعرفية لديهم. ويرى جان دريفيون – Jean DREVILLON – أن قضية التوجيه المهني تُعد إحدى المسائل الأساسية في الاقتصاد، باعتبار أنه يسعى إلى وضع كل عامل في مكانه المناسب، أي في المكان الذي يكون فيه أكثر فعالية في سلم الإمكانيات، التي يقدمها مجتمع ذلك الوقت.

وحتى يصبح التوجيه أكثر فعالية، يجب أن تُبنى نظريته المستقبلية على أساس استكشاف وإثارة وتنشيط مواطن القوة الكامنة لدى التلميذ، ومساعدته على تنميتها واستغلالها في إطار تحضير مشروعه المدرسي والمهني. تُبنى طريقة التوجيه الحالية بالجزائر في مختلف أطوار التعليم، اعتماداً على المواد الأساسية لكل شعبة من الشعب. (بشلاغم، 2010)

هذه النتائج تبرز أهمية وفائدة قياس الميول والاتجاهات لدى التلاميذ، وعدم الاقتصار في عملية التوجيه على نتائج التحصيل الدراسي في بعض المواد فقط؛ فقياس الميول والاتجاهات كما يظهر، يمكّننا من التعرف على نواحي التفوق لدى التلميذ، إذ إن السيكلوجيين يعتقدون أن الفرد لا يمكنه أن يكون إماماً متفوقاً أو إماماً فاشلاً في جميع النواحي، بل حقيقة الأمر أنه يكون متفوقاً في بعض النواحي أكثر من غيرها وفاضلاً في نواحي أخرى. ومن ثم فإن عملية استكشاف مواطن التفوق والنجاح لدى التلميذ، واستثارتها وتعزيزها، تُعد غاية في الأهمية في العملية الإرشادية، ودعامة أساسية من دعائم بناء المشروع المدرسي والمهني. (Lapan, Gysbers & Petroski, 2001)

إن النتائج السلبية للتوجيه الإجباري وإن لم تظهر لدى التلميذ على المدى القريب، فإنها ستظهر على المدى المتوسط والبعيد. ففي المدى المتوسط، قد تظهر في شكل اكتشاف التلميذ عند التحاقه بالتعليم العالي، مثلاً،

نقص استعداده للتكيف مع الاختصاص الذي وجّه إليه، بحكم أنه لا يتوافق مع طبيعة ميوله ورغباته وطموحاته وتصوره للمهنة المستقبلية.. (Poynton, Carlson, Hopper & Carey, 2006)

أما على المدى الطويل، فقد يشكل ذلك صعوبة للفرد للتكيف السوي مع المهنة أو النشاط الذي يمارسه، ومن ثم عدم الاندماج السليم مع الوسط الذي يعيش فيه.

إن التحاق الفرد بالمهنة التي لا يرغب فيها، والتي لا يستطيع من خلالها إشباع رغباته وطموحاته وميوله، يؤدي به إلى أن يصبح غير محفّز لإتقان تلك المهنة والمثابرة في إجادتها. ولنا أن نتصور النتيجة العكسية التي قد تنجم عن ذلك السلوك السلبي تجاه مختلف المنظمات التي قد يوجد بها ذلك الفرد مستقبلاً، حيث يؤثر ذلك بصفة مباشرة على فعاليتها.

إن التأكيد على الرغبة كعامل أساسي ومهم في عملية التوجيه المدرسي، لا يعني إطلاقاً تلبية رغبات التلاميذ بشكل آلي، ما قد يؤدي إلى نتائج عكسية ليس على مستوى التلميذ فحسب، بل على مستوى الأداء والمردود التربوي، وعلى جميع قطاعات النشاط الاقتصادي والاجتماعي عامة مستقبلاً؛ فلبية الرغبة يجب أن تتمّ في حدود توافر الاستعداد والقدرة. وإن المشروع المدرسي والمهني يتطلب الاستثمار الأمثل للطاقة الكامنة لدى التلميذ، من خلال تنمية ميوله واهتماماته وتهيئته للاندماج السوي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

وفي ظل هذه الاستراتيجية، فإن المشروع المدرسي والمهني يتميّز بالقابلية للتعديل والتطور المستمر، تماشياً مع طبيعة الضغوطات والظروف والعوائق، التي قد يصادفها التلميذ في مرحلة ما من مراحل التعليم، خاصة إذا علمنا أن فترة المراهقة التي تتزامن مع مرحلة التعليم الثانوي (أي مرحلة الاختيار والتوجيه) تتميز بالاختيار المبدئي للتلميذ، ما يجعله غير ثابت ولا مستقر في اختياراته؛ بل وغير متأكد من مستقبله الشخصي بصفة عامة، ما يستوجب التدخل والتكفل به، من خلال تربية اختياراته على النحو الذي يضمن له تحقيق مشروعه بما يوافق طبيعة ميوله وقدراته واستعداداته وواقع المحيط الذي يعيش فيه. وبذلك تصبح التربية المدخل الأساسي لتنمية الثروة البشرية، ويزداد تبعاً لذلك مستوى أداء الأفراد في المجتمع نتيجة ارتفاع مستوى التربية فيه، ومن ثم يصبح الاستثمار في الإنسان هو أحسن استثمار وأفضل ثروة. وبناء عليه، فإن مسؤولية المعالجة/ والتكفل بقضايا الشباب تبدأ انطلاقاً من المؤسسات التربوية، حيث تسهم هذه الأخيرة من خلال بيداغوجية محكمة، مبنية على أساس تشخيص الميول والاهتمامات والرغبات، وتربيتها، في مساعدة الشباب على تحديد وبناء مشروع دراسي ومهني موضوعي قابل للإنجاز والتجسيد مرحلياً. وبذلك تتشكّل أول خطوة في توفير فرص التوظيف لدى الشباب. وفي غياب تلك

البيداغوجية تزداد أوضاع الشباب تفاقماً في مجتمعنا، نظراً لأن المؤسسات التربوية لا توقّر لهم فرصاً مناسبة للتوظيف والاندماج السوي مع مؤسسات المجتمع مستقبلاً. (بشلاغم، 2010).

كما تلعب التنشئة الاجتماعية دوراً هاماً في إبراز الفروق بين الجنسين في الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها أفراد كل من الجنسين، ويكفي للتمثيل على ذلك بعض الفروق الخاصة في القدرات والاتجاهات والميول والمعايير الاجتماعية المتعلقة باللباس والعمل المتاح.. إلى جانب ذلك، هناك فروق نفسية؛ فالذكورة النفسية والأنوثة النفسية تتعدد في ضوء ما إذا كان سلوك الفرد أكثر ميلاً نحو السلوك الذكري أو السلوك الأنثوي بصرف النظر عن جنسه حيويًا. وتعتبر الذكورة والأنوثة عنصراً ذا أهمية كبرى في عملية التوجيه والإرشاد؛ حيث أن ما ينطبق على الإناث لا ينطبق على الذكور. (إبراهيم عياد، محمد الخصري، 1993 ص 30).

واتضح من الدراسات الكثيرة التي أجراها المعنيون بشؤون المراهقة، أن هناك فوارق شتى تظهر بين الجنسين

تتميز ابتداءً من مراحل الطفولة المبكرة أين لا تظهر فوارق مميزة في القدرات العقلية بين الجنسين، لكن هذه الفوارق يمكن الاهتداء إليها باستعمال اختبارات الذكاء أو إجراء الملاحظات التي يمكن أن يقوم بها مختصون في الدراسات النفسية في مراحل الطفولة المتأخرة وأوائل المراهقة، يزداد النمو الجسدي عند البنات بشكل ملحوظ أكثر مما يكون عليه الأمر عند البنين. ففي مراحل المراهقة المتأخرة، يكون النمو الجسدي عند البنين أكثر مما هو عليه عند البنات. حيث أظهر التحليل السيكلولوجي لبعض جوانب المنجزات العقلية، أن البنين يتفوقون على البنات في الموضوعات التي لا تخلو من صعوبة كالرياضيات والعلوم، في حين أن البنات يتفوقن على البنين في الدراسات الإنسانية واللغات). (الجسماني، 1994، ص 192)

وتختلف ميول الأفراد باختلاف الجنس، فالذكور يميلون لموضوعات تتعلق بالهوايات العملية والميكانيكا والكهرباء وقيادة السيارات والألعاب الرياضية كالمصارعة والملاكمة وكرة القدم وكرة السلة، في حين أن الإناث أكثر ميلاً للقصاص التاريخية والعاطفية والشعر، ويشارك الجنسان في بعض الميول كقراءة الأخبار والصحف والاستماع لبرامج الإذاعة والتلفزيون والهوايات الفنية كالرسم والموسيقى. (معوض، 1994، ص 345) وفيما يتعلق بالأعمال التي يمكن أن يقوم بها أفراد الجنسين، فإن هناك اختلافاً واضحاً بين طموح البنات وطموح الولد. فقد اتضح من بعض الدراسات كدراسة تومسون Thomson سنة (1996): أن البنين يصبون إلى أن يكونوا قادة أو مديري أعمال أو ذوي رواتب عالية أو مشهورين، في حين أن البنات كن أميل إلى تفضيل الأعمال التي يستطعن عن طريقها أن يظهرن قدراتهن على مساعدة الآخرين كأعمال السكرتارية أو التمريض أو التدريس بدلا من أعمال المحاماة والإدارة أو الطب التي يفضلها البنون. وعلى العموم يبدأ المراهقون من

الجنسين في تحديد اهتماماتهم المهنية بوضوح بين سن 14 و18 على أن ذلك التحديد يبدأ مثاليا ثم يتجه نحو الواقعية شيئا فشيئا مع التقدم في السن. فبعد أن يكون نوع العمل الذي يرغب المراهق مزاولته كمهنة مثلا هو ذلك العمل الذي يحتاج إلى "المغامرة" أو يتضمن خدمة الإنسانية "يصبح تحديد المستقبل في عبارات أكثر واقعية مثل "الزواج" أو "عمل مضمون" أو "عمل له مستقبل" وهكذا. ولكن سواء كانوا مثاليين أو واقعيين، فإن البنين يختلفون عن البنات في أنهم أميل إلى الاختيار على أساس نوع المهنة، أما البنات فإنهن كن موجّهات في الاختيار على أساس ما يؤديه العمل للناس أو ما يؤديه من خدمة بالنسبة للآخرين. (عماد الدين إسماعيل، 1982، ص101) كما أن العوامل الثقافية وأساليبنا الخاصة في الحياة تحدد أنواع النشاط التي نتوقع أن يميل إليها الأولاد وتلك التي نتوقع أن تميل إليها البنات، وكثير من البنات الصغيرات يلعبن ألعاب الأولاد وكذلك الأولاد الصغار يلعبون ألعاب البنات، ولكن عادة ننتظر من الأطفال أن تنمو فهم الميول الخاصة بالأولاد إن كانوا من الذكور والميول المناسبة للبنات إن كن من الإناث. وما نتوقعه من هذه الاختلافات بين الولد والبنات يساعد كثيرا على تحديد طريقة الأطفال في التعبير عن ميولهم.. فقليل جدا من البنات يتجهن مثلا لأشغال النجارة والأعمال الميكانيكية في حين أن الكثيرين من الأولاد يميلون جدا لمثل هذه الأنواع من النشاط العملي. وقد حدث في إحدى المدارس أن نظمت إحدى المدرسات برنامجا لتعليم فن الطهي لفريق من الأولاد بأن احتالت على ذلك بتسمية هذه الدراسة "برنامج الطهي لفريق الكشافة" متخذة من ميل الأولاد للكشافة أساسا لذلك، وقد نجحت فعلا في تعليمهم أشياء كثيرة عن التغذية، كما نجحت في تغلبها على العامل الثقافي الذي يجعل من الصعب على الأولاد أن يستمروا في الميل إلى تعلم أصول الطهي التي تعتبر من صميم اختصاص البنات في نظرهم. (كودر وبولسون، 1961 ص 27).

خاتمة:

عملية التوجيه المدرسي لم تعد على أرض الواقع سوى عملية تعنى بتوزيع التلاميذ على الأقسام البيداغوجية، حيث أصبحت تتحكم فيها قدرة الثانوية على استقبال أعداد التلاميذ، وبالتالي يقترح على مستشار التوجيه المدرسي بان يقوم بتوجيه التلاميذ وليس توزيعهم على مختلف تخصصات التعليم الثانوي بناء على المعدل السنوي ومعدل القبول المحدد رسميا والذي يتماشى مع عدد الأماكن البيداغوجية المتوفرة في كل تخصص. وعلى هذا الأساس، فإن هناك عدد معتبر من التلاميذ يتم توجيههم دون مراعاة ميولهم وقدراتهم الشخصية لأن التوجيه في الواقع لم يأخذ في الحسبان القدرات الحقيقية للتلميذ القائم على أساس الارغونوميا التربوية، فهو توجيه يعتمد على اعتبارات كمية فقط.

المصادر والمراجع:

- 1) إسماعيل، محمد عماد الدين. (1982). النمو في مرحلة المراهقة، ط. 1 دار القلم، الكويت.
- 2) بوسحاقي، حفيظة. (1999). التوجيه المدرسي وعلاقته بنتائج الطلبة في امتحان شهادة البكالوريا (رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي – معهد علم النفس وعلوم التربية / جامعة الجزائر.
- 3) جليل وديع، شكور، (1997). تأثير الأهل في مستقبل أبنائهم على صعيد التوجيه المدرسي والمهني، ط 1، مؤسسة المعارف بيروت، ص 234.
- 4) جان، دريفيون، ترجمة مشال أبي فاضل، (1998). التوجيه التربوي والمهني، عويدات للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.
- 5) الجسماني(عبد العلي، (1994). سيكولوجية الطفولة والمراهقة، الدار العربية للعلوم، لبنان.
- 6) كودر، فرديريك وبولسون) بلانش، ترجمة بركات، محمد خليفة، (1961). اكتشاف ميول الأطفال، ط، 3 مكتبة النهضة المصرية.
- 7) محمد خير الزراد، فيصل. (1997). مشكلات المراهقة والشباب، ط – 1 دار النفائس، لبنان.
- 8) المنشور رقم 49/6.0.0/171 المؤرخ في 12 مارس 2008 موضوعه إجراءات القبول في السنة الأولى من التعليم مابعد الإلزامي.
- 9) معوض، خليل ميخائيل. (1994). سيكولوجية النمو الطفولة والمراهقة، ط3، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.
- 10) نوافلة، وليد حسين. (2008). أثر أنماط التعلم ومناحي التدريس المقابلة لها على مستوى التحصيل الآني والمؤجل في الكيمياء لدى طلبة الصف التاسع. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.
- 11) عوده، أحمد. (1993). القياس والتقويم في العملية التدريسية. إربد: دار الأمل.
- 12) عياد) مواهب إبراهيم والخضري) ليلي محمد. (1993). إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر.
- 13) Beale, A.V. (2004, November, December). Questioning whether you have a contemporary school counseling program. *The Clearing House*, 78(2), 73-76.

- 14) Brigman, G., & Campbell, C. (2003). Helping students improve academic achievement and school success behavior. *Professional Counseling*, 7(2), 91. Retrieved September 28, 2004, from EBSCOHOST.
- 15) Chapanis, A. (1985). Some reflections on progress. Proceedings of the Human Factors Society 29th Annual Meeting. Santa Monica CA: Human Factors Society. (pp 1-8).
- 16) Lapan, R.T., Gysbers, N.C., & Petroski, G.F. (2001). Helping seventh graders be safe and successful: A statewide study of the impact of comprehensive guidance and counseling programs. *Professional School Counseling*, 6(3), 186-198.
- 17) Poynton, T.A., Carlson, M.W., Hopper, J.A, & Carey, J.C. (2006). Evaluation of an innovative approach to improving middle school students' academic achievement. *Professional School Counseling*, 9(3), 190. Retrieved February 2, 2007, from EBSCOHOST.
- 18) She, H.C. (2005). Promoting students' learning of air pressure concepts: The interrelationship of learning approaches and student learning characteristics.
- 19) The Journal of experimental education, 7(1), 29-51.
- 20) Schmidt, J.J. (2003). *Counseling in the schools: Essential services and comprehensive programs* (4th ed.). Boston: Houghton Mifflin.

مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية ودورها في تحسين جودة الأداء المهني للأستاذ الجامعي.

دراسة ميدانية على عينة أساتذة جامعة وهران

Digital information culture skills and their role in improving the quality of the professional performance of the university professor. A field study on a sample of professors at the University of Oran.

بن زينب فاطمة - جامعة وهران أحمد بن بلة- مخبر البحث في أنظمة المعلومات.

Fatimabenzineb05@univ-relizane.dz

تاريخ الارسال: 2022-02-14 تاريخ القبول: 2022-10-08 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

The Purpose of This article to reveal the limits and level of digital information literacy among university professors and the extent of their awareness of this concept by possessing the capabilities and skills necessary to employ it and practice scientific and applied practice and focus on the quality of scientific productivity in an attempt to spread this concept in academic circles and integrate it into curricula and curricula, based on The study turned to the deductive and inductive approach, as the study concluded that there is an acceptable level of digital information literacy for university professors at the University of Oran, but it always remains in need of continuous development and improvement, by activating the quality of academic training programs, developing learning skills, self-formation and framing for lifelong learning as A dynamic culture open to change in accordance with the development of scientific theoretical knowledge and practice of professional experience.

Keywords: literacy ; information, Digital information literacy, professional performance

ملخص

تسهدف هاته الدراسة العلمية الكشف عن حدود ومستوى مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية لدى الأساتذة الجامعيين بجامعة وهران أحمد بن بلة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ومدى وعيهم بهذا المفهوم من خلال امتلاك القدرات والمهارات اللازمة لتوظيفه وممارسته ممارسة علمية وتطبيقية و التركيز على جودة الإنتاجية العلمية في محاولة لنشر هذا المفهوم في الأوساط الأكاديمية ودمجه في المناهج والمقررات الدراسية.

تستند الدراسة إلى المنهج الاستنباطي والاستقرائي، إذ توصلت الدراسة إلى أنّ هناك مستوى مقبول من الثقافة المعلوماتية الرقمية لدى الأساتذة الجامعيين لديها تأثير على الممارسة ولكن تبقى دائما في حاجة إلى التطوير والتحسين المستمر، من خلال تفعيل جودة برامج التكوين الأكاديمي وتطوير مهارات التعلم والتكوين الذاتي والتأطير للتعلم مدى الحياة باعتبارها ثقافة ديناميكية مفتوحة للتغيير وفقا لتطور المعارف النظرية العلمية وممارسات الخبرة المهنية.

الكلمات المفتاحية: الثقافة المعلوماتية الرقمية، الأداء المهني.

تشغل المعلومات في بيئاتها الرقمية الجديدة الأفراد وكافة أشكال المنظمات في المجتمع لما باتت تشكله من صناعة ثقيلة لها دور هام في تفعيل الاقتصاد ، فضلا عن دور شبكة الأنترنت في توسيع الفضاء العام للمعرفة وتغيير العالم وإعادة تشكيله من جديد سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا وما أحدثته من تغييرات في مختلف مجالات الحياة البشرية، من هذا المنطلق أصبح الحصول على المعلومات الدقيقة في الوقت المناسب وبالشكل المناسب والتعامل معها بكفاءة وفعالية واستثمارها بشكل جيد أمراً ومطلباً أساسياً لاتخاذ القرارات وحل المشكلات العلمية خاصة في ظل الكم الهائل لمعلومات المتاحة في الفضاء الإلكتروني من خلال تطبيقات الويب 2.0 وتطور تقنيات التأليف الحر والنشر الذاتي الذي أصبح ممارسة شائعة هذا من جهة ، من جهة أخرى " ظهور تكنولوجيا الويب الدلالي 3.0 ودرجة التعقيد الذي أصبحت تعاني منه أنظمة وبيئة المعلومات الرقمية الحالية (الكم الهائل، مسألة المصادقية وإساءة الاستخدام) أو ما نطلق عليه بمصطلح "Les info pollutions"(deuff, 2007, pp. 56-59)

هذه العوامل وأخرى يقابلها نقص في الممارسات الثقافية بالإضافة إلى أنها أصبحت تهدد موثوقية الاتصال العلمي خاصة عندما يعتمد الأساتذة، الطلبة ، الباحثون وصناع القرار على معلومات تنقصها الجودة، الأصالة والموثوقية هاته التحديات والرهانات المطروحة صاحبها تغير في المفاهيم والممارسات التي تتطلب ضرورة التأقلم معها بحكمة ومنطقية والتي تناسبها وإتقان مجموعة من المهارات والكفاءات المعلوماتية الرقمية والتي تمكنهم من الوصول إلى المعلومات العلمية والتقنية، التحكم في جودة المعلومات واستقلالية تامة في الوصول إلى المعلومات من خلال التمكين الذاتي، فقد أصبح الآن نشر ثقافة علمية عامة حول المعلومات حقيقة لا يمكن الاستغناء عنها على كافة المستويات، وفي كل التخصصات والتركيز على ضرورة الربط بين التعليم والثقافة "ذلك أن الجانب الثقافي يحمل أبعاداً إيديولوجية تمتد في كافة المجالات ومؤثر فاعل على المستوى الاجتماعي الاقتصادي والسياسي ومن ثم على هذه الثقافة أن تحفز كل فرد القدرة على الوصول إلى المعلومات وتنظيمها والإمام الشامل الواسع والعميق لكافة مجالات المعرفة بطريقة خصبة وذكية وتحقيق الاتصال العلمي بنجاحة وجودة كافية فحينما توظف المعلومات بشكل استراتيجي وتتولى المؤسسات إدارتها وتنظيمها وحفظها بشكل فعال ويتمكن الأفراد من التحكم فيها واستيعابها تتوسع منظومة الإبداع والابتكار إذ أنّ العلاقة بين الثقافة والمعلومات ليست بعلاقة خطية بسيطة بل هي علاقة مركبة دياكتيكية تنطوي على إشكاليات عميقة وأطراف متعددة باعتبارها ثقافة استشرافية متعددة المجالات والنماذج داعمة لتمكين الجميع ومفهوم أساسي لنشر ثقافة التنمية وتكوين رأس مال بشري قادر على

المساهمة في المجالات التي تدعم بناء مجتمع المعرفة والتمكن من بناء ثقافة قوية مستدامة للمعرفة من هذا المنطلق كان لابد من إتقان واكتساب مهارات التعامل مع هاته المستجدات والتطورات في المفاهيم والممارسات أمراً لا بد منه حيث أن صناعة المعرفة اليوم يرتكز على صناعة الثقافة وهو ما أحدث قطيعة ونقله نوعية تتمحور حول "منظومة ثقافة المعلومات ، يقول المنظر نبيل علي إننا في عصر يقتضي التغيير في كل شيء عصر ثقافة المعلومات التغيير في كل شيء في التربية ، التعليم ، الإعلام و السياسة حتى المثقف سيتغير مفهومه والمثقف هو الذي يستطيع ان يربط بين الثقافة و المعلومات و بين الثقافة و التكنولوجيا.(،علي، 2001، الصفحات ص 228-232). وضرورة تعزيز دور هاته الثقافة ومواصلة الاستثمار في البحث لتأسيس فكر ووعي معلوماتي بين أفراد المجتمع ليصبحوا مؤهلين لتحديد احتياجاتهم المعلوماتية والوصول إلى مصادرها واستثمارها الاستثمار الأمثل سعياً لاكتساب مهارات التعلم الذاتي حيث "أنّ التعليم لم يعد مغلقاً ولا محدوداً بزمان ومكان ولا محدوداً بمجال أو تخصص معين ليحل محله التعلم مدى الحياة والتعليم من أجل التعلم (Hasan, 2013, pp. p52-54) ، من هنا تجسدت فكرة الثقافة المعلوماتية الرقمية وانتشرت في البيئة المعلوماتية وأصبح هذا المفهوم يشكل جوانب قوة لمن يمتلك مهاراته وضعفاً لمن لا يمتلكها باعتبارها رأس مال فكري يسرت التكنولوجيا تقاسمها حفظها واستعادتها باعتبارها شرطاً أساسياً لولوج مجتمعات المعرفة وتحقيق التنمية بمفهومها الشامل والمستدام.

ومن منطلق أنّ الجامعات هي أهم صرح للتعليم والتعلم وإنتاج القدرات والكفاءات العلمية وقع على عاتقها مسؤولية مهام تدريس، نشر تعلم وتطبيق أساليب البحث عن المعلومات العلمية والتقنية والتحكم فيها واسترجاعها من مختلف المصادر التقليدية والإلكترونية عبر تقنيات مختلفة وطرح مواد وبرامج متخصصة تزودهم بمهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية يراعى فيها التدريس النظري والتدريب العملي المناسب وهو ما سنحاول التطرق إليه في هذا المقال العلمي حول الكشف عن حدود ومستوى مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية لدى الأستاذ الجامعي وتأثيرها على جودة الممارسة المهنية.

الإشكالية:

في ظل التطور المتزايد لحركة الإبداع العلمي والتكنولوجي وأمام التغيرات السريعة لنظم المعلومات، والبرمجيات واتساع مجال النشر الإلكتروني وتنامي الخدمات المعرفية الافتراضية وما أفرزته شبكة الأنترنت من طرق للوصول الحر للمعلومات وتزايد مستودعات المعرفة الرقمية، نظراً للكثافة الهائلة من البيانات البحثية

الضخمة المنتجة يومياً خاصة في ظل تطبيقات الويب التفاعلي والنشر الذاتي الذي أصبح ممارسة على نطاق واسع، إذ تغيرت طبيعة المعلومات ومصادرها وطرق النفاذ إليها وسلوكيات البحث عنها والاستفادة منها.

هذه العوامل وأخرى وفرت فرصة أمام الباحثين للتعرف بالمعلومات الحديثة وإثراء بحوثهم العلمية ومواكبة التطورات والأبحاث العلمية الحديثة خاصة إذا علمنا أنّ المعلومات والأبحاث بدأت تتقدم بسرعة فائقة وباستمرار في كل العلوم ، في الوقت نفسه افتقار الكثير منها إلى الدقة والمصداقية ومواقع مجهولة المصدر في كثير من الأحيان ، هاته الأخيرة وضعت الباحثين في مواجهة تحديات جديدة وصعوبة بالغة في تقييم المعلومات اللازمة لأي بحث أو قرار ما حيث أصبح وقت البحث وتقييم المعلومات يوازي أو يفوق الوقت المطلوب لكتابة البحث نفسه ، هذه العوامل وأخرى أصبحت تهدد موثوقية الاتصال العلمي خاصة عندما يعتمد الأساتذة الطلبة الباحثون وصناع القرار على معلومات تنقصها الدقة، الأصالة والموثوقية ناهيك عن مسألة جودة المعلومات أو ما نطلق بمصطلح التلوث المعلوماتي وهو ما يشير إلى ضرورة الإلمام وامتلاك المهارات والكفاءات المعلوماتية اللازمة لتحديد الاحتياجات المعلوماتية وامتلاك درجة من الوعي المعلوماتي، من جهة أخرى فإنّ بعض الدراسات في مجال البحث العلمي أكدت محدودية باحثي الدراسات العليا إلى مهارات البحث عن المعلومات وضعف الاستخدام الأمثل للمصادر والموارد المعلوماتية خاصة الرقمية منها، فكل هذا لا بد أن يستند على وعي وثقافة معلومات كسلوك وتفهم وإدراك قيمة المعلومات من أجل الوصول إلى معلومات ذات جودة علمية وأكثر رقابة وإدراك قيمة وجودة المعلومات العلمية والتقنية وتعزيز دور هاته الثقافة كمحفز للتغيير التربوي وشرط أساسي لتحقيق مبدأ التعلم مدى الحياة على كافة المستويات وفي كل التخصصات، وفي هذا السياق برزت هاته المقاربة كمفهوم أكثر اهتماماً وتركيزاً على كافة الجوانب السياسية الاقتصادية الاجتماعية لتكون محورا أساسيا في العديد من المؤتمرات أهمها : الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات IFLA حيث يتحدد مفهوم الثقافة المعلوماتية الرقمية بأنها : « المعارف والكفاءات ، المهارات والخبرات ، السلوكيات والمواقف اللازمة ، لمعرفة المعلومات التي نحتاج إليها ومتى نحتاج إليها وكيف و من أين نحصل عليها وكيف نستطيع تحليلها ، ونقدها وتركيبها بعد الحصول عليها وكيفية استخدامها بصورة أخلاقية، تتخطى مبدأ الثقافة المعلوماتية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتشمل التعلم والتفكير النقدي والقدرة على التفسير داخل وخارج نطاق العمل و التعليم» (Institutions, 2011, pp. p-1-2). وهذا ما يؤدي بالأستاذ الجامعي إلى إعادة النظر في مجموع الاستراتيجيات والتقنيات الخاصة بالأعمال والنشاطات التي يقوم بها ويتحكم فيها سواء على مستوى النفاذ إلى المعلومات أو استخدامها فقد فرضت هذه الأخيرة على الأستاذ لكي يكون مؤهل وفعال على أداء عمله في هذه البيئة التعليمية الجديدة اكتساب مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية وتوظيفها في نشاطه البيداغوجي والبحثي.

وبناء على ما تم تقديمه من معطيات تحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيسي التالي:

✓ هل تتوفر مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية لدى الأستاذ الجامعي تناسب ومتطلبات البيئة الرقمية؟
- ونحاول بدافع اهتمامنا الكبير بالموضوع معالجة المسألة من مختلف النواحي ولتوخي الوضوح والتسلسل في الطرح والتمكن من التوسع إلى قضايا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوعنا هناك مجموعة من الأسئلة الفرعية تتفرع عن الإشكالية الرئيسية للموضوع:

- ما مفهوم الثقافة المعلوماتية الرقمية وما هي الخطوط العريضة التي تحدد طبيعتها وهويتها؟
- ما الهدف والغاية من توظيف هذه المقاربة وماهي مبررات اكتسابها من طرف الأستاذ الجامعي؟
هل هناك تأثير للثقافة المعلوماتية الرقمية على جودة الأداء والممارسات المهنية للأستاذ الجامعي؟
فرضيات الدراسة: من أجل تحقيق منهجية واضحة في هذه الدراسة سنستند على الفرضيات التالية:

- تتوفر مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية لدى الأستاذ الجامعي تناسب ومتطلبات البيئة الرقمية الحالية.

- يرتبط مفهوم الثقافة المعلوماتية الرقمية للأستاذ بجودة الإنتاجية العلمية وتحقيق الفعالية التعليمية.

- توجد علاقة ارتباط إيجابية بين الثقافة المعلوماتية الرقمية وتفعيل جودة الممارسات المهنية للأستاذ الجامعي.

أسباب اختيار الموضوع: لقد تم اختيارنا لموضوع الثقافة المعلوماتية الرقمية ودورها في تحسين جودة الأداء المهني للأستاذ الجامعي للعديد من الدوافع والأسس والتي نحدددها في النقاط الآتية:

- يعتبر موضوع الثقافة المعلوماتية الرقمية من المواضيع الحديثة والرائجة في البيئة الرقمية إذ تعد هذه الثقافة هدفاً وبعداً استراتيجياً لأي تخصص أكاديمي وشرطاً أساسياً لتمكين التعلم الذاتي والتأطير للتعلم مدى الحياة كما أنّ هذه الثقافة تشكل الجزء الأكبر من الثقافة المهنية للأستاذ الجامعي.

- ندرة الدراسات الأكاديمية على المستوى الوطني حول موضوع الثقافة المعلوماتية الرقمية وعلى هذا الأساس فإنّ الحاجة إلى هذا النوع من الدراسات جد مهمة في الوقت الراهن.

أهمية الدراسة: تستمد الدراسة أهميتها من الموضوع الذي تعالجه باعتباره أحد الموضوعات الحيوية والمهمة في النشاط البيداغوجي للأستاذ الجامعي نظراً لارتباطها بتحقيق جودة البحث والاتصال العلمي محاولة رصد

المستوى المعرفي للثقافة المعلوماتية الرقمية لدى الأستاذ الجامعي وتنمية المهارات والكفاءات المعلوماتية وتحسين وتطوير الممارسات المهنية.

أهداف الدراسة: إنَّ أي دراسة علمية لها أهداف واضحة تسعى إلى تحقيقها، لذلك فقد تم تحديد الأهداف الآتية لدراسة هذا الموضوع وهي كالآتي:

- محاولة معرفة مستوى الثقافة المعلوماتية الرقمية للأستاذ الجامعي ومحاولة دراسة تأثير هذه الأخيرة على تطوير الأداء المهني وأهم المهارات والكفاءات الجديدة الواجب اكتسابها لممارسة مهنته على أحسن وجه.

- محاولة نشر هذا المفهوم في الأوساط الأكاديمية والبحثية ودمجه في المناهج والمقررات الدراسية في العديد من التخصصات وإثراء برامج التكوين في الثقافة المعلوماتية والارتقاء بمستوى التأهيل نحو الأفضل.

منهج الدراسة: تستند الدراسة إلى المنهج الاستنباطي والذي ينطلق من العام إلى الخاص وتحديد المفاهيم، النظريات والنماذج في النطاق العام الذي يسبق التحقق في الحالة الخاصة، يقوم الجزء الأول من هذا العمل البحثي بتحديد مشكلة البحث، اقتراح الفرضيات والإطار النظري ومن خلال دراستنا تم التطرق إلى ما تمثله الثقافة المعلوماتية وفقاً للمفاهيم والقواعد المتعارف عليها بالإضافة إلى معايير ومؤشرات هذه الثقافة من جانب ومن جهة أخرى محاولة رصد مستوى مهارات هذه الثقافة لدى الأستاذ الجامعي ومحاولة استكشاف الفجوة الموجودة في هذه المهارات.

أدوات وأساليب جمع البيانات: لما كان البحث العلمي يستهدف أساساً الإجابة على مجموعة من التساؤلات المطروحة عن المشكلة واختبار مدى صحة الفرضيات المحددة مسبقاً فلا بد من توفير كافة البيانات التي تخدم القسم الميداني بكل موضوعية وذلك بالاعتماد على الاستبيان كأداة بحث رئيسية، تضمن الاستبيان مجموعة من الأسئلة تم طرحها وفق محورين رئيسيين: وهما: أولاً مفهوم الثقافة المعلوماتية الرقمية ومبررات اكتسابها لدى الأستاذ الجامعي، ثانياً الثقافة المعلوماتية وتأثيرها على جودة الأداء المهني للأستاذ الجامعي.

عينة الدراسة: هي الجزء من الكل وهي السبيل الأمثل الذي يسهل العمل الميداني وفي دراستنا هذه وقع تمثيل العينة على عينة مكونة من 72 أستاذ جامعي بجامعة وهران أحمد بن بلة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية بما فيها علم المكتبات، الإعلام والاتصال شعبة التاريخ).

مصطلحات الدراسة:

الثقافة: ورد تعريف الثقافة وفقاً للمنظر (Edward Burnett Tylor 1832-1917) والذي يعد أوفى التعريفات

وأشملها في الدراسات الأنثروبولوجية بأنها « ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات الفن والأدب الأخلاق والقانون الأعراف والقدرات والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع(journet, 2011, pp. p23-26).

المعلومات:هي المورد الذي لا يمكن بدونه للإنسان استثمار أي مورد آخر فقد أصبحت هذه الأخيرة المورد الأساسي للاقتصاد، عنصر أساسي للتعليم والتعلم، عنصر حيوي للإبداع والابتكار ، مورد رئيسي في خلق مواطنة مدنية فاعلة وقادرة على المشاركة الإيجابية وتحسين نوعية الحياة ، الصحة والعمل وأخيراً مورد مهم للتنمية الاجتماعية الاقتصادية والوطنية.(deuff, 2015, pp. p223-227)

مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية: هي مجموع الكفاءات المطلوبة لتحقيق الثقافة المعلوماتية وهي تتكون من 5 معايير و22 مؤشر و تتمثل فيما يلي:

— القدرة على فهم الحاجة من المعلومات والتعبير عنها بدقة ووضوح.

— القدرة على الوصول لأنسب المصادر المتوفرة واختيارها والتعامل معها.

— القدرة على تقييم المعلومات وتنظيمها.

— القدرة على استخدام المعلومات بكفاءة وفعالية.

— إدراك المعايير الأخلاقية القانونية الخاصة بالمعلومات(Francoise chapron, 2010, pp. 208-211).

الأداء المهني:يمكن القول على أنّ الأداء الوظيفي للأستاذ الجامعي هو ذلك الالتزام من طرف الأستاذ بمتطلبات وظيفته التي أسندت إليه مهامها مثل ساعات العمل التدريس، توجيه الطلبة والإشراف على بحوثهم ونشاطاتهم العلمية، القيام بواجبه العلمي في مجال البحث وكذا الالتزام بأنظمة الجامعة ولوائحها.(صبرينة، 2021، الصفحات ص61-81)

2.الإطار النظري للثقافة المعلوماتية الرقمية:

1.2.تطور المفاهيم وصولاً إلى مفهوم الثقافة المعلوماتية الرقمية:

يحتاج الباحثون، أعضاء هيئة التدريس، الطلبة إلى المعلومات الدقيقة والفورية لأخذ القرار وحل المشكلات التعليمية والمعلوماتية في هذا الإطار تعد الثقافة المعلوماتية الرقمية من بين المهارات والكفاءات التي يجب أن يتمتع بها الأستاذ الجامعي والمتغيرات الهامة المساعدة على تحقيق جودة التعليم باعتبار أن الثقافة والمعلومات موضوع تتجاوزه مختلف التخصصات والحقول المعرفية وقد أشار الدكتور نبيل علي في كتابه الثقافة العربية وعصر المعلومات إلى أوجه التداخل والتقارب بين منظومي الثقافة والمعلومات أنها واضحة على مستوى التعريف فالثقافة كما يراها البعض هي اكتساب المعارف من أجل تهذيب الحس النقدي والارتقاء

بالذوق وتنمية القدرة على الحكم وسواء كانت الثقافة نتاجا فكريا أم حصادا اجتماعيا يشمل المعارف والمعتقدات وكل ما يكتسبه الكائن البيولوجي ليصبح عضوا في المجتمع وسواء كانت الثقافة رمزا لتمييز النخبة الأكثر وعيا أم رصدا للواقع الاجتماعي الذي نعيشه فإن المعلومات هي وسيلة التعبير عن هذا النتاج الفكري.(علي، 2001، الصفحات ص216-218).

وهذا يغطي مفهوم الثقافة المعلوماتية الرقمية معاني مختلفة خاصة حسب المفاهيم والمعاني المعطاة "للثقافة من جهة كونها السلوك ، القيم ، الفن ، الأدب الأخلاق ، الإبداع وحتى العادات والتقاليد وللمعلومات من جهة أخرى ، اقتصاد المعلومات ، إدارة المعلومات ، تكنولوجيا المعلومات نظرية المعلومات وهذا فإن هذا المفهوم ينتج عن "تقاطع عدة حقول معرفية تأتي في مقدمتها علم المعلومات، علوم الإعلام والاتصال علم الحاسوب وحتى علم النفس المعرفي.(Juanals, 2003, pp. 210-213).

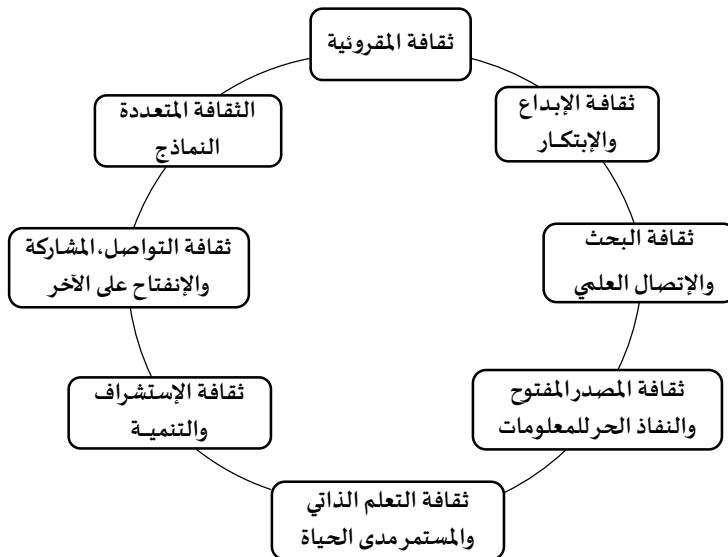
- يعود ظهور هذا المفهوم إلى الباحث بول زوركوسكي رئيس اتحاد صناعة المعلومات بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1974) "وقد جاء استخدام هذا المفهوم استجابة لتقارير عديدة صدرت في الدول المتقدمة من أهمها كتاب (أمة في خطر) الذي صدر بالولايات المتحدة الأمريكية كدعوة عامة لمراجعة و تحسين النظم التعليمية و التربوية اللازمة لمجتمع المعلومات في القرن الحادي والعشرين" بهدف اكساب الطلاب القدرات و المهارات اللازمة لتفجير الطاقات الكامنة لديهم من أجل الوصول المستقل إلى مصادر المعلومات التي يحتاجونها في مناهجهم الدراسية و الانتقال من التعليم التقليدي السلبي إلى التعلم الذاتي المستقل الإيجابي المستمر مدى الحياة(خير ، 2010 ، الصفحات 122-125).

- وهذا تعددت التعاريف الخاصة بالثقافة المعلوماتية الرقمية ، فورد في الإنتاج الفكري تعاريف أعدها باحثون منظمات دولية وجمعيات مهنية في مجال المعلومات كان أهمها على الإطلاق تعريف جمعية المكتبات الأمريكية ALA» إن المثقفون معلوماتيا هم أولئك الأشخاص الذين تعلموا كيف يتعلمون ، وهم يعرفون كيف تتكون المعرفة إنهم يعرفون كيف يتعلمون، يعرفون كيف تنظم المعلومات وكيف يجدونها ، وكيف يستخدمونها بطريقة تجعل الآخرين يتعلمون منهم إنهم أشخاص مجهزون للتعلم مدى الحياة ، لأنهم دائما يستطيعون العثور على المعلومات اللازمة لأي مهمة أو قرار ما»(ALA, 2007, pp. 1-3).

- إذ يعد هذا التعريف بمثابة القاعدة النظرية التي ارتكزت عليها معظم التعاريف وهو مفهوم غني بالتعديلات إذ تطور من فكرة إلى ممارسات يتم تفعيلها وتشكيلها بطرق محددة فمن خلال القراءة الواسعة توصلنا إلى أنّ الثقافة المعلوماتية هي في سياق جمعي ثقافا(ت) المعلومات لتشمل الثقافة المكتوبة، الثقافة الإعلامية

ثقافة الصورة ، ثقافة الأنترنت، ثقافة الشبكات، ثقافة التفكير النقدي إذ أنه لا توجد معارضة بين هذه الثقافات بل هي علاقة تكاملية وتداخل وتقارب هذه الثقافات مع بعضها البعض من خلال تداخل الأدوات والوسائط التقنية. إذ أنه لا بد من التركيز البعد الأساسي (البعد التواصل) لهذه الثقافات وبلوغ ثقافة مشاركة المعلومات. (deuff, 2015, pp. p200-250).

في ذلك تشمل:



الشكل رقم (01) يمثل الثقافة المعلوماتية والثقافات المرتبطة بها

— إنَّ الأبحاث الجارية حول هذا الموضوع هي مسألة التنظير العلمي للمفهوم إذ أنَّ هناك معارف وممارسات جديدة تندرج تحت مفهوم الثقافة المعلوماتية وهي في تطور دائم وتحتاج إلى بحث ودراسة.

2-2 مبررات اكتساب الثقافة المعلوماتية الرقمية لدى الأستاذ الجامعي:

2-2-1 جودة الإنتاجية العلمية: تمكن مهارات الثقافة المعلوماتية من تبادل الخبرات وتثمين المكتسبات العلمية استخدام الطرق المبتكرة في التدريس (العروض التقديمية) تطوير أنشطة البحث والتجارب التعليمية ، مناقشة المسائل العلمية ، إعداد المحاضرات إذ تستخدم الثقافة المعلوماتية للأغراض الأكاديمية مثل إعداد مؤتمرات وتحضير البحوث والأوراق العلمية إذ أنَّ جميع هذه الأنشطة تحتاج إلى

معلومات دقيقة وذات مصداقية كما أن عملية البحث عن المعلومات هي المهمة الأولى للتدريس وجزء لا يتجزأ من عملية التعلم.

- تفعيل وتطوير العديد من المشاريع والمبادرات العلمية الخاصة بالنشر العلمي (إعداد ملتقيات، ندوات ورشات عمل ودعم الابتكارات العلمية و التحولات التعليمية ودعم بيئة الاتصال العلمي والمنشورات ذات الوصول المفتوح وترسيخ ثقافة النشر العلمي (Dumouchel, 2016, pp. 245-262).

2-2-2 تحسين نوعية وجودة التعليم الجامعي:

يميل العديد من الطلبة إلى استخدام محركات البحث العامة والوصول إلى المعلومات دون تحليل قيمتها حيث تأتي المعلومات إلى الباحثين في وضع غير مفلتر وما هو مطلوب من الأساتذة توجيه و تطوير برامج التوجيه والإرشاد المعلوماتي للطلبة حول كيفية الوصول إلى المصنفات العلمية الإلكترونية ذات النصوص الكاملة والإحالة إلى المواقع الرسمية والمجلات العلمية المحكمة (مسألة المصداقية والموثوقية) وضرورة تقييم جودة المعلومات التي يتلقونها (معايير التقييم) والوصول إلى موارد معلوماتية رقمية ذات جودة عالية ودعم الطلبة حول كيفية الاقتباس (مقالات الكتب والدوريات الإلكترونية وتوثيق المصادر الإلكترونية والتدريب على اكتساب المهارات المعلوماتية المتقدمة في مجال البحث ، التحليل والتقييم وتوظيفها في إثراء بحوثهم العلمية بما يضمن مصداقية شمولية فعالية جودة ، إنتاج المحتوى (Maret, 2011, pp. 74-78).

-تدريب الطلبة والأساتذة على كيفية استخدام التكنولوجيا التعليمية وتحميل البرامج التعليمية والوسائط المتعددة والتمكن من بناء ثقافة معلومات مشتركة على أساس يومي بين (الأستاذ – الطالب) وتحقيق الفعالية التعليمية والعمل على اختيار المناهج والمقررات الدراسية وتحديثها من حيث البناء والمحتوى العلمي والإمداد المعرفي بمصادر المعلومات التي تدعم تلك المناهج والمقررات وعمل الببليوغرافيا للإنتاج الفكرية وتعزيز ثقافة التعلم.

- تمكن مهارات الثقافة المعلوماتية من الاستجواب المتقدم لمحركات البحث، والاختيار المنطقي للكلمات المفتاحية تحديد وتطوير استراتيجيات بحث ناجحة وذات مردودية، تحليل وتنظيم البيانات من خلال وسائل توضيح تشمل غالبا إعداد الجداول والرسومات البيانية، القوائم المفصلة واستخدام التطبيقات الحديثة في التحليل الإحصائي (SPSS)

-يركز المعيار الأول على تحديد الحاجة المعلوماتية تحديداً دقيقاً في هذا الإطار يتدرب الأساتذة والطلبة على إعداد إعداد خريطة مفاهيم توضح العلاقات بين المفاهيم والتدريب على كيفية توظيفها في مشاريعهم وأبحاثهم العلمية (Thierry, 2015, pp. 25-29).

2-2-3 إعادة تعبئة وتوسيع شبكة المهارات المهنية للأستاذ الجامعي:

إذ تؤسس الثقافة المعلوماتية على المهارات التنظيمية (بدءاً بتحديد الحاجة المعلوماتية البحث والوصول، التحليل وتقييم مصداقية وموثوقية مصادر المعلومات وصولاً إلى المهارات التحريرية وإنتاج محتوى رقمي ذو جودة عالية وتقاسمها وإتاحة مصادر تعليمية رقمية عالية الجودة في عدة أشكال وإنتاج مخرجات متعددة الوسائط تتطلب جميع هذه المهارات فهم القواعد والسلوكيات الأمانة العلمية في الاقتباس الأخذ بعين الاعتبار مسألة حماية الملكية الفكرية في بيئة الويبو المعايير للعمل في الفضاء الرقمي واستثمار موارد البيئة الرقمية والاستفادة الحقيقية من المحتوى الرقمي، إذ يعتبر غياب الثقافة المعلوماتية أحد المؤثرات السلبية في مدى استخدام مصادر المعلومات والموارد المعرفية غياب الثقافة المعلوماتية يعني عدم الوصول إلى الموارد المعلوماتية إذ يمتلك الأشخاص المنخرطين في هذه الثقافة مهارات اتصال وتواصل قوية.

مهارات التقييم والتفكير النقدي: لم تعد ندرة الموارد هي المشكلة الرئيسية في الوقت الراهن بل إن وفرة الموارد والجودة الغير المؤكدة هي المشكلة الحقيقية حيث تعتبر عملية تقييم المعلومات قضية تعليمية رئيسية تهم جميع التخصصات الأكاديمية العلمية في هذا الإطار لا بد على الأستاذ امتلاك مستوى جيد من المعارف من أجل إصدار أحكام حول (الجودة، المصداقية، التحديث، الدقة) من خلال مقاييس ومعايير محددة ودرجة الثقة ترقى إلى مستوى التفكير النقدي وامتلاك ثقافة التقييم اللازمة باعتبار أن هذه الأخيرة في قلب مفهوم الثقافة المعلوماتية.

مهارات التعلم الموجه ذاتيا والتكوين والتأطير للتعلم مدى الحياة:

لأنّ الوظيفة في تطور دائم ومستمر فكلما تظهر تقنيات وأجهزة جديدة تظهر معها وممارسات جديدة ومتطورة بل وتظهر معها تحديات ومشاكل جديدة في الواقع، فقد أصبح التعلم المستمر لزاماً وذات أهمية من أجل التكيف الدائم مع التغيير والعمل على التحكم وإتقان المعارف التقنية والعلمية الجديدة. حيث يمر اكتساب هذه المهارات الجديدة بمجموعة من إجراءات التدريب الرسمية والغير الرسمية (التدريب المهني

،التكوين الذاتي، تدريب المجموعات، ورشات العمل التفاعلية كذلك لا يجب إغفال التكوين عبر الخط لأنه يعتبر وسيلة فعالة لدعم الثقافة المعلوماتية (Simonnot, 2008, pp. 101-103)

وبناء على ماتم تقديمه من فإنّ مهارات الثقافة المعلوماتية ترتبط بـ

- يرتبط مفهوم الثقافة المعلوماتية بالنسبة للأساتذة "بجودة الإنتاجية العلمية" وإثراء المناهج والمقررات الدراسية ودعم النشاط التعليمي وتحسين مستوى الإشراف على مذكرات تخرج الطلبة وتفسير ذلك أن توجه مواضيع مذكرات التخرج نحو المواضيع الجديدة.
- يرتبط تدريب الطلبة على مهارات الثقافة المعلوماتية بجودة أعلى في الحصول على موارد معلوماتية رقمية تحقيق مفهوم "التعلم الموجه ذاتيا" "الاستقلالية المعلوماتية" "الفعالية التعليمية" "النجاح والحصول على المنح الدراسية" "قابلية توظيف بشكل أكبر".

3. الجوانب التطبيقي للدراسة:

لقد فرض هذا التحول في المفاهيم والممارسات على المؤسسات الأكاديمية التعليمية وتحديداً الجامعات أن تكون عنصراً فاعلاً وداعماً لمجتمعات المعرفة من خلال التركيز على برامج وجودة البحوث العلمية وتحقيق نجاعة وموثوقية الاتصال العلمي والتركيز على الوصول إلى المحتوى الرقمي من خلال تزويد الطلبة بمهارات البحث عن المعلومات في البيئة الرقمية، إذ أنّ البحث العلمي وحل المشكلات و اتخاذ القرارات يتطلب امتلاك الأفراد لقدرات تمكنهم من معرفة المعلومات واستخدامها بطريقة مناسبة لذلك فإن الجامعات في حاجة ماسة للكشف عن واقع ومستوى تلك المهارات لمخرجاتها وخاصة طلبية الدراسات العليا لرفع معدلات إنتاجيتهم وتنمية قدراتهم البحثية تحقيقاً لرسالتها وأهدافها ومساهمة في زيادة تطور المعارف مما يظهر الحاجة الى ضرورة التعريف بمفهوم الثقافة المعلوماتية وإيضاح ماهيتها وأهميتها لدى الأستاذ الجامعي ومن خلال هذا أردنا التقرب من واقع جامعة هيران أحمد بن بلة كلية العلوم الإنسانية والعلوم والتعرف على واقع ومستوى هذه الثقافة من خلال النتائج التي توصلنا إليها في النقاط الآتية:

3-1 النتائج ومناقشتها:

3-1-1 المعلومات العامة :

- بلغ العدد الإجمالي لعينة الدراسة (72) أستاذ حيث تمثل نسبة الإناث أعلى نسبة مقارنة بنسبة الذكور.

— يمثل عامل الخبرة متغير أساسي في هذه الدراسة باعتبار أنّ الثقافة المعلوماتية هي ثقافة مكتسبة وتراكمية من خلال الممارسات اليومية المتكررة في محيط العمل ومن خلال فرص التدريب المهني والدورات التدريبية كما أنّها تنتقل من خلال تفاعل الأفراد والمجموعات وتقاسم المعلومات المعارف بين جميع الباحثين ومن خلال دراستنا فإنّ سنوات الخبرة لأكثر من (5 إلى 10 سنوات) مثلت أكبر نسبة.

3-1-1 مفهوم الثقافة المعلوماتية ومبررات اكتسابها لدى الأستاذ الجامعي:

✓ معظم أفراد العينة من الأساتذة الجامعيين على وعي كامل بمفهوم الثقافة المعلوماتية نسبة (98%)

✓ تمثل الثقافة المعلوماتية بالدرجة الأولى لدى الأساتذة على أنّها منظومة متفاعلة من المهارات والقدرات 32,8% بنسبة ثم في مرحلة ثانية على أنّها التحكم والاستخدام الجيد للبيئة المعلوماتية الرقمية بنسبة 27,7%، ثالثا التفكير النقدي بنسبة 26,9% فحين أن فئة قليلة جداً تقر بأنّ الثقافة المعلوماتية هي الثقافة العامة ما مثلت نسبته 12,6%. وبالتالي فإنّ المضمون الذي يطرحه مفهوم الثقافة المعلوماتية لا يختلف في جوهره فهو يتفق في مجمله على أنّها منظومة متفاعلة من المهارات والقدرات في تمكن من الاستخدام الجيد لموارد للبيئة المعلوماتية الرقمية إذ يرتبط هذا المفهوم ارتباطا وثيقا بنظم المعلومات الرقمية.

✓ تمثل الكتب والدوريات ذات النسخة الإلكترونية الأدوات الأكثر استخداماً للبحث عن المعلومات من طرف المختصين بنسبة (22,3%) وهذا بعد التوجه إلى إنشاء منصات علمية لتسيير وتنظيم المجالات العلمية الإلكترونية إذ يؤكد العديد من المهنيين أنهم يفضلون استخدام البوابة الوطنية للدوريات العلمية ASJP نظراً لتحكيمها الدقيق من طرف الخبراء وحدثة معلوماتها ودقتها وإيجازها من خلال الملخصات، تلها في المرتبة الثانية استخدام الكتب والدوريات ذات النسخة الورقية (20,0%) وفي المرتبة الثالثة استخدام محركات البحث العامة (Google) بنسبة (17,3%) بينما هناك تباين واضح ومحدود في استخدام محركات البحث الذكية من طرف الأساتذة والتي بلغت نسبة (5,0%) باعتبارها نسبة ضعيفة جداً، إذ أنّه يجب على الأساتذة بذل الكثير من الجهد وزيادة تنوع ترسانتهم من الأدوات واستراتيجيات البحث عن المعلومات والاعتماد على محركات البحث الذكية نظراً لطبيعتها الاستكشافية في البحث في العديد من المواقع المرجعية والغير المرئية في بيئة الويب.

✓ بالنسبة للأساتذة الذين يمتلكون مهارات الثقافة المعلوماتية الرقمية فإنّ هذه المهارات تتمثل بالدرجة الأولى في إتقان مهارات البحث واسترجاع المعلومات العلمية والتقنية عبر شبكة الأنترنت بنسبة (39.6%) أما ما نسبته (28.8 %) فهم يتحكمون في إدارة المجموعات الرقمية، أما على مستوى ثالث فنجد المهارات

المتعلقة بحماية حقوق الملكية الفكرية في بيئة الويب والتزام الأمانة العلمية في الاقتباس بنسبة (17.2%) باعتبارها سلوكيات مطلوبة في أية ممارسة وأخيراً المشاركة في تصميم وإدارة المشاريع الرقمية بنسبة (14.4%).

1-3-2 الثقافة المعلوماتية الرقمية وجودة الأداء المهني:

-تستند الممارسات المهنية اليومية إلى قاعدة متينة من المعارف المهنية في هذا الإطار لا بد على الأساتذة الباحثين أن يكون مستعدين وباستمرار قادرين على تطوير وتوسيع معارفهم المهنية فالكفاءة المهنية كما نعرفها هي وضع المعارف حيز التنفيذ والحصول على مهارات جديدة من خلال تطبيق هاته المعارف ومن خلال المعطيات المتحصل علمها تبين لنا أنّ تطوير المعارف المهنية والتحكم أكثر في مجال التخصص كان الهدف الرئيسي وراء توظيف هذا المفهوم بنسبة (28,8%) في المرتبة الثانية جودة الإنتاج العلمي بنسبة ((24,4% ولأنّ الجودة المطلوبة والأساسية التي يجب أن يمتلكها الأستاذ الجامعي في الوقت الراهن هي القدرة على التكيف ومواكبة التغيرات المستقبلية في البيئة الرقمية هي الأخرى مثلت ما نسبته (22,5%) وإذا أخذنا في الاعتبار مسألة الترقية المهنية والارتقاء في السلم الوظيفي التي تقف هدفاً أساسياً وراء كل مهنة إذ أنّ المهارات المعلوماتية تسهم إسهاماً واضحاً في هذا المجال بنسبة (13,8%) وأخيراً الإعداد الجيد للمحاضرات بنسبة (10,6%).

تمكن الثقافة المعلوماتية من خلق أفراد متعلمين مدى الحياة وقد أحتلت المرتبة الأولى بنسبة (30,08%) بعدها كشف نقاط القوة والضعف في المناهج الدراسية بنسبة (29,20%) بعدها في المرتبة الثالثة الإمام بالقضايا، الاقتصادية، الاجتماعية القانونية والأخلاقية الخاصة بالمعلومات بنسبة (25,66%) وأخيراً المساهمة في خلق وإبداع المعرفة بنسبة (15,04%).

4- خاتمة:

تعتبر الثقافة المعلوماتية الرقمية من أهم الآليات والسبل الكفيلة بترقية مستوى الأداء لدى الأستاذ الجامعي إذ تمكن هذه المهارات من إفراز مخرجات بشرية بإمكانهم الوصول إلى المعرفة ولديهم مهارات البحث عن المعلومات ومعالجتها وهذا يتطلب عملية تعليم مستمرة ومتجددة بغرس مهارات التعلم في الخريجين كما أن إيجاد الوظائف يتطلب مستوى عال من التعليم هذا التعلم المنشود التعلم المستقل الذاتي و التعلم مدى الحياة، ينبغي أن تصمم على أساسه الأهداف والبيئات التعليمية وبناء الشراكة مع العديد من القطاعات في مجال الثقافة المعلوماتية.

تمكن الثقافة المعلوماتية من التدريب على إعداد الأبحاث العلمية وإتقان إعدادها والاستعانة بالمصادر المتخصصة في مناهج البحث وكيفية الحصول إليها إضافة إلى التعامل مع الوسائل التكنولوجية الحديثة والمشاركة في الأيام الدراسية والملتقيات، الدورات التدريبية الخاصة بهذا المجال في هذا الإطار لابد من اعتبار الثقافة المعلوماتية معياراً أساسياً لتقييم الطلبة على اختلاف مستوياتهم من أجل تحقيق مبدأ التعلم الذاتي والتأطير للتكوين والتعلم مدى الحياة.

إدراج تدريس مهارات الثقافة المعلوماتية في كافة المناهج والمقررات الدراسية ذات التخصصات العلمية والأدبية.

5-المصادر والمراجع:

باللغة الأجنبية:

- 1-Hasan, A. (2013). la formation tout au long de la vie. Revue internationale d'éducation de sèvres, p52-54.
- 2-ALA, A. L. (2007). Presidential Committee on Information Literacy. Final Report. American Library Association: Chicago.
- 3-deuff, o. l. (2007, janvier 15). Culture de l'information et web 2.0 : Quelles formations pour les jeunes générations ? Doctoriales du GDR TIC & Société. journal de documentation, pp. 56-59.
- 4-deuff, o. l. (2015). La Documentation dans le numérique . villeurbane: presse de l'enssib.
- 5-Francoise chapron, E. d. (2010). L'éducation à la culture informationnelle. villeurbane: presse de l'enssib.francoise, c. E. (s.d.).
- 6-Gabriel Dumouchel2016.Les compétences informationnelles des futurs enseignants québécois sur le Web . villeurbane: presse de l'enssib.
- 7-Institutions, I. I. (2011). Media and information literacy recommendations. The Hague: International Federation of Library Associations and.

- 8Journet, n. (2011, janvier 10). . Penser la culture : Sciences Humaines. cairn, pp. p23-26.
- 9Juanals, B. (2003). la culture de l'information : du livre au numérique. paris: Hermes Sciences.
- 10Maret, V. (2011). La culture informationnelle dans un institut universitaire . Switzerland: université de Fribourg.
- 11Olivie, I. d. (2010). La culture de l'information et l'héritage documentaire. DOCUMENTALISTE - science de l'information, p4-11.
- 12Olivie, I. d. (s.d.). Culture de l'information et web 2.0 : Quelles formations pour les jeunes générations ? Doctoriales du GDR TIC & Société.
- 13Simonnot, B. (2008). Être usager de l'information en ligne nécessite-t-il de nouvelles compétences ?. Usages, usagers et compétences informationnelles au 21e siècle. paris: Hermes Lavoisier.
- 14Thierry, K. . (2015, Janvier—Mars 20). Les compétences informationnelles des étudiants à l'heure du Web 2.0 : proposition d'un modèle pour baliser les formation. revue Documentation et bibliothèques, pp. 45-58.

1-بواب رضوان ،ميلاط صبرينة.(15 جوان، 2021). الأداء المهني للأستاذ الجامعي في ظل نظام LMD محددات المهنة وسبل تحسينها . مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، الصفحات ص61-81.

2-توفيق أمنية خير. (2010). الوعي المعلوماتي ومهاراته لدى الأفراد. القاهرة: دار الثقافة العلمية.

نبيل ،علي. (2001). الثقافة العربية وعصر المعلومات :رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

نبيل علي.(2001). الثقافة العربية وعصر المعلومات :رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. الكويت : المجلس.

Hasan, A. (2013). la formation tout au long de la vie. Revue internationale d'éducation de sèvres, p52-54.

Institutions, I. I. (2011). Media and information literacy recommendations. The Hague: International Federation of Library Associations and.

olivie, I. d. (2010). La culture de l'information et l'héritage documentaire. DOCUMENTALISTE - science de l'information, p4-11.

olivie, I. d. (s.d.). Culture de l'information et web 2.0 : Quelles formations pour les jeunes générations ? Doctoriales du GDR TIC & Société.

ببلي برايسون، و اسامة محمد اسير. (2017). موجز تاريخ كل شيء تقريباً (الإصدار الثانية). القاهرة: العبيكان للنشر.

علي نبيل . (بلا تاريخ).

نبيل علي. (2001). الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.

حوكمة التعليم العالي كآلية لضمان الجودة

_ الحوكمة كمقياس للتقويم الذاتي _

Higher Education Governance as a Quality Assurance Mechanism

Governance as a measure of self-evaluation

د. مومن عواطف، جامعة خنشلة، aouatef.moumen@univ-khenchela.dz

د. عباسي كريمة، جامعة سطيف-2، ndwa2013@gmail.com

تاريخ الارسال: 2022-09-25 تاريخ القبول: 2022-11-26 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

Abstract

The pursuit of quality and increasing Learning capabilities and skills have become a necessity in recent times, and that is for the sake of diversity in scientific and educational alternatives, taking into account individual physical, moral and psychological differences, As well as the process in the issue of higher education quality, and on the other hand university governance systems have become a basis for the application of quality assurance standards recently and the focus of the higher education reform process around the world, This is because many countries and research have included governance as a measure of self- evaluation in order to improve the quality of higher education.

Keywords: Governance, higher education, quality, and self-evaluation.

ملخص

لقد أصبح السعي نحو الحصول على الجودة وزيادة قدرات ومهارات التعلم ، أمرا ضروريا في الآونة الآخرة، وذلك لأجل التنوع في البدائل العلمية والتعليمية مع الأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية المادية الجسمية، والمعنوية والنفسية ، وكذا العملية في مسألة جودة التعليم العالي، ومن جهة أخرى أصبحت نظم حوكمة الجامعات مرتكز لتطبيق معايير ضمان الجودة مؤخرا ومحور تركيز عملية إصلاح التعليم العالي في جميع أنحاء العالم، وذلك أن العديد من الدول والأبحاث أصبحت تدرج الحوكمة كمقياس للتقويم الذاتي لأجل تحسين جودة التعليم العالي.

الكلمات المفتاحية: الحوكمة، التعليم العالي، الجودة، التقويم الذاتي.

مقدمة:

تعتبر حوكمة مؤسسات التعليم العالي من بين الأساليب الإدارية التي لجأت إليها الجامعات لإصلاح التعليم العالي، فهي تهدف إلى الرقي بجودة الخدمات التي تقدمها، وقد زاد الاهتمام بتبني حوكمة الجامعات بعد تطور نظم التعليم المعتمدة وكذا التطور في معايير تصنيف الجامعات دولياً، ولقد أصبحت نظم حوكمة الجامعات مرتكزا لتطبيق معايير ضمان الجودة مؤخرا ومحور تركيز عملية إصلاح التعليم العالي في جميع أنحاء العالم، وهذا ينطبق على العديد من الدول خاصة الدول النامية، وانطلاقا من الأهمية التي تكتسبها الحوكمة بالنسبة لمؤسسات التعليم العالي، ونظرا لمساعي الدولة في السير نحو تحقيق ضمان جودة التعليم العالي من جهة، و بالنظر لوزن آراء هيئة التدريس في هذا المجال باعتبارها صاحب مصلحة محوري في الحياة الجامعية، اعتمدها البعض كمقياس للتقويم الذاتي في التعليم العالي لأجل تحسين جودته، من هذا المنطلق تتمحور إشكالية الدراسة حول: مدى نجاح الحوكمة كمقياس للتقويم الذاتي في تحسين جودة التعليم العالي.

للإجابة عن الإشكالية لابد من التطرق للعناصر التالية:

أولاً: الإطار المفاهيمي للدراسة

ثانياً: الحوكمة كآلية لضمان الجودة في التعليم العالي

ثالثاً: دور الحوكمة كمقياس للتقويم الذاتي في تحسين جودة التعليم العالي

أولاً. الإطار المفاهيمي للدراسة

حظيت حوكمة المؤسسات باهتمام متنامي من المؤسسات العامة، الخاصة والمهنية، وكذا الأكاديميين وممارسي الأعمال التجارية، خبراء الاقتصاد والمنظمات الدولية، إلا أن هذا الاهتمام لم يقتصر على منشآت الأعمال فقط، بل امتد إلى المؤسسات الأكاديمية ليحظى باهتمام مماثل، ويشمل مؤسسات التعليم العالي بما فيها الجامعات ومراكز البحث العلمي، لما

لها من دور في دفع عجلة التنمية الاقتصادية المستدامة، دون إنكار للصعوبات التي تكتنف تسيير هذه المؤسسات، وفي نفس الوقت سعيها إلى مصاف العالمية.

1_ مفهوم حوكمة التعليم العالي

يعتبر مصطلح الحوكمة من المصطلحات حديثة الاستخدام، رغم قدم الإشارة إليه، فقد تزايدت الحاجة إلى الحوكمة في العديد من الاقتصاديات المتقدمة والناشئة خلال العقود القليلة الماضية، خاصة في أعقاب الأزمات المالية التي شهدتها العالم، ونظرا للأثر الإيجابي الذي انعكس على الاقتصاد، فقد انتقل هذا المفهوم إلى مؤسسات التعليم العالي ليخفف عن الأزمة الحقيقية التي تمر بها ويضمن تحقيقها للجودة المطلوبة بتكاليف معقولة.

أ_ تعريف حوكمة التعليم العالي:

لقد اختلفت التعريفات التي تناولت مفهوم الحوكمة في الجامعات، نظرا لاختلاف التوجهات الفكرية المستندة إليها هذه التعريفات فحوكمة الجامعات من الموضوعات التي استقت مبادئها وأسسها من فرع حوكمة المؤسسات الخدمية العامة، والتي بنيت أصلا من حوكمة الشركات، وتعد الولايات المتحدة من أولى دول العالم التي حاولت تطبيق الحوكمة في الجامعات، حيث قامت بتفعيل نظم الرقابة على التعليم الجامعي، وضمان تحقيق مستوى جيد من الأداء الجامعي، ودعم القرارات الجامعية القائمة على المشاركة وتدعيم اللامركزية، والإدارة الذاتية لمؤسسات التعليم الجامعي الأمريكية.

و تعرف حوكمة التعليم العالي بأنها: تطبيق معايير الجودة ونظمها والتميز الذي يحكم أداء مؤسسات التعليم العالي، بما يحقق سلامة التوجهات، و صحة التصرفات، ونزاهة السلوك، وبما يضمن تحقيق الشفافية والمساءلة والمشاركة من قبل الأطراف جميعهم، وتغليب مصلحة المؤسسة على المصالح الفردية مما يؤدي إلى تطوير الأداء المؤسسي وحماية هؤلاء الأطراف الذين لهم علاقة مباشرة وغير مباشرة بالمؤسسة (علام حمدان، بخاء عواد،

2016، صفحة 01)

وقد عرفت الوكالة الكندية للتطوير الدولي (CIDA) **Agency Development** حوكمة الجامعة على أنها: " إعادة هيكلة الجامعات الذي يستلزم تغيير في طريقة إدارة الشؤون الداخلية للمؤسسة، حيث تعتبر الجامعات من بين التوجهات العالمية الرامية إلى المشاركة في بناء الطابع العالمي للتعليم العالي، وعرفت حوكمة الجامعات بأنها منظومة متكاملة تتمثل في مجموعة القوانين والأنظمة والتعليمات التي تهدف إلى تحقيق جودة العمليات والمخرجات، والهيئتين الأكاديمية والإدارية وتميزها(نغم حسين، 2020، صفحة 01) ، وذلك من خلال اختيار الاستراتيجيات المناسبة لتحقيق غايات الجامعة، وهي أيضا مجموعة متكاملة من العناصر البشرية والمادية المتكاملة والمتفاعلة التي تخلق الانسجام والتوازن داخل الجامعة، إذ يسبب فقدانها خلا كبيرا في عمليات الجامعة.

وهي تطبق القوانين والتشريعات والأنظمة والتعليمات ومعايير التميز على مكونات الجامعة كلها، على أساس من الشفافية، والمساءلة، والمشاركة، بما يحقق مصلحة الجامعة ويحمي مصالح كل من له علاقة بها (بن ونيسة ليلي، بن عبو جيلالي، 2015، صفحة 108) .
إذا يمكن القول أن حوكمة التعليم العالي هي: « جملة الممارسات الرسمية وغير الرسمية من طرف السلطات بمقتضى القوانين، السياسات والقواعد التي توضح الحقوق والمسؤوليات لمختلف الجهات الفاعلة، بما في ذلك القواعد التي تتفاعل، وذلك للمساعدة على تحقيق الأهداف الأكاديمية للمؤسسة

ب_ أهمية حوكمة التعليم العالي:

تعتبر مؤسسات التعليم العالي مراكز للعلم والفكر، ومصدر إشعاع للمجتمع، تقع عليها مسؤولية إعداد القوى البشرية ذات المهارات العلمية، واحداث التقدم العلمي والاجتماعي، بما يساهم في تشكيل خطط التنمية الشاملة للمجتمعات وتطويرها، إلا أن منظومة مؤسسات التعليم العالي كغيرها من المؤسسات بشقهما السلعي و الخدمي، تتأثر بكافة التغيرات الثقافية، التكنولوجية، الاقتصادية والاجتماعية السائدة على المستويين المحلي والعالمي،

وتواجه عدة تحديات تؤثر على مردودية القطاع وانحدار جودة البحث والتدريس به، وبقصد الصمود والحفاظ على الملامح الأساسية لهاته المنظومة أصبح لزاما على مؤسسات التعليم العالي إعادة النظر في أساليبها وسياساتها ونظم التسيير فيما، لتحقيق الفعالية المؤسسية بها والوصول إلى منتج أو خدمة ذات جودة عالية، والوصول إلى مصاف المؤسسات العالمية، وسنحاول أن ندرج أهم النقاط التي توضح حوكمة التعليم العالي:

_ تحسين وتطوير الأداء الجامعي.

_ مساعدة إدارة الجامعة على صياغة وبناء إستراتيجية سليمة، وضمان اتخاذ قرارات فعالة بما يؤدي إلى كفاءة الأداء.

_ تجنب حدوث أية مخاطرة أو صراعات داخل الجامعة تعوق جودة الأداء

_ تحسين سمعة المؤسسة الجامعية في المجتمع.

_ تحسين الممارسات التربوية والإدارية في المؤسسة الجامعية وتحقيق العدالة والنزاهة والشفافية في جميع التعاملات الجامعية.

_ الفصل بين الملكية التنظيمية والإدارة والرقابة على الأداء.

_ توفير الإرشادات للمؤسسة الجامعية حول كيفية تحقيق التزام أفضل المعايير والممارسات

القياسية (نرجس صفوة، 2017، صفحة 157)

2- مفهوم جودة التعليم العالي:

أ-تعريف جودة التعليم العالي:

لقد انتقلت فكرة الجودة إلى مؤسسات التعليم وأول من نقل فكرة الجودة إلى التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية هو مالكو لمبالدريج _ **Malcolm Baldrige** ثم اعتمدت الكليات الأمريكية على تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة نقلًا عن اليابان، ولذلك تطورت في بداية الثمانينات وازدادت تطبيقها في الجامعات في التسعينات.

ولقد حدد مؤتمر اليونسكو 1998 أن للجودة في التعليم مفهوم متعدد الأبعاد ينبغي أن يشمل جميع وظائف التعليم وأنشطته مثل المناهج الدراسية، البرامج التعليمية، البحوث العلمية، الطلاب، المباني، المرافق، الأدوات، وتوفير الخدمات للمجتمع المحلي والتعليم الذاتي الداخلي وتحديد المعايير مقارنة للجودة المعترف بها دولياً كما عرفت إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي من طرف موخوباشيائي **Mukhopachyay** على أنها: مجموعة الآراء التي تشمل ما يلي:

- امتياز العملية التعليمية، القيمة المضافة للعملية التعليمية.

_ ملائمة مخرجات العملية التعليمية للاستخدام.

_ توافق مخرجات التعليم مع الأهداف المخططة والمواصفات والمتطلبات.

_ تجنب حدوث العيوب في العملية التعليمية، مقابلة التوقعات المتزايدة للعملاء (بن ويسة ليلي، بن عبو جيلالي، 2017، صفحة 108)

عرف **ثونكس** *Thunks* الجودة بصورة عامة بأنها: تعهد الإدارة العليا للمنظمة والتزام عاملها بترشيد الأعمال حتى تكون قادرة على تحقيق حاجات ورغبات وتوقعات الزبائن أو ما يفوق هذه الحاجات والرغبات والتوقعات (نرجس صفوة، 2017، صفحة 159)

ب_ مداخل التفكير في الجودة التعليمية

لقد قام كل من "هارفاي وكنايت" **Harvey and Knight** بتحديد خمسة مداخل للتفكير في الجودة التعليمية وهي:

_ مكن النظر للجودة في مجال التعليم كاستثناء مميز يستطيع مقابلة أعلى المعايير.

_ الجودة في مجال التعليم تعني حالة من التوافق بين العمليات الإدارية والتعليمية من خلال توحيد المصفوفات للوصول إلى مستوى صفر من العيوب.

_ النظر للجودة من وجهة نظر الغرض من المنتج أو الخدمة.

_ الجودة هي قيمة مالية تنشأ من الكفاءة والفاعلية.

_ المدخل الخامس ينظر إلى الجودة على أنها عمليات التحول والتغيير النوعي أو الشكلي أو الإدراكي، وهو يلائم مؤسسات التعليم (بن ونييسة ليلى، بن عبو جيلالي، 2015، صفحة 108)
ج- شروط تحقيق الجودة في التعليم العالي:

لقد قدم فيليب غروسي **philipgrosby** ثلاثة شروط لتحقيق الجودة وهي الوفاء بالمتطلبات، وانعدام العيوب وتنفيذ العمل بصورة صحيحة من أول مرة وفي كل مرة. فهناك ثلاثة مداخل لتعريف الجودة الشاملة:

المدخل الأول: يركز على العملاء ورضاهم من خلال اشتراك والتزام الإدارة والموظفين بترشيد العمل وتوفير توقعات العملاء أو ما يفوق توقعاتهم.

المدخل الثاني: يركز على فهو يركز على النتائج النهائية المتمثلة في الوقاية من الأخطاء والتحسين المستمر للعمل والمنتجات وحل المشاكل بسرعة ومرونة.

_ المدخل الثالث: يستند إلى وسائل وأدوات الجودة بما فيها القدرات الإحصائية والوسائل الإنشائية وغيرها (المركز الوطني للتقويم والاعتماد الأكاديمي، 2015، صفحة 03).

د- أهداف جودة التعليم العالي:

إن موضوع الجودة أصبح من المواضيع الشائعة التي يجب على كل مؤسسة انتهاجها، وذلك للفائدة الناجمة عن استخدام مفاهيم الجودة، وقد واجهت مؤسسات التعليم العالي العديد من الظروف والتي أرغمتها على البحث عن الجودة وتطبيقها لتحقيق الأهداف المرجوة ومن بين هذه الظروف:

_ الثورة التكنولوجية وما نتج عنها من معارف ومعلومات حولت العالم إلى قرية صغيرة تعمل على التنافس والتطور.

_ الدول وافقت على منح مزيد من الاستقلالية لمؤسسات التعليم العالي لتحسين إدارتها المركزية مقابل ضمان الجودة.

_ الاعتماد التدريجي للإدارة العامة الجديدة التي تتطلب من المسؤولين إثبات فعالية الإنفاق العام.

_ التطور باتجاه الاقتصاد الجديد حث الطلاب وأرباب العمل على المزيد من التعليم العالي.

_ دور التعليم العالي في تكوين العاملين في مجال المعرفة يسهم في النمو الاقتصادي.

_ ضرورة تحسين نوعية خريجي الجامعات وهذا وفق المتطلبات سوق العمل الذي يعرفه وأيضاً قفزة نوعية.

_ الكم الهائل من الجامعات والطلبة جعل التعليم يفقد نوعاً ما يعرف بالنوعية.

_ ضرورة تحسين المناهج ضمن معايير عالمية للتمكن من التصنيف.

_ محاولة تحسين المنظومة التعليمية بصفة عامة.

_ الاستثمار في رأس المال البشري هدف العملية التعليمية لذا يجب استثماره على أحسن وجه.

_ تكوين بنية تحتية مكونة من خريجي الجامعات ذوي كفاءة عالية للاندماج في اقتصاد المعرفة (المركز الوطني للتقويم والاعتماد الأكاديمي، 2015، صفحة 03-04) .

هـ- مقاييس التقويم الذاتي لضمان جودة التعليم وأليات تحقيقها:

يستند تقويم الجودة في مؤسسات التعليم العالي إلى معايير متعارف عليها للممارسة الجيدة وتهدف هذه الوثيقة إلى وصف هذه المعايير التي تطبق في المؤسسات ذات الجودة العالية وقد تم تعديلها لتناسب أوضاع التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية. وتتطلب المقاييس استجابات توضح ما إذا كانت الممارسات قد طبقت وجودة التطبيق تهدف مقاييس التقويم الذاتي هذه إلى تقديم المساعدة للقائمين على إدارة البرامج والمسؤولين في مؤسسات التعليم العالي في مجال التخطيط، والمراجعة الذاتية، واستراتيجيات تحسين الجودة (نرجس صفوة، 2017، صفحة 165-166).

ثانيا: الحوكمة كآلية لضمان الجودة في التعليم العالي

ظهر مفهوم حوكمة الجامعة ليترجم الأزمة الحقيقية التي تمر بها المؤسسات الجامعية سواء على مستوى اتخاذ القرارات المتعلقة بالمنهج التعليمية التي تضعها السلطة التنفيذية دون أن يخول الحق في مناقشتها أو الاعتراض عليها وكذا أساليب الرقابة الداخلية عليها، أو على مستوى تخصيص وإدارة الموارد التي تهدف إلى التحسين والتطوير المستمر للخدمات في مجال البحث العلمي باعتباره خدمة مجتمعية تقدمها مؤسسة الجامعة، وهو ما أدى إلى ظهور مفهوم الجودة في مؤسسات التعليم العالي.

حيث يركز ميدان الحوكمة على تزويد المؤسسات الجامعية بنظام معلومات واستشراف موثوق به وفعال، من خلال أرشفة ونشر المعلومات البيداغوجية والعلمية بالتوافق مع القوانين سارية المفعول، حيث تضع المؤسسة خدمات رقمية تحت تصرف طلابها وموظفيها بما يستجيب لاحتياجات المستخدمين والتوجهات الإستراتيجية الوطنية للبحث العلمي.

1_ المعايير المتعلقة بجودة التعليم العالي

_ قدم لنا المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي عددا من المراجع تأتي في شكل معايير تمثل حالة سير المؤسسة المرغوبة أو المتوقعة، والتي تشكل في مجملها مدخلات لعملية التقييم الذاتي بهدف تحسين الأداء في المؤسسة الجامعية، وضمان جودة عملياتها ومخرجاتها من خلال وضع دلائل أو إثباتات هي مؤشرات أداء تستخدم لقياس مستوى إنجاز كل معيار.

_ نظام المعلومات: تستلزم الحوكمة تزويد المؤسسة بنظام معلومات موثوق به وفعال، يتسم بالشفافية، الوضوح والمساواة في التطبيق الكامل للأنظمة على العاملين فيها. حيث توفر الجامعة نظاما للإعلام بالأنظمة والعمليات المنظمة للعمل في المؤسسة الجامعية، وذلك عبر التنسيق المستمر بين الكليات لإتاحة المعلومات ومصادرها للطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية بسهولة ويسر، ويجب أن تكون هذه المعلومات دقيقة وصحيحة ومتسقة من خلال الأدلة

والإثباتات التي تشكل مؤشرا لقياس المعايير المقترحة. (نرجس صفوة، 2017، صفحة 167-168).

_ إعداد السياسات: هو ما يعرف بالدعامة السياسية التي تتضمن عمليات صنع القرارات المتعلقة بصناعة السياسات العامة وتكوينها، تعمل المؤسسة على إنشاء هيئات استشارة لإعداد سياسات متفق عليها في مجال التكوين والبحث والحكامة، بتوظيف عدد من المعايير.

_ تنظيم وقيادة المكونات والمصالح: يتعلق الأمر بتحديد كفاءات ومسؤوليات ومهام الموارد البشرية والمادية التي تمثل أساسا لحكامة التعليم العالي، حيث تشكل صحة وجودة المصادر البشرية ممثلة في الطلبة، الأكاديميين، الباحثين، الإداريين والموظفين، وكذا حسن استغلال الموارد المادية وتوظيفها التوظيف السليم، الأسس التي يجب على الجامعة وضع الخطط الكفؤة لضمانها ومراقبتها وتحسينها المستمر. (علم حمدان، بهاء عواد، 2016، صفحة 01)

_ إدارة الوظائف الداعمة في خدمة المهام: يندرج تحت هذا الحقل مدى حرص المؤسسة على تناسب الوسائل البشرية والمادية لمهام وقيم المؤسسة المنصوص عليها في قوانين العمل، قوانين التوظيف العمومي وقوانين وزارة التعليم العالي. وكذا التركيز على خطط التكوين والتسيير التي تضعها الجامعة في مراقبة أداء هذه المصادر وضمان جودتها والإجراءات التي تتبعها للتحسين المستمر، سواء من حيث التحديث المستمر للمصادر المادية أو الارتقاء بالمصادر البشرية وتنميتها؛ وكذا الاستخدام العقلاني للموارد المالية للمؤسسة وفقا لمهامها وقيمتها.

2_ أهمية حوكمة التعليم العالي:

يساهم تطبيق حوكمة التعليم العالي في تعليم قيمة الجامعة ويزيد من قدرتها التنافسية، وخاصة في مجال مخرجاتها ووضعها الإقليمي والدولي، وقد استطلع البنك الدولي مستوى حوكمة التعليم العالي في واحد وأربعين جامعة عربية مثل مصر وتونس والمغرب، وتوصلت الدراسة إلى أن غياب الحوكمة على مستوى الدولة أثر بدوره في مستوى الحوكمة في التعليم

العالي فالحكومات هي من يحدد أهداف الجامعات، وكذلك فإن قيادات الجامعات يتم تعيينهم غالبا من قبل الحكومة فضلا عن مستوى استقلال مالي وإداري وأكاديمي محدود جدا. (جفطة سناء، 2017، صفحة 18).

3_التسيير العمومي الجديد كمدخل لحوكمة التعليم العالي:

إن إصلاح الإدارة العامة أصبح ضرورة تملحها العديد من العوامل، ويهدف هذا الإصلاح إلى عصرنه القطاع العام وتقديم خدمات ذات جودة للمواطن من خلال العمل على تفعيل نشاط الحكومات وجعله أكثر كفاءة، وتخطي مظاهر البيروقراطي وترسيخ مبادئ الشفافية والمشاركة في تسيير مؤسسات القطاع العام، و لبلوغ ذلك تم تبني ما يعرف بالتسيير العمومي الجديد مؤلف يتعرض النسق التعليمي بكل مكوناته من مدخلات ومخرجات، كما أن الاتجاه نحو تطبيق المعايير الاقتصادية على الأنظمة التعليمية لاسيما الجامعية منها قد غير ليس فقط في وظيفة الجامعة في عالم ما بعد العولمة، بل و في طبيعتها، إذ لبس التعليم العالي حلة المشروع الاقتصادي بدل المشروع البيداغوجي، وفرضت الصيغة النيوليبرالية نفسها منذ أواسط السبعينات على سائر قطاعات التعليم، وأصبح السوق القوة المتحكمة في مدخلات ومخرجات الجامعة بالأخص، ولما كان هدف الجامعات مواجهة هذه التحديات والارتقاء بأداءها وتحسين خدماتها المقدمة، أصبح من الضرورة إعادة النظر في محتوى المناهج وطرق التدريس إضافة إلى نوعية الإدارة والتمويل و تقليص دور الدولة في تقديم الخدمات، ولعل من أهم العوامل الحاكمة في تطوير التعليم العالي تلك التي تتعلق بنمط إدارته، ويرجع ذلك إلى أن الإدارة الجامعية هي الكيفية التي يدارها نظام التعليم الجامعي، وفق أيديولوجية المجتمع الذي يعيش فيه، وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية المحيطة به، حتى تتحقق الأهداف التي ينشدها المجتمع، إذ كشفت الجامعات أن تعثر مسيرة التعليم الجامعي، إنما تعزى إلى تخلف الأنظمة الإدارية المعتمدة في تسيير وادارة وتوجيه مؤسسات التعليم العالي، والتي ميزتها البيروقراطية الإدارية، المركزية الحادة، والتفرد في صياغة القرار

من قبل الإدارات العليا وغياب مبدأ المشاركة و المساءلة على الأداء، الأمر الذي تطلب ضرورة الإصلاح الإداري و ايجاد جهاز إداري عمل بكفاءة عالية، قصد التكيف او لتأقلم مع العولمة والذي برز من خلال عدة توجهات كان التسيير العمومي الجديد أبرزها.(جفطة سناء، 2017، صفحة 29).

مقومات حوكمة التعليم العالي:

تحتاج الحوكمة إلى مجموعة من المقومات لدعم تطبيق قواعدها ومبادئها الأساسية المحددة من أحكام الإشراف والرقابة على السياسات والإجراءات والقرارات التي تتخذ من قبل القيادات الجامعية ومن أبرزها (مقاييس التقويم الذاتي لمؤسسات التعليم، 2019، صفحة16):

_توفر الاقتناع الكامل لدي الإدارات الجامعية بقبول قواعدها ومبادئ الإشراف والرقابة وهذا الاقتناع مهم وأساسي.

_توفر الثقة بين الأطراف المعنية في الجامعة من الإدارة بالعاملين والعاملين في إدارة الجامعة.
_وضوح التشريعات والسياسات والقواعد والمبادئ الحاكمة إذ أن الوضوح يعد غاية في الأهمية حيث يسهل ذلك تطبيق القواعد والمبادئ المحددة.

_وضوح إمكانية تطبيق آليات الحوكمة المراد تطبيقها من أجل وصول إلى النتائج بشكل دقيق وواضح.

_نظام اتصالات بتقنيات حديثة يسهل الاتصال المطلوب والمعتمد في مجال البحث العلمي.
_السياسات والإجراءات الفاعلة المتضمنة التوجيه والإرشاد وتحديد المواقف السلبية والإيجابية.

_ اختيار القيادات الجامعية على أساس الكفاءة والخبرة والمؤهل الجامعي.

ثالثاً: دور الحوكمة كمقياس للتقويم الذاتي في تحسين جودة التعليم العالي

بسبب القضايا والتحديات التي تواجه العملية التعليمية أصبح من الضرورة أن يكون هناك توجه جديد يتوافق و يتعامل مع هذه التحديات بالشكل الذي يحقق التطوير في مخرجات العملية التعليمية لذى فرضت هذه التحديات بضرورة ملحة لتطبيق مفهوم جودة التعميم العالي والتي يأتي في مقدمتها النمو السريع في مجال المعرفة والذي أدى الى ظهور العديد من الاكتشافات والاختراعات، التطور الكبير في نظم الاتصال ووسائلها، و الثورة المعلوماتية، والتكنولوجية واستخدام تجهيزات عالية الدقة ومعقدة ومتناهية الصغر، والتغير المفاجئ في طبيعة المهم في السوق بسبب الاعتماد على التكنولوجيا إضافة إلى الاهتمام المتزايد بالتكتلات الإقليمية و الاقتصادية والاهتمام بمشكلات البيئة، إضافة إلى الاهتمام بقيمة التميز والجودة بمعناها الشامل ومن ثمة تحقيق رضا العميل.

حيث و من هذا المنطلق يجب أن يكون لدى المؤسسة نظاماً للحوكمة تضمن فاعليتها وكفاءتها، وأن تطبق سياسات ولوائح وإجراءات تدعم رسالتها وأهدافها وخططها الإستراتيجية والتشغيلية، ولديها هيكل تنظيمي واضح ومطبق، وتحدد المهام والصلاحيات لكافة الوظائف، كما يجب أن يسود في المؤسسة نمط قيادي ونظام إداري يعتمد على التخطيط والمتابعة والتنفيذ، ويعمل على تفعيل نظم الجودة التي تحقق التطوير المستمر للأداء في إطار من النزاهة والشفافية والمساواة والعدالة، وفي ظل مناخ تنظيمي داعم للعمل، كما يجب أن يقيم الأداء المؤسسي المتعلق بهذا الأمر بناءً على مؤشرات رئيسة للأداء (جفطة سناء، 2017، صفحة 20).

كما تساهم مؤسسات التعليم العالي وبالأخص الجامعات في معظم دول العالم في التنمية من مختلف جوانبها، الاجتماعية، الاقتصادية، الإدارية، الصحية وغيرها، ما يكسبها دوراً حيوياً في المجتمع، إلا أن هذه المؤسسات وفي ظل ضغوطات عولمة التعليم العالي والبحث العلمي وتدويل أنشطتهما إلى غير ذلك من التحديات التي أصبح في خضمها لزاماً على مؤسسات

التعليم العالي مراجعة وتحديث نظم إدارتها، والبحث عن الرشادة والحكمة في تسيير مواردها وتفعيل أداؤها سعي التحسين نواتجها وزيادة مخرجاتها، فكان من الحتمية لهاته المؤسسات ان تعتمد نظم الحوكمة وزرع ثقافتها وتطوير ممارساته بهيكلها التنظيمية، وحسب البنك الدولي فإن حوكمة الجامعة تعتبر عنصرا رئيسا في التركيز الأخير على اتجاهات إصلاح التعليم العالي (محمود إبراهيم ملحم، 2017، صفحة 19)

ولضمان الجودة والتحسين المستمر لمؤسسات التعليم العالي، لابد أن تقوم المؤسسة ووحدها المختلفة بعمليات التقويم الذاتي بناءً على المحكات الدالة على جودة الأداء، فيقوم أعضاء هيئة التدريس والموظفون المسؤولون عن الأنشطة المختلفة في المؤسسة بتقويم مستوى الأداء حسب هذه المحكات، واستنادا على أدلة وبراهين وشواهد مناسبة، مع دعم ذلك بمؤشرات الأداء والمقارنات المرجعية مع مؤسسات أخرى ذات مستوى عالي من الجودة، وخاصة في المجالات ذات الأهمية الكبيرة، ويدعم هذا التقويم الذاتي بالرأي المستقل عن طريق مقوم أو مقومين مستقلين من خارج المؤسسة، لتعزيز مصداقية التقويم وموضوعيته ودقته.

1_دعائم وقواعد حوكمة التعليم العالي:

إن الحوكمة كقياس للتقويم الذاتي لا يقتصر فقط على وضع القواعد و مراقبة تنفيذها أو تطبيقها، ولكن يمتد ليشمل، أيضا، توفير البيئة اللازمة لدعم مصداقيتها، وهذا لا يتحقق إلا بالتعاون الجاد بين كل من: الحكومة، و السلطة الرقابية، و القطاع الخاص، وأصحاب المصالح الآخرين بما فهم الجمهور، كما أن تطبيق مضامين الحوكمة يولد مناخا صحيا للعمل الجماعي الذي يسعى الى بلوغ غايات محددة، و الحوكمة تساعد على الاستخدام الأمثل لموارد الجامعة، فهي تعمل على زيادة فعالية الإفصاح، وتعزز المساءلة، فحسن توزيع المهام والخدمات وإدارتها، وتطبيقها، يخفف من أوجه الاختلاف في الجامعة، ويزيد من حالات الاندماج والتفاعل الإيجابي بين أصحاب المصالح.

أ_ دعائم حوكمة التعليم العالي:

الحوكمة الصحيحة هي التي تنبع من مشاركة أصحاب المصالح في رسم سياساتها، وصنع قراراتها، وللحوكمة قواعد أساسية ينبغي أن تسير عليها أية مؤسسة وتطبقها بالتفصيل وبإحكام كي تحصل على شهادة الحوكمة، أيضا، للحوكمة ثلاث دعائم: قاعدة الشفافية: والمقصود بها تصميم وتطبيق النظم والآليات والسياسات والتشريعات وغير ذلك من الأدوات التي تكفل حق المواطن، وتعني الشفافية في الجامعة الوضوح لما يجري ويدور داخل الجامعة، مع سهولة تدفق المعلومات الدقيقة والموضوعية وسهولة استخدامها (محمود إبراهيم ملحم، 2017، صفحة 19)

قاعدة المساءلة: تمكن ذوي العلاقة من الأفراد داخل الجامعة وخارجها من مراقبة العمل دون أن يؤدي ذلك إلى تعطيل العمل أو الإساءة إلى الغير، بالإضافة إلى تطبيق الأنظمة والتعليمات بكل شفافية على طلبة الجامعة وجميع العاملين فيها. قاعدة المشاركة: أي إتاحة الفرصة لأصحاب المصالح "طلبة الجامعة، وهيئاتها الأكاديمية والإدارية، والمجتمع" للمشاركة في رسم السياسات ووضع قواعد العمل في مختلف مجالات الحياة الجامعية وأيضا إتاحة الفرص لطلبة الجامعة بأن يكون لهم دور واضح في عملية صنع القرارات.

ب_ قواعد حوكمة التعليم العالي:

يمكننا أن ندرج مجموعة من القواعد المتعلقة بحوكمة التعليم العالي: الأداء: وهو استجابة الجامعات لمتطلبات جميع أصحاب المصالح ضمن إطار الفعالية والكفاءة، بهدف تحقيق نتائج تلي الاحتياجات العامة، والاستفادة القصوى من الموارد المتاحة.

_الاتجاه: ويعني اهتمام القادة بالجمهور على نطاق واسع وطويل الأجل بالحكم الصالح و التنمية البشرية.

_ الإنصاف والعدالة: بمعنى تحقيق العدالة للجميع، والارتقاء بهم وتلبية احتياجاتهم، وضمان سيادة القانون.

_ الانضباط: أي إتباع السلوك الأخلاقي المناسب والصحيح.

_ الاستقلالية: عدم وجود مؤثرات و ضغوط غير لازمة للعمل.

_ المسؤولية الاجتماعية: أي النظر إلى المنظمة كمواطن جيد، من خلال رفع درجة تبنمها للقضايا المجتمعية.

خاتمة:

يركز ميدان الحوكمة على تزويد المؤسسات الجامعية بنظام معلومات واستشراف موثوق به وفعال، من خلال أرشفة ونشر المعلومات البيداغوجية والعلمية بالتوافق مع القوانين سارية المفعول، حيث تضع المؤسسة خدمات رقمية تحت تصرف طلابها وموظفيها بما يستجيب لاحتياجات المستخدمين والتوجهات الإستراتيجية الوطنية للبحث العلمي.

وعليه تحرص مؤسسات التعليم العالي على إقامة أنظمة معلومات فعالة، أي تقديم كل المعلومات الخاصة بنشاطاتها بشفافية ووضوح، فهي تتمتع بموارد مالية وبشرية تمكنها من تطبيق الأنظمة والقوانين بفعالية، وإعداد الخطط والبرامج وتطويرها باستمرار للوصول إلى الجودة المطلوبة، لكن شكل الجانب السلوكي والخاص بمقاومة تطبيق نظام ضمان الجودة في المؤسسة الجامعية يعتبر من أكثر العوامل إعاقة إلى جانب القيادة على مستوى الوزارة الوصية التي لم تصل لحد الآن إلى التنصيب بشكل واضح على ضرورة تطبيق نظام الجودة بشكل إلزامي والجانب الإداري والتنظيمي على مستوى المؤسسة الجامعية الذي لا يزال يراوده الشعور بعدم إلزامية النظام ولا تزال قواعده يعتبرها الإهمام والغموض.

الهوامش:

(1) علام محمد موسى حمدان، بهاء صبيحي عبد اللطيف عواد، حوكمة التعليم العالي وأثرها في جودة البحث

العلمي: دليل من فلسطين والبحرين، مجلة المؤتمر الدولي لضمان جودة التعليم العالي، جامعة فلسطين

التقنية، ماي 2016، ص 01

- (2) نغم حسين نغمة، لماذا حوكمة الجامعات وماهي التحديات التي تواجهها؟، مدونة نغم حسين نغمة، بتاريخ: 10/09/2020، نقلا عن الموقع الالكتروني للمدونة:
<https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/9f82bd5c-07f2-4c83-942a-93d50a4bead6>
- (3) بن ونيسة ليلى، بن عبو جيلالي، واقع جودة التعليم العالي في الجزائر من منظور التصنيفات الدولية، مجلة الدراسات الاقتصادية والكمية، العدد العدد الأول، 2015، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ص 108
- (4) نرجس صفوة، أهمية الحوكمة لضمان التعليم العالي، الملتقى المشترك حول: الأمانة العلمية، 11 جويلية 2017، مركز جيل البحث العلمي، سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات، لبنان، طرابلس، ص 157
- (5) بن ونيسة ليلى، مرجع سابق، ص 108
- (6) نرجس صفوة مرجع سابق، 159
- (7) بن ونيسة ليلى، مرجع سابق، ص 108
- (8) المركز الوطني للتقويم والاعتماد الاكاديمي، مقاييس التقويم الذاتي لبرامج التعليم العالي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ص 03
- (9) المركز الوطني للتقويم والاعتماد الاكاديمي، مرجع سابق، ص 03، 04
- (10) نرجس صفوة، مرجع سابق، ص 165، 166
- (11) نرجس صفوة، مرجع سابق، ص 167، 170
- (12) غلام محمد موسى حمدان، مرجع سابق، ص 01
- (13) جقطه سناء، دور حوكمة الجامعة في تحسين جودة التعليم العالي من وجهة نظر الأطراف ذات المصلحة: دراسة جامعة سطيف 1، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم التسيير، حوكمة ومالية المؤسسة، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة سطيف، 2016، 2017، ص 18.
- (14) جقطه سناء، مرجع سابق، ص 29
- (15) تقرير حول: مقاييس التقويم الذاتي لمؤسسات التعليم العالي، هيئة التقويم والتدريب: اعتماد، الرياض السعودية، 2019، ص 16
- (16) جقطه سناء، مرجع سابق، ص 19، 20
- (17) محمود إبراهيم ملحم، هل بالإمكان اصلاح منظومة التعليم العالي في ظل مفاهيم الحوكمة، الحوكمة والتنمية الإدارية والاقتصادية في المؤسسات: الواقع والطموح الذي تقدمه، المؤتمر العلمي الدولي

الخامس، كلية الأعمال، جامعة الأردن، وكلية العلوم الادارية والاقتصادية، جامعة القدس المفتوحة،

الجامعة الأردنية، بتاريخ: 22 و23 مارس 2017، ص 09

(18) محمود إبراهيم ملحم ، مرجع سابق، ص19

أهمية احياء المناسبات الوطنية في الحفاظ على الذاكرة الوطنية الجزائرية

The importance of reviving national events in preserving the Algerian national memory

رامي سيدي محمد، جامعة خنشلة، rami.med@univ-khenchela.dz

تاريخ الارسال: 2022-09-30 تاريخ القبول: 2022-11-19 تاريخ النشر: 2022-12-01

Abstract

Through this paper, we address the issue of reviving and celebrating Algerian national occasions, their types and classification, days and occasions and the beginnings of their revival since the period of the national movement and the liberation revolution, where this was important in supporting and strengthening the national struggle and struggle against the French occupation, while clarifying the importance of Some of these occasions are in the general context of the history of the Algerian people, especially the November Revolution, as one of the most important national occasions in view of its value, as the event that led to the existence of other national holidays and occasions; We also try, through this paper, to clarify the symbolic and profound value of national holidays and the eloquent implications of celebrating and reviving them in preserving national identity and memory, especially if appropriate lessons are drawn from them.

Keywords: *national holidays, occasions, national days, revival, celebration, national movement, liberation revolution, national identity, national memory.*

ملخص

نعالج من خلال هذه الورقة البحثية موضوع إحياء المناسبات الوطنية والاحتفال بها في الجزائر، أنواعها وتصنيفها حسب الأهمية التاريخية من أعياد وأيام ومناسبات وطنية وبيداتيات إحيائها منذ فترة الحركة الوطنية والثورة التحريرية أين كان لذلك أهمية في دعم وتعزيز النضال والكفاح الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، مع توضيح أهمية بعض هذه المناسبات في السياق العام لتاريخ الشعب الجزائري خاصة ثورة أول نوفمبر باعتبارها أحد أهم المناسبات الوطنية بالنظر لقيمتها ومن جهة أخرى باعتباره الحدث الذي أدى إلى وجود أعياد ومناسبات وطنية أخرى؛ كما نحاول من خلال هذه الورقة البحثية توضيح القيمة الرمزية والعميقة للأعياد والمناسبات الوطنية والدلالات البليغة للاحتفال بها وإحيائها في الحفاظ على الهوية والذاكرة الوطنية، خاصة إذا تم استخلاص العبر والدروس المناسبة منها. الكلمات المفتاحية: الأعياد الوطنية، المناسبات، الأيام الوطنية، الإحياء، الاحتفال، الحركة الوطنية، الثورة التحريرية، الهوية الوطنية، الذاكرة الوطنية.

مقدمة:

الذاكرة الوطنية أحد أهم أنواع الذاكرة الجماعية وهي جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية، وضرورة الحفاظ عليها واجب الجميع شعبا وحكومة أفرادا ومؤسسات، فالدولة تبذل مجهودات كبيرة للحفاظ على الذاكرة الوطنية خاصة منها التاريخية بتشييد المتاحف والحفاظ على أنواع المصادر والتراث المادي واللامادي، والتكفل بفتنة المجاهدين وأبناء الشهداء وحتى إنتاج الأفلام السينمائية والحصص التلفزيونية التاريخية، بالإضافة إلى تشجيع البحث والنشر العلمي في مجال الكتابة في التاريخ الوطني وكتابة المذكرات الشخصية وجمع الشهادات الحية، ومجهودات أخرى تشارك فيها الجمعيات والمنظمات والمجتمع المدني أفراد وجماعات. وتتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية حول الطرق المناسبة لإحياء المناسبات الوطنية والاحتفال بها وسبل استغلال ذلك في الحفاظ على الذاكرة الوطنية عند مختلف فئات المجتمع.

يهدف من خلال هذه الدراسة إلى توضيح أهم المناسبات الوطنية وأنواعها وأسباب اعتمادها رسميا، ويهدف كذلك إلى توضيح الأهمية التاريخية لبعضها، ثم بدايات الاحتفال بها خاصة في فترة الاحتلال الفرنسي ودور ذلك في تطور الكفاح الوطني ضده، أما هدفنا الأساسي فهو توضيح أهمية استخلاص الدروس والعبر من هذه المناسبات من خلال الاحتفال بها وإحياءها في الحفاظ على الذاكرة الوطنية.

1. ظاهرة غزارة الاحتفالات بالمناسبات الوطنية بالجزائر ودلالاتها.

كل الشعوب عبر العالم لديها أيام خاصة خلال السنة هي عبارة عن أعياد أو مناسبات يتم إحياءها أو الاحتفال بها بسبب ما حدث فيها من أحداث تاريخية أو دينية أو اجتماعية هامة وتكون أحيانا محلية أو وطنية أو إقليمية أو حتى عالمية، وتختلف في عددها وكيفية الاحتفال بها من دولة إلى أخرى أو حسب ثقافات الشعوب ومعتقداتهم، ولكنها تشترك في اعتبار تلك الأيام أوقانا للتمتع والفرح والاعتزاز والفخر. (محمدي، جوان 2008).

ويحتفل الجزائريون سنويا بشكل رسمي أو شعبي ومن قبل جمعيات ومنظمات حكومية أو مستقلة وبشكل فردي أو جماعي بالعديد من المناسبات والأعياد الدينية والوطنية والتراثية إحياءا لحدث بارز أو عيد أو ذكرى متعلقة بالدين وتاريخ العالم الإسلامي كعيد الأضحى وعيد الفطر أو بالتاريخ الوطني الطويل والغني بها ولعل المناسبات التاريخية في العهد الاستعماري وخاصة خلال الثورة التحريرية هي أكثر المناسبات الرسمية إحياء واحتفالاً في الجزائر.

بعد الاستقلال تم ضبط رزنامة الأعياد والأيام الوطنية والدينية الرسمية وذلك حسب القانون 63-278 الصادر بتاريخ 26 جوان 1963، لكن قائمة الأعياد والمناسبات الوطنية ومنذ ذلك الوقت شهدت العديد

من التغييرات سواء بالزيادة والنقصان وذلك عبر نصوص ومراسيم جديدة. (قورصو، جوان 2012، صفحة 14)

وتم تصنيف هذه التواريخ رسميا حسب الأهمية التاريخية والوطنية إلى ثلاثة أنواع:

- أعياد وطنية: عيد اندلاع الثورة (01 نوفمبر 1954)؛ عيد النصر (19 مارس 1962) وعيد الاستقلال (05 جويلية 1962).

- الأيام الوطنية: اليوم الوطني للشهيد (18 فبراير)؛ يوم الطالب (19 ماي 1956)؛ اليوم الوطني للمجاهد المصادف للذكرى المزدوجة لهجومات الشمال القسنطيني (20 أوت 1955) ومؤتمر الصومام (20 أوت 1956)؛ اليوم الوطني للدبلوماسية (08 أكتوبر 1962)؛ اليوم الوطني للهجرة (17 أكتوبر 1961).

- المناسبات الوطنية: إضراب الثمانية الأيام (28 جانفي - 04 فيفري 1957)؛ مجازر ساقية سيدي يوسف (08 فيفري 1958)؛ تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة (19 سبتمبر 1958)؛ مظاهرات 11 ديسمبر 1960؛ مجازر 08 ماي 1945؛ اليوم العالمي للمرأة 08 مارس.

تم إضافة أعياد وأيام وطنية أخرى لاحقا، مثل اعتبار رأس السنة الأمازيغية عيد وطنيا، و16 أبريل 1940 يوما وطنيا للعلم، واليوم الوطني للكشاف 27 ماي 1941؛ ومناسبة تأميم المحروقات 24 فبراير 1971. (قورصو، جوان 2012، الصفحات 14-15)

الملاحظ أنه ما عدا اليوم العالمي للمرأة ومناسبة رأس السنة الأمازيغية الذي يرمز إلى عمق الهوية الوطنية المتعلقة بأصول الشعب الجزائري وتاريخه الطويل بغض النظر عن الجدل المثار حول كون قصة رأس السنة الأمازيغية أسطورة أو حقيقة تاريخية (محروق، 2021، الصفحات 280-281)؛ فإن غالبية المناسبات متصلة بشكل أساسي بنضال الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وجلبها في فترتي الحركة الوطنية والثورة التحريرية، هذه الأخيرة تتعلق بها غالبية وأهم الأعياد والأيام الوطنية ويبقى يوم اندلاعها من بين أهم الأحداث التاريخية في سياق تاريخ الجزائر عبر العصور وبالتالي أحد أسس الذاكرة الوطنية فلولاها لما توالى تواريخ أخرى هامة والتي تم اعتبارها أيام وطنية خالدة في الذاكرة الوطنية خاصة يوم وقف إطلاق النار 19 مارس ويوم الاستقلال 05 جويلية 1962، وهذا ما سنحاول تأكيده فيما سيأتي من ورقتنا البحثية هاته.

بالنسبة للمناسبات الوطنية خارج الثورة التحريرية والمتعلقة بنضال الشعب الجزائري في فترة الحركة الوطنية، فهي في الحقيقة ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالثورة التحريرية، فمجازر 08 ماي 1945 كانت الحدث الذي أيقن من خلاله الشعب الجزائري عامة والتيار الاستقلالي خاصة أن ما أخذ بالقوة

لا يسترجع إلا بالقوة، مجاز ماي 1945 "كرست القطيعة مع النظام الاستعماري ورسخت قناعة المناضلين بالاختيار الثوري" (جيلالي بلوفة، 2013، صفحة 134) ولذلك تم تأسيس المنظمة الخاصة (os) سنة 1947 للتحضير الفعلي للثورة المسلحة، هذه المهمة أكملتها اللجنة الثورية للوحدة والعمل سنة 1945 بعد اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950، ولذلك يمكن القول أن ما حدث في ماي 1945 هو بمثابة ثورة تحريرية مصغرة اكتملت بداية من الفاتح نوفمبر 1954، ويتجلى ذلك في تحليل الجنرال الفرنسي لأسباب الثورة التحريرية قائلا: "إن النزاع الحالي (أي الثورة التحريرية الجزائرية) قد ولد جزئيا من القمع الأعشى". (جيلالي بلوفة، 2013، صفحة 134)

أما الحدثين الثاني والثالث (16 أبريل 1940 و 27 ماي 1941) فهما يمثلان على التوالي جمعيتين بارزتين في تاريخ الحركة الوطنية الإصلاحية واللذان كانتا لهما الأثر البالغ إضافة إلى التيار الاستقلالي في نشر الوعي الوطني بين الشعب الجزائري ونشر الفكر التحرري الثوري بين شبابه وهما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والكشافة الإسلامية الجزائرية؛ فالتاريخ الأول 16 أبريل 1940 هو تاريخ وفاة العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس مؤسسه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 ورائد حركة الإصلاح في الجزائر؛ والتاريخ الثاني 27 ماي 1941 هو تاريخ إعدام الشهيد محمد بوراس مؤسس جمعية الكشافة الإسلامية الجزائرية سنة 1936، بعد أن حاول قيادة محاولة ثورية مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي حيث اتصل بالألمان مع بداية الحرب العالمية الثانية وذلك من أجل جلب السلاح إلى الجزائر وتكوين وتدريب شباب الكشافة على استعماله خارج اطار الاتحادية الكشفية من أجل التحضير للعمل المسلح (Derouiche, 1985, p. 46): لكن للأسف تم اكتشاف أمره واعتقاله في 08 ماي 1941 بتهمة التجسس لصالح الألمان وحكم عليه بالإعدام بعد 6 أيام فقط. (رامي، جوان 2018، صفحة 279)

ويمثل يوم الشهيد 18 فبراير استثناء في المناسبات الوطنية ورغم التسمية التي تعطي الانطباع أن التاريخ له علاقة بحدث في الحركة الوطنية أو الثورة التحريرية إلا أن الأمر غير ذلك، لأن التاريخ يمثل يوم تأسيس المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء أين تم الاحتفال به لأول مرة سنة 1989، وتم اعتباره بشكل رسمي يوما وطنيا للشهيد بداية من سنة 1991. (قورصو، جوان 2012، صفحة 16)

وتبقى مناسبة أخرى خارج فترة النضال الوطني ضد الاحتلال وبعد الاستقلال وهي ذكرى تأميم المحروقات 24 فبراير 1971، لكنها في الحقيقة متعلقة كذلك بكفاح الجزائر ضد الامبريالية والاحتلال الفرنسي، حيث تمثل تاريخ انتزاع احدى أهم ثروات الجزائر من بقايا السياسة الاستعمارية وبالتالي استكمال السيادة الوطنية، وتكمن أهمية هذا التاريخ بالنسبة للذاكرة الوطنية من جهة أخرى في أحد أهم أسباب قيام الرئيس السابق هواري بومدين بتأميم المحروقات، حيث جاء ذلك ردا على الحملة الفرنسية التي كانت تقول

أن البترول الجزائري من النوع الرديء ولونه أحمر ، حيناً رد الرئيس بومدين أنه لونه كذلك بسبب دماء الشهداء. (بلاغ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، 2006، صفحة 393)

من خلال ما سبق يمكننا تصنيف المناسبات إلى صنفين أساسين، مناسبات تعبر عن تضحيات الشعب الجزائري بعد القطيعة والمواجهة مع السياسة الاستعمارية كمجازر 08 ماي 1945 ومجازر ساقية سيدي يوسف ومجازر 11 ديسمبر و17 أكتوبر وغيرها من المناسبات التي توضح التضحيات الكبرى للشعب الجزائري ضد القمع والهمجية الاستعمارية وبذلك تجعلنا هذه المناسبات نستذكر هذه التضحيات ونعي حقيقة الاستعمار الفرنسي؛ وهناك مناسبات أخرى عبارة عن انتصارات أو مكاسب أفرزها تطور مسيرة الثورة التحريرية وضغطها على الاستعمار الفرنسي سواء بلغة السلاح أو سياسياً ودبلوماسياً، مثل مناسبة تأسيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة، ووقف إطلاق النار وطبعا عيد الاستقلال وغيرها (قورصو، جوان 2012، الصفحات 15-16)، هذا الصنف من التواريخ التي يمكن اعتبارها تواريخ انتصار للشعب الجزائري هي في الحقيقة نتيجة الصنف الأول من المناسبات التي اعتبرناها مناسبات تعبر عن التضحيات ومعاناة الشعب الجزائري من السياسة الاستعمارية؛ وهي مجتمعة مكملة لبعضها البعض لتبقى خالدة في الذاكرة الوطنية الجماعية للجزائريين.

ولهذا نرى أن كل المناسبات لا تدعو دائما إلى الاحتفال والفرح وإظهار البهجة والسرور بشكل مفرط كما تجري الأمور عادة، أكيد أن الاحتفال هو الأمر الغالب، بحيث نحتفل بالأعياد وبعض الأيام والمناسبات الوطنية كعيد اندلاع الثورة التحريرية وعيد النصر والاستقلال ويوم المجاهد المصادف لـ 20 أوت وتأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ويكون ذلك بالمظاهر المعروفة بالاحتفالات عامة حسب قيمة الذكرى لأن هذه المناسبات تدعو في مجملها للفرح والسرور مع الاعتزاز لقيمتها التاريخية، لكن هل يمكن أن نقول إننا نحتفل بمجازر 08 ماي 1945؟ التي هي مثال حي على وحشية المستعمر وهمجيته والتي راه ضحيتها حوالي 45 ألف شهيد (عمري، 2003، صفحة 373)؛ أعتقد أن هذا غير مناسب، الأصح أن نقول إننا نحكي هذه الذكرى لأهمها تمثل مأساة بالنسبة للجزائريين مهما كان لها من أثر إيجابي على تطور النضال ضد الاحتلال الفرنسي، وينطبق الأمر نفسه بالنسبة للتواريخ التي تمثل مجازر أو استشهاد أو وفاة شخصية ما؛ وبالتالي الأفضل حسب رأبي أن نقول: إحياء مناسبة يوم العلم وإحياء يوم الهجرة المصادف لذكرى مجازر 17 أكتوبر 1961، وإحياء ذكرى مجازر 11 ديسمبر 1960 ...

من جهة أخرى فإن ارتباط غالبية الأعياد والأيام والمناسبات الوطنية بالثورة التحريرية يجعلنا نتساءل عن مكانة ثورة أول نوفمبر بين أهم الأحداث التاريخية في مجمل تاريخ الشعب الجزائري؛ والحقيقة أن هذا سؤال طرحه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في إحدى مقالاته خلال مناقشته للبعد التاريخي لثورة

أول نوفمبر قائلا: "أين نضع ثورة أول نوفمبر في سياق التاريخ الجزائري؟"، ومن خلال إجابته على التساؤل المهم وضع ثورة أول نوفمبر كأحد أهم ثلاث "أحداث خطيرة غيرت مجريات الأمور وأدت إلى نتائج بعيدة المدى" في تغيير سير تاريخ الجزائر الممتد على مدى قرون من الزمن (سعيدوني، 1986، صفحة 196).

وقال أن الحدث الأول هو الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، والذي أكسب الشعب الجزائري مقوماته الحضارية الأكثر تأثيرا في تاريخه وهي العقيدة الإسلامية واللغة العربية، ارتبط من خلالها بالأمة الإسلامية العربية، أما الحدث الثاني فهو علاقة الجزائر المباشرة بالجهاد البحري ضد المد الصليبي مع نهاية القرن 15م وخلال القرن 16م، وقد نتج عن ذلك ارتباط الجزائر بالامبراطورية العثمانية وتميزها بكيان سياسي وحدود واضحة المعالم وعاصمة قوية وبالتالي بناء الأمة الجزائرية التي استقلت بشكل شبه كلي عن الدولة العثمانية سنة 1711م.

وأخيرا وضع ثورة نوفمبر كحدث خطير مهم ثالث مكن من تعديل سير التاريخ الجزائري وتصحيح مسيرته الحضارية بعد أن كاد الاستعمار الفرنسي ينفذ مخطط التصفية الحضارية للأمة الجزائرية، وتكمن أهمية حدث الثورة التحريرية دائما حسب المؤرخ سعيدوني كونها "عملية بعث وتجديد مكنت الشعب الجزائري من وقف الانهيار الحضاري الذي عرفه العالم الإسلامي ومنه الجزائر منذ فترة طويلة...." (سعيدوني، 1986، الصفحات 196-198)

ربما لا يتفق البعض مع الاختيارات التي وضعها المؤرخ ناصر الدين سعيدوني بالنسبة لأهم ثلاثة أحداث في تاريخ الجزائر، لكن الأكد أن الأحداث الثلاثة لها تأثير كبير في تاريخ الجزائر وقد ارتبط بكل حدث منهم العديد من الأحداث الأخرى كانت نتيجة لهذه الأحداث الكبرى الثلاث أو كانت سببا لها، فقد شهدت الجزائر أو المغرب الأوسط كما كانت تسمى في فترة الفتح الإسلامي العديد من الأحداث الهامة في ظل الحكم الإسلامي يتم الاحتفال بها وإحياءها إلى يومنا هذا، سواء محليا أو وطنيا وهي تعبر كذلك على عمق الهوية الوطنية والذاكرة الوطنية مثلها مثل المناسبات الوطنية التي أشرنا إليها سابقا.

2. أهمية إحياء المناسبات الوطنية أثناء الفترة الاستعمارية في دعم النضال الوطني:

كان الاحتفال وإحياء المناسبات بشكل عام في فترة الحركة الوطنية والثورة التحريرية بعيدا عن الرمزية والاحتفال من أجل المرح والفرح فقط، فقد كان لإحياء المناسبات في العادة هدف أساسي لخدمة القضية الوطنية ودعم النضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، حتى أن الحركة الوطنية كانت تستغل الاحتفالات الرسمية لفرنسا بأعيادها الوطنية لصالح نشاطاتها السياسية والثقافية.

وتم استغلال الاحتفالات بالمناسبات الوطنية حتى من طرف الدول العربية الشقيقة لدعم القضية الجزائرية والثورة التحريرية في العديد من المرات، وهذا ما سنؤكد من خلال العديد من الأمثلة. قيما سيأتي:

1.2 أثناء فترة الحركة الوطنية الجزائرية:

كان الشعب الجزائري في مجمله خلال فترة الاستعمار الفرنسي يرفض كل ما هو متعلق بالاحتلال الفرنسي وطريقة عيش المستوطنين اليومية خاصة المتعلقة بالدين والثقافة فكان يرفض الاحتفال بالأعياد الفرنسية والغربية ويعبر عن رفضها خاصة تلك المتعلقة بأحداث الاحتلال الفرنسي للجزائر التي كان الاحتفال بها من طرف الفرنسيين يزيد من حقد وكره الشعب الجزائري للاستعمار، فكان ذلك يساهم في يقظته اتجاه قضاياها الوطنية ومصيره.

الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930 كانت استفزازية للشعب الجزائري خاصة النخبة منه وكان لها أثر عكسي على المستعمر، حيث تشير بعض الدراسات أنها كانت سببا مباشرا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931، رغم أن مؤرخين آخرين ومنهم بوصفصاف عبد الكريم يرون أن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يكن كرد فعل على الاحتفالات الفرنسية بالذكرى المئوية خاصة وأن فكرة الانشاء كانت خلال العشرينيات من القرن 20م (بوصفصاف، 1981، صفحة 82)، وبالتالي يمكن القول أن هذه الاحتفالات ساهمت في إخراجها إلى النور فكانت المبرر وليست السبب أو الفرصة وليست الدافع لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ويذكر أبو القاسم سعد الله أن الجزائريين قاموا بمقاطعة الاحتفالات والمناسبات الفرنسية وذلك في تعبير عن رفض الاستعمار ووجوده وهو شكل من المقاومة الثقافية أو السلبية المتمثلة في مقاومة الرفض والمقاطعة والممانعة أو مقاومة الضعفاء، فقد ذكر أن أعيان قسنطينة رفضوا خلال 14 جويلية 1933 حضور "العيد الوطني" الفرنسي وأعادوا بطاقات الدعوة، ومن جهة أخرى انسحب الجزائريون من الجمعيات الرياضية الفرنسية وبدأوا يناقسون الرياضيين الفرنسيين في الملاعب بجمعياتهم الخاصة وكان ذلك دليلا على تزايد الشعور الوطني لدى الجزائريين (سعد الله، 2009، صفحة 39)

ومع اقتراب العيد الوطني الفرنسي 14 جويلية 1937 علم مصالي الحاج أن الفرنسيين يحضرون لاحتفالات كبيرة بالمناسبة، وكان حزب الشعب الجزائري حديث الولادة فأراد استغلال الظروف لإبراز مطالب الحزب الاستقلالية، وذلك من خلال تنظيم مظاهرات واحتفالات ترفع فيها الأعلام الوطنية، كما رفعت فيها شعارات وطنية مثل "يحيا حزب الشعب الجزائري" و"وتحيا الحرية" و"يحيا الاسلام"، وانشد المتظاهرون نشيد "فداء الجزائر"، فتحوّلت الاحتفالات إلى صدامات عنيفة بين مناضلي حزب الشعب والشرطة الفرنسية. (بلاح، 2006، صفحة 489)

أما مجازر ماي 1945 فكان الحدث الأكثر إحياءا عند أطراف الحركة الوطنية الجزائرية بشكل خاص والشعب الجزائري بشكل، فرغم وقع صدمتها الكبير عليه إلا أنها كانت بداية عهد جديد في تاريخ نضاله ضد الاحتلال الفرنسي وأصبح هذا التاريخ رمزا وطنيا للذاكرة الشعبية من خلال إحيائه سنويا باستمرار لفضح جرائم الاستعمار باعتباره "يوم وطني للحزن"، وهذا كان شعار النشاطات المخدلة للذكرى سنة 1947 والتي نظمها حزب الشعب الجزائري بمشاركة مختلف فئات الشعب الجزائري، من خلال تجمعات وتظاهرات سياسية وثقافية (جيلالي بلوفة، 2013، صفحة 134).

ولم يكن إحياء مناسبة مجازر 08 ماي مقتصرًا على الجزائريين بالجزائر بل تعداه إلى العديد من الدول العربية فقد شهدت دمشق بالمناسبة إقامة العديد من التظاهرات والاحتفالات لإحياء المناسبات الوطنية والمشاركة في أسابيع نصره الجزائر والعمل على شرح القضية الوطنية في أعقاب الحوادث الأليمة التي تعرضت لها الجزائر عشية الثامن من شهر ماي سنة 1945، بما تركت من جروح عميقة في وجدان الشعوب العربية. (عبد السلام، 1986، صفحة 15)

وكانت الكشافة الإسلامية الجزائرية من خلال نشاط أفواجها تشارك عادة التيار الاستقلالي والاصلاحي معظم نشاطاتها خاصة الغير سياسية نظرا للتقارب الإيديولوجي والوطني بين المنظمات الثلاث، وهذا ما تجلى في إحياء المناسبات الوطنية من خلال ترديد الأناشيد الوطنية الحماسية خاصة تلك التي كان قادة جمعية العلماء ومناضلو حزب الشعب ينظمونها أو يرددونها في مؤتمراتهم وتجمعاتهم، مثل نشيد "شعب الجزائر مسلم" من نظم مؤسس الجمعية عبد الحميد بن باديس (رامي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والكشافة الإسلامية الجزائرية بالغرب الجزائري بين التأثير والتأثر، 2018، صفحة 56)، ونشيد "من جبالنا"؛ وترديد هذه الأناشيد والشعارات الوطنية من طرف فتية الكشافة أثناء الاحتفال وإحياء المناسبات الدينية والوطنية وهم بالزي الكشفي ويمشون في نظام منظم يجوبون شوارع المدن ممتزجا بزغاريد النساء وهتافات الحاضرين كان له الأثر البالغ في نفوس الشعب الجزائري من خلال نشر الوعي الوطني التحرري والانتماء القومي العربي الإسلامي (رامي، جوان 2018، صفحة 272).

2.2 أثناء فترة الثورة التحريرية:

2.2.1 داخليا:

كانت جهة التحرير الوطني في إطار نضالها الثوري والسياسي والدبلوماسي تحرص على إحياء المناسبات الوطنية الهامة بطرق وأشكال مختلفة مثل القيام بالعمليات العسكرية وإصدار المنشورات والخطابات وتنظيم المظاهرات والإضرابات والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن عقد مؤتمر الصومام التاريخي في 20 أوت 1956 كان من أهدافه إحياء مناسبة هجومات الشمال القسنطيني التي كانت في 20 أوت 1955،

هذه الهجومات المسلحة على عدة أهداف عسكرية فرنسية كانت بدورها إحياء للذكرى الأولى لنفي ملك المغرب الأقصى محمد الخامس في إطار التضامن المغربي ووحدة الكفاح ضد الاستعمار الأجنبي. (ومان و تلمساني، 2017، صفحة 638)

وتبقى ذكرى اندلاع الثورة أهم المناسبات التي لم تتوان قيادة الثورة في إحيائها والاحتفال بها في كل سنة خلال الثورة التحريرية؛ فبمناسبة الذكرى الأولى لاندلاعها بعث عبان رمضان مراسلة مؤرخة في 08 أكتوبر 1955 إلى الوفد الخارجي للثورة يقول في مقتطف منها: "لقد قررنا إضرابا عاما على المستوى الوطني بمناسبة أول نوفمبر تاريخ اندلاع الثورة الجزائرية"، في الذكرى الثانية لاندلاع الثورة ذكرت جريدة "المقاومة" في بيان لها بإنجازات الثورة خلال سنتين من عمرها مع التأكيد على وحدة صف الشعب الجزائري وأن الكفاح لا يزال طويلا، مع التأكيد على احياء المناسبات بالإضرابات والشعارات، نفس الأمر تقريبا كان في الذكرى الثالثة لاندلاع الثورة التحريرية لكن هذه المرة جاء النداء في جريدة المجاهد.

في الذكرى الخامسة والسادسة توجه رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة في كل مرة بنداء للشعب الجزائري يدعوهم للافتخار بهذا اليوم مذكرا بجرائم الاستعمار الفرنسي وتضحيات الشعب ومعددا إنجازات الثورة التحريرية داخليا وخارجيا مع التأكيد على الوحدة الوطنية من خلال الالتفاف حول الحكومة المؤقتة وجيش التحرير لتحقيق النصر والاستقلال. (بوزيدي، 2019، الصفحات 135-138)

2.2.2 خارجيا:

بمناسبة احتفال فرنسا بعيدها الوطني 14 جويلية 1956 أصدرت الحكومة الأردنية بلاغا بوقف جميع الأعمال في كل المؤسسات الحكومية لمدة خمس دقائق حدادا على أرواح شهداء الجزائر واستنكارا لجرائم الاستعمار الفرنسي وتجاهل حقوق الانسان وحرية تقرير المصير بالجزائر. (العمري ، 2016 ، صفحة 18)، كما شهدت شوارع العاصمة الأردنية عمان مظاهرة شعبية حمل المتظاهرون فيها لافتات كتب عليها شعارات منها: "عاش نضال الشعب العربي، عاش نضال شعب الجزائر الحر"، "قاطعوا فرنسا الغاشمة وآزروا إخوانكم المجاهدين"، وفي نهاية المظاهرة رفع المتظاهرون رسالة إلى السفير الفرنسي بعمان مستنكرين فيها الأعمال الاجرامية ضد الشعب الجزائري. (العمري ، 2016 ، صفحة 116)

وإحياء للذكرى الرابعة للثورة التحريرية الجزائرية أقام اتحاد الجمعيات الخيرية في عمان عاصمة الأردن حملة لجمع التبرعات لفائدة الجزائر ومساندة للمناضلين فيها، وبعد جمع 1370 دينار 655 فلسا سلمها رئيس الاتحاد لمكتب حكومة الجزائر بعمان. (العمري ، 2016 ، صفحة 160)

وكان العمال التونسيون عادة ما يتذكرون ويذكرون بالقضية الجزائرية في احتفالاتهم الوطنية والعمالية، حيث أقيمت بمناسبة الفاتح ماي 1956 احتفالات كبيرة شارك فيها عدد كبير من التونسيين ... أظهروا خلالها تأييدهم المطلق للثورة الجزائرية عبر شعارات ولافتات، وكذلك كان يفعل الاتحاد العام للطلبة التونسيين والاتحاد العام لطبة المغرب، حيث لم يخفيا مؤازرتهم للثورة التحريرية خلال المناسبات والاحتفالات بالأعياد المختلفة كما في المؤتمرات والندوات التنسيقية. (مجلة التاريخية المغربية، 2009)

3. إحياء المناسبات الوطنية بين المناسباتية وبين استخلاص الدروس والعبر.

لا ضرر في أن يتم الاحتفال وإحياء الأعياد والأيام والمناسبات الوطنية بمختلف مظاهر الفرح والسرور من أعلام وشعارات تزين بها المدن والشوارع والقيام بزيادة مقابر الشهداء وتنظيم تجمعات رسمية وشعبية والقيام بتظاهرات فلكلورية وثقافية وعلمية، وربما تبقى هذه الأمور ضرورية في حدود معقولة، لكن ظاهرة المناسباتية قد تضر المناسبة في حد ذاتها وتفرغها من أهدافها الحقيقية والعميقة كما سنذكر لاحقا، بحيث يصبح إحياء المناسبات الوطنية مجرد احتفالات وأنشطة فلكلورية مبرمجة من طرف المؤسسات الحكومية كالجامعات والمدارس والمتاحف والمكتبات وغيرها فقط لأنه تم تكليفها بذلك، والأسوأ أن تتخلل هذه الاحتفالات الفلكلورية ندوات ومدخلات علمية لأساتذة وشهاديات حية لمجاهدين شاركوا في الثورة يتم إلقائها فقط من أجل إتمام برنامج الاحتفالات لا مصغي ولا مستفيد، حتى أن معظم المحاضرين والمندخلين يعيدون نفس الكلام حول الموضوع نفسه في كل مناسبة كل سنة دون إبداع أو تجديد أو محاولة طرح إشكاليات جديدة متعلقة بهذه المناسبات التاريخية.

ولذلك لا بد من استشعار القيم الحقيقية للذاكرة الوطنية الجماعية من خلال كل هذه الأعياد والأيام والمناسبات التاريخية ودراستها بعمق من أجل استخلاص العبر والدروس الحقيقية لفهم الحاضر وتصويب أخطاءه ومن ثم بناء مستقبل أفضل، وهذا ما يجب أن يظهر من خلال إحياء المناسبات والاحتفال بها؛ ونذكر من تلك العبر والدروس ما يلي:

- الأحداث التاريخية التي تمثل الأعياد والمناسبات الوطنية في مجملها وخاصة الهامة منها كالثورة التحريرية تعبر عن روح التحدي والعناد والعبقرية الجزائرية في وجه ما يبدو مستحيلا (كمواجهة الاستعمار الفرنسي بإمكاناته من عدة وعتاد وتكوين وخبرة عسكرية).
- بينت لنا هذه الأحداث أن الشعب الجزائري يملك كماً هائلا من الطاقات الكامنة التي يمكن استغلالها في ظروف تبدو غير مواتية في بعض الأحيان، أي أن سر النجاح وأسباب النصر في أي معركة لا تقررته الوسائل والألات والتكنولوجيا خاصة بالنسبة للجزائري فقط عليه اكتشاف كيفية استغلال طاقاته.

- كفاح الشعب الجزائري من خلال هذه الأحداث التاريخية سيظل أحد المظاهر الحضارية الخالدة في الذاكرة الوطنية الجماعية والذاكرة الإنسانية، حيث جعلت الشعب الجزائري يدخل التاريخ من أبوابه الواسعة بعدما كان على الهامش (سعيدوني، 1986، الصفحات 202-205)، فلا يمكن الحديث عن تاريخ الجزائر في المحافل الدولية دون الحديث عن الثورة الجزائرية التحريرية، فهي تمنح الجزائر احترام الأصدقاء وهيبة الأعداء.

4- خاتمة:

إن الزخم الذي تعرفه الجزائر في إطار الاحتفال وإحياء الأعياد والمناسبات والأيام الوطنية طول السنة دليل على ثراء تاريخها المجيد بالأيام والذكريات المجيدة المخددة والراسخة في قلوب وعقول الجزائريين. ويبقى عيد الثورة التحريرية (أول نوفمبر) أهم الأعياد والمناسبات والأحداث بسبب قيمته التاريخية باعتباره أحد أعظم وأخطر الأحداث عبر تاريخ الأمة الجزائرية وكذلك باعتباره الحدث الذي أدى إلى وجود أعياد ومناسبات وطنية أخرى كعيد النصر والاستقلال ويوم المجاهد وعيد الطالب ...

تكتسي الأعياد والذكريات والمناسبات الوطنية قيمة رمزية عميقة الدلالات وبلغت التعبير عن الهوية والذاكرة الوطنية، فهي رسالة السلف للخلف في الوطنية والمواطنة الإيجابية، ولذلك فإن المشاركة في الاحتفال وإحيائها يساعد في توطيد وتعميق العلاقات بين مختلف افراد المجتمع ويعبر عن مدى التفاعلات الإيجابية بينهم ويقوي مفاهيم الولاء لرموز الدولة ويرفع من قيمة الانتماء للوطن وهي ترجمة حقيقية للوحدة الوطنية وترسيخ مقوماتها ضمان استمراريتها.

الاحتفال وإحياء المناسبات والأعياد الوطنية خلال فترة الحركة الوطنية والثورة التحريرية بما له من دلالات وأهداف لخدمة النضال والكفاح ضد الاحتلال الفرنسي يبين أهمية هذا السلوك لدى الشعب الجزائري في الوقت الحالي ليحافظ على ذاكرته الوطنية، ويستخلص العبر والدروس وهذا هو عمق وحقيقة الاحتفال والاحياء حتى لا يكون مجرد احتفالات فلكلورية ومناسباتية جافة لا فائدة منها.

5- المصادر والمراجع:

- أبو القاسم سعد الله. (2009). *الحركة الوطنية الجزائرية* (المجلد 03). الجزائر: عالم المعرفة.
- الحبيب الجزائري عبد السلام. (1986). *إذكريتي يا جزائر*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

العمرى , ع .(2016). *الأردن والثورة الجزائرية: الموقف الرسمي والشعبي 1954-1962*. عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع.

بشير بلاح.(2006). *تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989* (المجلد 01). الجزائر: دار المعرفة.

بشير بلاح.(2006). *تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989* (المجلد 02). الجزائر: دار المعرفة.

حورية ومان ، و بن يوسف تلمساني. (ديسمبر ، 2017). التضامن الجزائري مع انتفاضة الشعب المغربي هجومات 20 أوت 1955. *مجلة علوم الانسان والمجتمع*, 06(04).

سيدي محمد رامي. (مارس، 2018). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والكشافة الاسلامية الجزائرية بالغرب الجزائري بين التأثير والتأثر. *مجلة الرسالة*، 02(06).

سيدي محمد رامي. (جوان 2018). الكشافة الاسلامية الجزائرية في الغرب الجزائري بين الاستعداد الانطلاق والمشاركة في الثورة التحريرية. *المعيار*, 09(01).

عبد القادر جيلالي بلوفة. (2013). *لحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945*. الجزائر : نومديا للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الكريم بوصفصاف. (1981). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945*. قسنطينة: دار البعث.

غوتيه تيوفيل. (2019). *رحلة إلى الجزائر*. (محمد بنعبود، المترجمون) أبوظبي: دائرة الثقافة والسياحة. قورصو، م). جوان 2012. (الماضي الاستعماري في الخطاب الرسمي الجزائري. *عصور*. 38-13, 01(01), 11

مجلة التاريخية المغربية. (2009). *مجلة التاريخية المغربية*, 133-134.

محمدي, ب.(جوان 2008). النظام القانوني للأعياد. *مجلة القانون*. (08)

مومن عمري. (2003). *الحركة الثورية في الجزائر: من نجم شمال إفريقيا الى جبهة التحرير الوطني: [1926/1954]*. الجزائر: دار الطليعة للنشر والتوزيع.

ناصر الدين سعيدوني. (جانفي، 1986). نظرة في البعد التاريخي لثورة أول نوفمبر. *Annales de l'université d'Alger*, 01(01).

نوال محروق. (2021). طقوس الاحتفال برأس السنة الأمازيغية. مجلة تطوير، 08(02).

وحيد بوزيدي. (ديسمبر، 2019). إحياء ذكرى أول نوفمبر خلال الثورة التحريرية وأثره في تفعيل نشاط الثورة في الداخل والخارج (1955-1961). مجلة قضايا تاريخية (11).

Derouiche, M. (1985). *Le Scoutisme Ecole du Patriotisme*. Alger: ENAL-OPU.